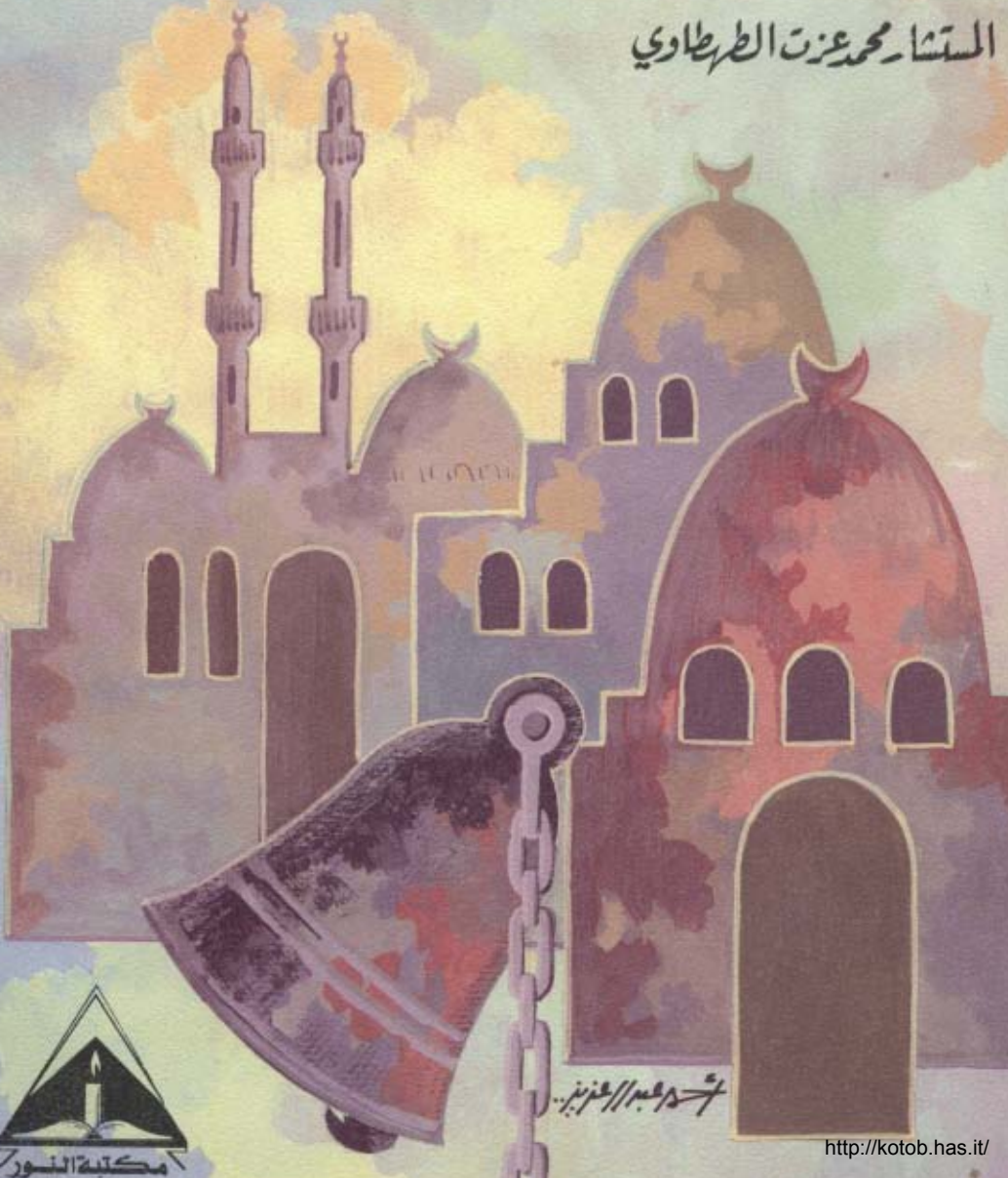


في مقارنة الأديان

النصرانية والإسلام

الاستاذ محمد عزت الطرطاوي



تأليف محمد عزت الطرطاوي



BP 17

T351

1987

M711

اهداء

إلى روح الصديق الوفي الأستاذ الفاضل كعبة العلم والعلماء في عصره
المرحوم الإمام الشيخ أحمد عبد المجيد المصرى رحمه الله .

أهدى هذا الكتاب جزاء ما جاهد وناضل بنفسه ولسانه وبقلمه
فى صمت وإخلاص دفاعاً عن عقيدة الإسلام وشريعته قرابة نصف
قرن من الزمان، أمام النصرانية وحمولاتها الضخمة فى أعماق الصعيد الأوسط
بمصر دون أن يحس أو يشعر به أحد .

المستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا (٨٨) لقد جئتم شيئا إدا (٨٩) تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا (٩٠) أن دعوا للرحمن
ولدا (٩١) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (٩٢) إن كل من في السموات
والأرض إلا آتى الرحمن عبدا (٩٣) (١)

صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي كان رحمة للعالمين ، وكان من سامي خلقه العظيم موادة أهل الكتاب وتركهم وشأنهم وما يدينون ، رغم عدم إيجابتهم دعوة الإسلام وبقائهم على ما ورثوه من تحريف وانحرافات ...

وبعد : -

فإن الأحقاد الطائفية والحروب الدينية غريبة على أرض الإسلام وبعيدة عن أخلاق المسلمين، فقد أُلّف هذا الدين منذ بدأت إشراقات أنواره أن يعاشر غيره على المياسرة واللطف وأن يرعى حسن الجوار فيما يشرع من أحكام ويضع من تقاليد ، وهو في ميدان الحياة العامة حريص على احترام شخصية من يخالفونه في العقيدة فلم يفرض عليهم شرائعه في الحلال والحرام ، أو يقهرهم على الخضوع لأحكامه في العقيدة والاعتقاد ، بل ترك أهل الأديان وما يدينون .

لكن أعداء الإسلام من سلالة الصليبيين وقد هالهم ذلك الهدوء والوثام بين المسلمين وطوائف أهل الكتاب الذين يجاورونهم أو يشتركون معاً في عمارة أوطانهم وحماية بلادهم عملوا على فتح جبهات خبيثة لهم في أوطان المسلمين، يستفزونهم ويثيرون الشبهات ضد الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد برعوا في نشر الأضاليل حتى بلغت بهم الصفاقة أن يعكسوا الحقائق . مما دفعني إلى تحرير هذا الكتاب (وهو ما لم أذكره في مقدمة الطبعة الأولى لأسباب كانت قائمة في وقتها) فما من بد من البيان وعدم الكتمان لأن الله أخذ الميثاق على حملة وحى السماء أن يعالونوا بالحق ويكشفوا للناس

أمر الباطل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ لتبيننه للناس ولا تكتمونه ﴾ سورة
آل عمران الآية ١٨٧ .

هذا وبالله التوفيق ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع
الشاهدين ﴾ سورة آل عمران الآية ٥٣ .

القاهرة في ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٤٠٦ هـ .

٦ يناير سنة ١٩٨٦ م

المستشار

محمد عزت الطهطاوى

مَدْرَتُهُ

الطبعة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، المنزه عن الصاحبة والولد ، لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، تقدست عن الأشباه ذاته ، وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته ، وشهدت بربوبيته آياته ، ودلت على وحدانيته مصنوعاته ، المتقدس فى كمال وصفه عن الشبيه والنظير ، المنزه فى كمال ذاته عن التمثيل والتصوير ، ليس كمثل شئ وهو السميع البصير .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد أظهر الأنبياء حجة ، وأبينهم برهاناً ، وأرجحهم فى العلم والفضل ميزاناً ، وأصدقهم لهجة وأكثرهم بياناً .

فهو صلى الله عليه وسلم رسول التوحيد الخالص إلى جميع الشعوب والأمم ، المنزل عليه القرآن الكريم من لدن عزيز حكيم ، فدعا الناس إلى توحيد الله سبحانه ، هذا التوحيد الذى جاءت به الكتب السماوية المقدسة ، المنزلة على من سبقه من الأنبياء والمرسلين ، فصحح بالإسلام وعقيدته السليمة ما أصاب تلك العقائد السابقة من انحراف وتبديل ومسوخ وتغيير .

قال تعالى :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ (١) .

صدق الله العظيم

المستشار : محمد عزت إسماعيل الطهطاوى

الباب الأول

عقائد النصرانية وشعائرها وعباداتها

تمهيد

تنحصر عقيدة النصرانية أو المسيحية في العناصر الآتية ، التي بدون الإيمان بها لا يكون الشخص المسيحي مسيحياً ، وهذه العناصر هي :-

أولاً : التثليث - وألوهية المسيح - وألوهية الروح القدس .

ثانياً : تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ، ليصلب تكفيراً للخطيئة التي ارتكبتها آدم أبو البشر .

ثالثاً : أن الإله الأب ترك للإله الابن حساب الناس على خطاياهم ، فالإله الابن حينما ظهر بمظهر الإنسان كان أقرب لفهم الإنسان ، وحدث هذا الحساب بعد قيامة المسيح من الأموات .

وهذه العناصر الثلاثة سنفرد لها ، في هذا الباب ، الفصل الأول .

كما أن هناك شعائر أخرى فرضت على المسيحيين كطقوس تدخلت في حياتهم وبعدهم ماتهم ، وهي لازمة للمسيحي وعليه أن يقوم بها وهي :

- ١ - تعمييد الأطفال عقب ولادتهم .
- ٢ - العشاء الرباني الذي يتحول إلى دم المسيح وإلى عظامه .
- ٣ - الاعتراف الذي يتبعه غفران الذنوب .
- ٤ - حضور القسيس عند الموت .
- ٥ - حضور القسيس عند الزواج .
- ٦ - الميرون، وهو حلول روح القدس على الكاهن المسيحي فيقوم عندهم بمسح الشخص المسيحي بدهن الميرون المقدس .
- ٧ - الكهنوت وهو خلافة رسولية أخذها آباء الكنيسة الأولون عن الرسل أتباع المسيح ويسلمونها لمن هم بعدهم .

وهذه الشعائر سنفرد لها الفصل الثاني يليه الفصل الثالث عن العبادات في المسيحية ، وقبل أن نغوص في أمر العقيدة والشعائر تفصيلاً نبدي الملاحظات الآتية :

١ - بتقليب صفحات كتاب التوراة وما ألحق به من أسفار الأنبياء والمزامير والأناشيد بالعهد القديم يتبين أنه لا يوجد فيها قصص الآب والابن والثالث - وألوهية المسيح وألوهية الروح القدس ، وتجسد الابن وصلبه تكفيراً لخطيئة آدم أبي البشر ، أو موت الابن وقيامه ، أو المعمودية بمفهوم المسيحية للغفران من خطيئة آدم ، أو ما يشير إلى اتحاد الابن الأزلي أو ما شابه ذلك .

٢ - أن القصص السابقة والكلمات والعبارات المشار إليها فيما سلف لا توجد في أقوال المسيح ولا في أقوال تلاميذه الذين آمنوا به وسمعوا منه تعاليمه ، مما يفيد أن مسائل التثليث وتأليه المسيح وتأليه روح القدس أمور لا أصل لها في كتب الله ولكنها أمور مخترعة ، بعضها بمعرفة بولس الرسول الذي كان عدواً للمسيح والمسيحية في أول أمره ، كما أن المسيح لم يختره من تلاميذه ، فضلاً عن أنه لم ير المسيح ولم يسمع منه مواعظه ، والبعض الآخر بمعرفة آباء الكنيسة ومجامعها المسكونية في القرون التالية للمسيحية .

٣ - أن بشائر الأنبياء التي أعلنت عن مجيء المسيح في العهد القديم ما ذكرت إلا كونه نبياً من البشر دون أى إشارة إلى أنه سيقتل أو يصاب ، بل على العكس فإنها تدل على أن الله تعالى يحميه ويعصمه من كيد اليهود ويحفظه من شرورهم .

ويقرر الكاتب المسيحي ألفريد إي أن تعاليم المسيح تجمعها العناصر الآتية :

١ - قيام مملكة الله حيث المساواة والعدالة .

٢ - الله هو أبو البشر وهو الأمل الذي تهفو نحوه أرواح العباد جميعاً .

٣ - الكمال التام لله والحب الشامل .

تلك هي الديانة المسيحية لا أكثر ولا أقل ، أما ما سوى ذلك من أسس دينية فقد اعتمدت المسيحية فيها على التوراة ، وقد مدح المسيح نفسه بقوله أنه جاء ليتم التوراة لا ليبدأ ديناً جديداً ، « لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل » (انظر إنجيل متى - إصحاح ٥ عدد ١٧) .

٤ - إن المؤرخ الشهير ويلز wells يستنكر كل هذه المبادئ والشعائر ، ويرى أنها جميعها موضوعة ولا سند لها من الأناجيل ، ومن العسير أن تجد أية كلمة تنسب فعلاً إلى المسيح فسر فيها مبادئ الكفارة والفداء أو حض فيها أتباعه على تقديم القرابين أو اصطناع عشاء رباني .

٥ - إن المطلع على الأناجيل الثلاثة الأولى المنسوبة إلى متى ومرقص ولوقا يجد أنها لا تحوى أى إشارة عن التثليث أو ألوهية المسيح أو ألوهية روح القدس أو عقيدة الفداء ، وهو تجسد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئة ، أما ما جاء بإنجيل يوحنا من ذكر صريح لألوهية المسيح التي هي ركن أساسى من أركان التثليث ، فإن هذا الإنجيل (١) برمته لا يسلم به محققو المسيحية . فعلماء المسيحية في أواخر القرن الثانى الميلادى أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحوارى ، وكان بين ظهرانيهم أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحوارى ولم يرد عليهم بأنه سمع من أستاذه صحة تلك النسبة ، ولو كانت صحيحة لعلم بذلك تلميذه بوليكارب ، ولأعلم هذا تلميذه أرينيوس ، ولأعلن هذا الأخير تلك النسبة عندما شاع إنكارها .

والنتيجة لكل ذلك أن إنجيل يوحنا هذا مزور النسبة إلى يوحنا الحوارى .

٦ - انفراد إنجيل يوحنا في صدر إصحاحه الأول بالعبارات الآتية (٢) :

(١) كتاب (محاضرات فى النصرانية) للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .
(٢) كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) للأستاذ الحاج عبد الرحمن بك أفندى باجه جى زاده .

« في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هذا كان في البدء عند الله » هذه الفقرات متناقضة المعنى لا تتفق مع مفهوم العقل ، فإن قوله (والكلمة كان عند الله) لا يلتئم مع قوله (وكان الكلمة الله) - فإذا كان الله عين الكلمة لا يصح أن تكون الكلمة عنده ، لأن العندية تقتضى المغايرة لأنها عبارة عن حصول شيء عند شيء كحصول المال عند زيد ، ولا شك أن المال غير زيد ، وزيد غير المال ، وهذا ظاهر لا جدال فيه ، فكيف تكون الكلمة عنده وأيضا تكون عين ذاته ثم تتجسد وتكون ابنه ، والابن عين أبيه والأب عين الابن - والكلمة والكلام هنا صفة للمتكلم والصفة لا تكون عين الموصوف ، فكلمة الله ليست ذات الله تعالى ، ولم ير في شرائع الأنبياء أو في كتبهم إطلاق الكلمة على ذات الله تعالى ، والقول بخلاف ذلك هو مخالفة لشرائع الأنبياء والمرسلين وتجاوز على مقام رب العالمين .

٧ - ولقد قال أستاذنا في العصور المتأخرة ونقله عنه صاحب كاتاك في صحيفة ٢٠٥ من المجلد السابع المطبوع سنة ١٨٤٤ أن كافة إنجيل يوحنا تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية صنفه باللغة اليونانية (تلك المدرسة التي اعتنقت مبادئ الثالوث وألوهية المسيح والروح القدس وبشرت بها) ولقد كانت فرقة ألوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا من تصانيف ، ويقول بذلك أيضا المحقق (برطشندر) .

٨ - جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصرانية ما نصه : « أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض ، وهما القديسان يوحنا ومتي ، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحوارى الذى يحبه المسيح ، فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها ، وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحوارى ووضعت اسمه على الكتاب نصاً ، مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ، ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة

التي لا رابطة بينها وبين من نسبت إليه ، ولإنا نرأف ونشفق على الذين يمدلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفاسق الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحوارى يوحنا الصياد الجليلي ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى ، لخبطهم على غير هدى .

٩ - ويقول هورن في تاريخ تدوين ذلك الإنجيل أنه ألف سنة ٦٨ أو سنة ٦٩ أو سنة ٧٠ أو سنة ٨٩ أو سنة ٩٨ مما يثير الشك في هذه التواريخ جميعها ، لأنه لا يوجد تاريخ محدد لتدوينه .

١٠ - ولقد قالوا أنه كتب لغرض خاص ، وهو أن بعض الناس قد سادت عندهم فكرة أن المسيح ليس بإله ، وأن كثيرين من فرق الشرق كانت تقرر تلك الحقيقة ، فطلب إلى يوحنا أن يكتب إنجيلا يتضمن بيان هذه الألوهية فكتب هذا الإنجيل . وقد قال جرجس زوين اللبناني فيما ترجمه « إن شيربنطوس وأبيسون وجماعتهما لما كانوا يعلمون المسيحية بأن المسيح ليس إلا إنساناً وأنه لم يكن قبل أمه مريم ، فلذلك في سنة ٩٦ اجتمع عموم أساقفة آسيا وغيرهم عند يوحنا والتسوا منه أن يكتب عن المسيح وينادى بإنجيل مما لم يكتبه الإنجيليون الآخرون ، وأن يكتب بنوع خصوصي لاهوت المسيح » .

١١ - وقال يوسف الدبس الخورى في مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل) إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها ، والسبب أنه كانت هناك طوائف تكفر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته ، وذكر ما أملاه متى ومرقص ولوقا في أناجيلهم .

١٢ - وقال صاحب مرشد الطالبين ، أنه لا يوجد اتفاق بين العلماء بضبط السنة التي كتب فيها يوحنا إنجيله ، فإن بعضهم يزعم أنه كتبه في سنة ٦٥ قبل خراب أورشليم ، وآخرون ممن يوجد فيهم بعض الأقدمين يروون أنه قام بكتابه في سنة ٩٨ وذلك بعد رجوعه من النفي ، فالقصد بكتابه إيفاء بعض مسامرات المسيح الضرورية ، ذات التروى مما لم يذكره باقى (٢ م - النصرانية والإسلام)

الإنجيليين ، وإفناء لبعض هرطقات مفسدة أشهرها معلمون كذبة في شأن ناسوت المسيح وموته ، وخاصة ترسيخ النصارى الأوائل في الاعتقاد بحقانية لاهوت وناسوت ربهم وفاديتهم ومخلصهم ، وقد قيل إن يوحنا لم يؤلف إنجيله إلا بعد صلاة عامة قلبية مع التبعية لأجل أن يوصيه الروح القدس بذلك .

١٣ - ولا نجد ما نعلق به على الوقائع السابقة أجمل مما علق به الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (١) إذ يقرر أنه يستنبط مما سبق الأمور الآتية :

(أ) أمر صريح وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح ، أو هي كانت كذلك في الزمان الأول للمسيحية قبل تدوين الإنجيل الرابع على الأقل ، وهذه حقيقة يجب تسجيلها ، وهي أن النصارى مكثت أناجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص على ألوهية المسيح ، ومعنى آخر أن الطبقة الأولى من معتنقي النصرانية إلى نهاية القرن الأول كانت تنكر ألوهية المسيح .

ويقرر الدكتور أحمد شلبي في كتابه (مقارنة الأديان) أنه كان يستحيل أن تهمل الأناجيل الثلاثة الأولى أساساً هو في الحقيقة أهم أسس الدين المسيحي وهو ألوهية المسيح ، فلو أن لهذه الألوهية أصلاً في الديانة المسيحية لما كان من الممكن أن تهملها هذه الأناجيل الثلاثة .

(ب) الأمر الثاني أن الأساقفة اعتنقوا فكرة ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها ويصرح بها ، فلما أرادوا أن يحتجوا على خصومهم ويدفعوا هرطقتهم في زعمهم لم يجدوا مناصاً من أن يلتمسوا دليلاً ناطقاً يثبت ذلك ، فاتجهوا إلى يوحنا ، فكتب كما يقولون إنجيله الذي يشتمل على الحجج وبرهان القضية والبيئة فيها على زعمهم ، فخالف به الطبقة الأولى الذين هم أعلم

(١) كتاب (محاضرات في النصرانية) للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة ، عليه رحمة الله .

بحقيقة المسيح وأدرى بأخباره ، وبذلك خالفت الطبقة الثانية من النصرانية الطبقة الأولى وابتدعت هذا الضلال .

وهذا ينبغي عن أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص عليه في الكتب، وإلا ما اضطروا اضطراباً إلى إنجيل جديد طلبوه وافتقدوه فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه .

(ج) وبالاطلاع على رسائل الرسل التي كتبت - في قولهم - قبل هذا الإنجيل يتبين أن فيها ما ينبغي عن ألوهية المسيح ، أفلم تكن فيها حجة لا تجعلهم في حاجة ماسة إلى إنجيل جديد، وفيها غناء من البتآن يغنيهم عما سواه ، أم لعل تلك الرسائل المشتملة على هذه الألوهية كتبت بعد هذا الإنجيل ليؤيدوه بها وليثبت ما أتى به ويرسخ في نفوس المسيحيين ، ثم نسبت إلى السابقين (١) :

وأما إنجيل متى (٢) فإنه كتب في سنة (٤١) باللسان الآرامي - لكن الموجود منه الترجمة اليونانية - وأن نسخته الأصلية التي كتبت بالآرامية فقدت ثم ظهرت ترجمتها اليونانية (٣) وهذه ترجمت إلى اللاتينية ومنها إلى لغات العالم المختلفة .

١ - ولم يعلم إلى الآن كيف ترجم هذا الإنجيل .

٢ - ولا من هو المترجم له .

٣ - وما هو حال هذا المترجم في القوة أو الضعف في المسيحية ، فهل هو من المسيحيين أم من اليهود أو من غيرهم .

(١) كتاب (محاضرات في النصرانية) للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) للأستاذ الحاج عبد الرحمن بك أفندي باجة

حتى زاده .

(٣) تحقيق في أسفار العهد الجديد بين اللغات التي ألقت بها والتي ترجمت إليها للأستاذ

الدكتور علي عبد الواحد وافي، نشر بمجلة الأزهر ، شوال ١٣٧٨ - إبريل سنة ١٩٥٩ -

الجزء العاشر - المجلد الثلاثين .

٤ - ومع كل ذلك فالنصارى تجزم بأنه إنجيل معتمد لديهم ، وتتخذونه دستورا مقدسا ترجع إليه في عقائد دينها وأصوله مع أنه لا دليل على أنه لمي الحواري .

١٤ - أما إنجيل مرقص : فيقول عنه بطرس قرماج في كتابه (مروج الأخبار في تراجم الأبرار) المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٠ ما ملخصه :

« إن مرقص هذا كان يهوديا لاويا وهو تلميذ لبطرس ولد بإقليم الخمس مدن وصنف إنجيله بطلب من أهالي رومية ، كان هو وأستاذه بطرس ينكر ألوهية المسيح ، ولم يذكر في إنجيله مدح المسيح لبطرس ، ومات مقتولا في سجن الإسكندرية سنة ٦٨ ميلادية ، قتله الوثنيون » .

وإذا كان مرقص هذا ينكر ألوهية المسيح التي هي مدار الاختلاف بين معتققي النصرانية وغيرهم فكيف يستقيم ذلك مع ما ورد فيه من أن المسيح ابن الله كما هو وارد مثلا في بداية الإصحاح الأول منه ؟ والجواب على ذلك أن مثل هذه الكلمات إلحاقية وليست من أصل الإنجيل وقد ذهب إلى ذلك الرأى المفسرون من علمائهم .

ويقول ويلز : إن النقاد يميلون إلى اعتبار إنجيل مرقص أصح ما كتب عن شخص المسيح وأعماله وأجدرها بالثقة (١) .

ويقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة عن ذلك في كتابه (محاضرات في النصرانية) إن ابن البطريق وهو من المؤرخين المسيحيين الشرقيين يقرر أن الذى كتب إنجيل مرقص هو بطرس الحواري عن مرقص ونسبه إليه ، وإن أرنوس يقرر أن الذى كتبه هو مرقص من غير تدبير بطرس ، لذلك

(١) هذا الإنجيل كتب باللغة اليونانية ومنها إلى اللاتينية ومنها إلى لغات العالم المختلفة = انظر بحث (تحقيق في أسفار العهد الجديد بين اللغات التي ألقت بها والتي ترجمت إليها) للأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي نشر بمجلة الأزهر عدد شوال ١٣٧٨ - إبريل ١٩٥٩ .

لا يمكن الجزم فيمن كتبه ، أما زمن تأليفه فيقول عنه هورن : إنه ألف سنة ٥٦ وما بعدها إلى سنة ٦٥ أو سنة ٦٠ أو سنة ٦٣ . ويقول كتاب (مرشد الطالبين) أنه كتب سنة ٦١ (انتهى كلامه) .

والعجب أن يبتدىء الإصحاح الأول بعد ذلك بالآتي :

« كما هو مكتوب في الأنبياء ، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيء طريقك قدامك » .

والمكتوب في الأنبياء مقصود به ما ورد عن ذلك في سفر ملاخي وإصحاح ٣ عدد ١ : ها أنا ذا أرسل ملاكي فيهيء الطريق أمامي ، ويأتي بعتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه ، وملاك العهد الذي تسرون به هو ذا يأتي . قال رب الجنود - وهو مكتوب في ملاخي وليس في سفر أشعياء -

لكن الصحيح من ترجمة هذا النص من نفس التوراة العبرانية التي بأيدي اليهود هو كالآتي :-

« ها أنا سوف أرسل رسولي فيعزل طريقاً بحضوري وحينئذ يأتي بعتة إلى هيكله الولي الذي أنتم ملتمسون ، ورسول الختان الذي أنتم راغبون أيضاً هو ذا آت : قال الله رب الجيوش » .

وهذا النص يشير إلى رسول الختان ، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم (١) الذي أعاد تلك السنة بعد أن أبطلها أساقفة المسيحية .

إن خاتمة إنجيل مرقس في الإصحاح ١٦ عدد ٩ إلى ٢٠ لا توجد في أقدم مخطوطتين كاملتين لإنجيل مرقس واللتين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع الميلادي وتتضمن هذه الخاتمة (التبشير بالإنجيل للخليقة كلها) .

بل إن جيروم وهو أحد آباء النصرانية في القرن الخامس الميلادي وأحد

(١) كتاب (محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن) للمؤلف .

علمائهم كان يصرح بأن بعض المتقدمين من العلماء كانوا يشكون في ذلك الباب الأخير جميعه أى يشكون في الإصحاح السادس عشر من إنجيل مرقص جميعه (١) .

١٥ - أما إنجيل لوقا :

١ - فيقول عنه مؤرخو النصرانية : إن لوقا كان تلميذاً لبولس فهو لم ير المسيح وكان طبيباً من أهل إنطاكية وقيل كان مصوراً ، وقال صاحب (مرشد الطالبين) إنه كتب إنجيله برسم تاوفليوس المزعوم أنه مصرى ، وإن كان البعض يقول أنه يونانى ، وكان ذلك سنة ٥٨ - ٦٠ ميلادية ، إلا أن ذلك الإنجيل حرره باللغة اليونانية وقتها وترجم إلى اللاتينية ، وعن هذه الأخيرة ترجم إلى جميع لغات العالم .

٢ - ويقول العالم زميس في كتابه المعروف بأنسائى كلويدياريس أن إنجيل لوقا على ما حققه (مستر كول) في (رسالة الإلهام) ليس إلهامياً .

٣ - أن واتسن صرح في المجلد الرابع من كتابه (رسالة الإلهام) التى أخذت من تفسير دكتور بنسن بأن عدم كون إنجيل لوقا إلهامياً يظهر مما كتب في ديباجته . وهكذا قال القدماء من العلماء أيضاً بأنه ليس إلهامياً .

٤ - صرح جيروم في كتابه على ما نقله وارد كاتلك عنه أن بعض القدماء كانوا يشكون في بعض كتاباته لأنها لم تكن في نسخة فرقة مارسيونى .

٥ - جزم إكهارن في كتابه بأنه اختلط الكذب للراوين ببيان المعجزات التى نقلها لوقا ، والكاتب ضمه على طريق المبالغة الشاعرية لكن تمييز الصادق عن الكذب في هذا الزمان عسير .

٦ - ويقول (كلبي في شيدس) أن متى ومرقص يتخالفان في التحرير وإذا اتفقا ترجح قولهما على قول لوقا . والمراد من التخالف في هذه الأناجيل الاختلاف اللفظي والمعنوي مما يهدر كونها جميعها إلهامية ، ويستوى في ذلك إنجيل لوقا وإنجيل متى وإنجيل مرقص .

(١) كتاب إظهار الحق تأليف الشيخ رحمة الله ابن خليل الرحمن الهندي الباب ص ٤٣

٧ - ويقول ماراغوستينوس « إنى لم أكن أومن بإنجيل لوقا لو لم تسلمنى إياه الكنيسة المقدسة » مما يفهم منه أنه لولا أن الكنيسة تعتبر أن إنجيل لوقا قانونى فى الإيمان لرفض قبوله .

١٦ - أن الأناجيل الأربعة المتداولة بين المسيحيين حالياً منسوبة إلى أصحابها متى ومرقس ولوقا ويوحنا ، بمعنى أنها مؤلفة بمعرفتهم ، ويفهم من ذلك أنها ليست هى الإنجيل الذى نزل فيما سبق على المسيح ، بدليل أن بعض هذه الأناجيل الأربعة وبعض الرسائل تذكر فيما تذكر كلمة إنجيل أو بشارة التى هى ترجمة لكلمة إنجيل باليونانية مضافة إلى الملكوت ، وأحياناً إلى ملكوت الله ، وأحياناً إلى الله ، وأحياناً إلى عيسى طبقاً للآتى :-

(أ) ورد فى إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢٣ .

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب » .

و (بشارة الملكوت) هى ترجمة (إنجيل) باليونانية .

(ب) وورد فى إنجيل مرقس الإصحاح الأول عدد ١٤ :

« وبعدهما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقرب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل » .

(ج) وجاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية فى الإصحاح الأول

عدد ١ :

« بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولا المعزز لإنجيل الله » .

(د) وجاء فى رسالة بولس إلى أهل رومية أيضاً فى الإصحاح الأول

السابق عدد ٩ : « فإن الله الذى أعبدته بروحى فى إنجيل ابنه شاهد لى كيف بلا انقطاع . . أذكركم » .

١٧ - وقد تأيد هذا القول ببعض مؤرخى المسيحية الذين تقيّدوا

في أبحاثهم بالعلم والحقائق التاريخية مثل العلامة إكهارن إذ يقول أنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال أنها هي الإنجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الإنجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بأذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الإنجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب ، وقد ورد كل ذلك في الكتاب الذي ألفه نورتن ، المطبوع في مدينة بوسطن سنة ١٨٣٧ بالمجلد الأول بعد المقدمة .

ويستطرد إكهارن في مقدمته قائلاً أن كثيراً من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة من أناجيلنا هذه .

١٨ - ومن ذلك يبين احتمال أن هذه الرسالة كانت المرجع لجميع الأناجيل (١) التي كانت راجعة في القرن الأول والقرن الثاني الميلادي ، ومنها الأناجيل المتداولة بين النصارى حالياً ، لكن هذه الرسالة فقدت ولم يعثر لها على أثر وبفقدتها ضاع الإنجيل الأصلي ، وترتب على ضياعها أن التحريف والتبديل قد وقعا في تلك الأناجيل . بل إنه لا توجد أى إشارة عن وجود الأناجيل المتداولة حالياً حتى ابتداء القرن الثالث ، ويؤيد ذلك قول سلسوس من علماء القرن الثاني الميلادي أن المسيحيين بدلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع أو أزيد من هذا تبديلاً ، كما أن مضامينها أيضاً بدلت . ويعلل سلسوس سبب ذلك في كتبه بأن الكذب والحداع كانا بمنزلة المستحبات الدينية وقتئذ .

١٩ - بل إن (أرجن) كان من الذين أفتوا بجواز تأليف الكتب الكاذبة ونسبتها إلى الحوارين أو التابعين أو إلى قسيس من القسيسين المشهورين ، ومصرح بذلك في الحصة الثانية من الباب الثالث من تاريخ

(١) كتاب (محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن) للمؤلف .

كاسيا المطبوع سنة ١٨٤٨ لوليم ميور باللغة الأوردية وهي إحدى لهجات الهند .

٢٠ - لذلك كان من التجاوز إضافة مجموع العهد الجديد إلى الله أو إلى السيد المسيح . بل إنه مضاف إلى مصنفه فقط ، كما يقال حالياً إنجيل فلان ورسالة فلان .

ويؤيد هذا النظر أن النسخ الموجودة باللسان اليوناني هي التي تحمل اسم (إنجيل) بصورة العنوان فقط ، أما النسخ المكتوبة باللسان السرياني وهي المعتمدة أساساً لدى الطوائف النصرانية فقد وضع عليها اسم (كاروزونا) أى موعظة (بالمعنى العربي) محل كلمة إنجيل ، إذ ليس لأى سفر من أسفار العهد الجديد حق بأن يحمل اسم إنجيل ، لأن هذه العبارة لا يحق استعمالها لغير إنجيل المسيح نفسه ، والقول بغير ذلك هو اعتداء على مقام المسيح عليه السلام ، ولكن أين هذا الإنجيل الخاص بالسيد المسيح (١) .

والجواب : لا يوجد له أثر .

وهذه النتيجة التي استخلصت من كل ما تقدم تأيدت بما ذكره القس الماروني في كتابه (ذخيرة الألباب) ونصه أن أسفار العهد الجديد لا تستغرق كل أعمال المسيح ولا تتضمن كل أقواله كما شهد به القديس يوحنا .

٢١ - وقد نقل الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار عن دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح .

وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ ، بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها ، واللغات التي ألفوا بها ، كما أن نسخها الأصلية فقدت .

٢٢ - أن الأب عبد الأحد داود المطران المسيحي الأشوري الذي اعتنق الإسلام يقرر في كتابه (الإنجيل والصليب) أن الأناجيل المعتمدة الآن لم تكن معترفاً بها قبل القرن الرابع الميلادي ، لذلك تراه يقول أن هذه السبعة

(١) كتاب (الإنجيل والصليب) للأب عبد الأحد داوود الأشوري .

والعشرين سفراً ، أو الرسالة الموضوعية من قبل ثمانية كتاب لم تدخل في عداد الكتب المقدسة باعتبار مجموع هيئتها بصورة رسمية إلا في القرن الرابع بإقرار مجمع نيقية العام وحكمه سنة ٣٢٥ ميلادية . لذلك لم تكن إحدى هذه الرسائل مقبولة ومصدقة لدى الكنيسة وجميع العالم العيسوي قبل التاريخ المذكور ، ثم جاء من الجماعات العيسوية في الأقسام المختلفة من كرة الأرض ما يزيد على ألفي مبعوث روحاني ، ومعهم عشرات الأناجيل ومئات الرسائل إلى نيقية لأجل التدقيق ، وهناك تم انتخاب الأناجيل الأربعة من أكثر من أربعين أو خمسين إنجيلا ، وتم انتخاب الرسائل الإحدى والعشرين من رسائل لا تعد ولا تحصى وصدق عليها . وكانت الهيئة التي اختارت العهد الجديد هي تلك الهيئة التي قالت بألوهية المسيح . وكان اختيار كتب العهد الجديد على أساس رفض الكتب المسيحية المشتملة على تعاليم غير موافقة لعقيدة نيقية وإحراقها كلها .

ويؤكد هذا المطران المسيحي أن الأناجيل الأربعة لم تكن موجودة في زمن الحوارين الخمسة أو الستة الذين كتبوا تلك الرسائل ، لأن الرسائل لا تبحث عن محتويات هذه الأناجيل قطعا ولا تشير إليها .

كما أن كاتب الرسائل لم يكونوا على علم بهذه الأناجيل الأربعة ، مع أنه لو صحت نسبة الأناجيل إلى أصحابها لكانت أسبق من الرسائل .

ويقول فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد أبو زهرة : إن الأناجيل الأربعة لم يملها المسيح ولكنها كتبت من بعده ، وبالتالي فليست هي الوحي الذي أوحى إليه ، وهي كما تشتمل على أخبار المسيح من وقت ولادته حتى وقت الحكم عليه بالموت صلبا وصلبه بالفعل على حد اعتقادهم ، فإنها أيضا تشتمل على أخبار يوحنا المعمدان حتى قتله (١) .

وأما رسائل الرسل فإن كتابها لم يدعوا لأنفسهم أنهم رسل من الله حتى

(١) كتاب (محاضرات في النصرانية) لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة .

يمكن القول بأن ما حرروه هو وحي من الله أو بإلهام منه . فمثلا بطرس في رسالته يقدمها بأنه رسول يسوع المسيح . . ولم يذكر لنفسه وصف الرسالة المطلقة من الله .

ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا رسائل بولس ، فهو الذى يذكر في رسالته أنه يتكلم عن الله ، وأحيانا يقول أنه يتكلم عن نفسه ، مع أنه لا يوجد في كتب المسيحية ما يشهد له بالرسالة والإلهام أو الإيمان إلا سفر أعمال الرسل . وسفر الأعمال هذا يزعم النصارى أنه محرر بمعرفة لوقا صاحب إنجيل لوقا ، وأنه من الرسل الملهمين ، فكلامه جاء من الروح القدس الذى ملأ إخوانه الرسل . ويرد على ذلك بالآتى :-

١ - أنه لا توجد معجزة للوقا تثبت إلهامه حتى يمكن التصديق بكل ما كتب .

٢ - لم يرد في كتب المسيحية أن لوقا كان من السبعين الذين أرسلهم المسيح وأخبرهم أن أسماءهم كتبت في السماء ، وأنه كان من أولئك المائة والعشرين الذين ألقى فيهم بطرس خطبته وامتأوا بالروح القدس على حد زعمهم .

والنتيجة من كل ذلك :

أن لوقا وبولس ليسا من الرسل الملهمين حتى يمكن التعويل على ما حرره كل منهما .

وقبل أن نختم هذا التمهيد نشير إلى الآتى :

١ - أنه لم يرد في العهد القديم أو في العهد الجديد أى إشارة إلى أن المسيح أو الروح القدس أقنوم من ثلاثة أقانيم بالمعنى المفهوم في عقيدة النصرانية (١) .

(١) الأقانيم كلمة سريانية مفردا أقنوم ، وهى تعنى «شخص ، أو كائن مستقل بذاته» .

٢ - بل إن عبارة أقنوم نفسها لا توجد إطلاقاً في جميع أسفار العهد القديم أو العهد الجديد ، ونتيجة لذلك يتبين أن عقيدة الأقانيم ليس لها أى سند أو دليل من الأسفار القديمة أو الجديدة في الكتاب المقدس (١) .

(١) كتاب (سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية) بقلم الشيخ عبد الله العلمي الفزى
الدمشق أستاذ دروس تفسير القرآن والتأهيب الدينى الإسلامى فى الجامع الأموى بدمشق سابقاً .

الفصل الأول

العقيدة عند المسيحيين

البحث العلمى فى عقائد المسيحية أو النصرانية :

التثليث :

١ - يتضح من الاطلاع على تاريخ (موسيم) أن التثليث لم يكن معروفا عند المسيحيين حتى أواخر القرن الثانى الميلادى . وكان الأب أثيناغورس هو أول من نطق بكلمة ثالث ، لأنه راعى عادات الرومان أصحاب السلطان على الإمبراطورية الرومانية وقتئذ حيث كانوا معتقين لديانتهم الوثنية ، إذ أن معتقى المسيحية ماقدروا أن يتصوروا معنى الألوهية بغير ما هو ممتزج بأفهامهم وما هو مغروس فى قلوبهم من طقوس الوثنية الشائعة لديهم .

٢ - فكان مثلاً عند المصريين القدماء فى مدينة طيبة ثلاثة آلهة : آمون وموت وخنسو . وكان فى مدينة أبيدوس ثلاثة آلهة : إيزيس - وأوسيريس - وحوريس ، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً الإله « رع » مظهر الشمس فإنه سُمى فى الصباح هرماخيس . وعند الظهر را ، وعند الغروب أتوم أو تمو . ومن مصر غزت عقيدة الثالث حوض البحر الأبيض المتوسط . وكانت صورة إيزيس الأم وهى تحمل الإله الابن هى الصورة السائدة فى أنحاء العالم الرومانى .

٣ - هذا الثالث المصرى لم يكن قاصراً على حوض البحر الأبيض المتوسط بل شارك المصريين فيه البوذيون والبراهمة . كما اعتبره الأشوريون والبابليون والميترايميون حتى أنه كثيراً ما كانت آلهة المكان الواحد ثالثاً مثلثاً أو عدة حاصلة من ضرب الثالث الواحد فى نفسه أى تسعة أو عدة تسعات .

ما هو التثليث أو الأقانيم الثلاثة وتاريخ تقريرها :

لقد تم وضع قانون الإيمان المسيحي ، أو الإيمان الثالوثي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية بمعرفة القساوسة المجتمعين هناك ، فهم الذين صاغوه وهم الذين قدموه عقيدة للشعوب المسيحية مفروضاً عليهم بسلطان قيصر الرومان قسطنطين .

وتقوم فكرة التثليث على الآتي :

الإيمان بإله واحد مؤلف من ثلاثة أقانيم أو ثلاثة أشخاص (كما يقول بذلك اللاتين) الآب والابن والروح القدس . وهذه الثلاثة أقانيم ظواهر لحقيقة واحدة . واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد ، ويشبهون هذه الظاهرة بقرص الشمس ونورها وحرارتها .

١ - فالآب لاهوت وهو الخالق .

٢ - والابن جمع بين اللاهوت والناسوت وهو القادى .

٣ - والروح القدس لاهوت محض وهو المظهر المنبثق من الآب . الناظر إلى هذه الثلاثة يجدها منفصلة ، ولكنهم يقولون إنهم إله واحد ، يقولون إنهم ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة .

وهذا أمر معقد لا يستقيم مع العقل والمنطق السليم ، لذلك يقولون أن هذه العقيدة فوق العقل ، مع أن الثابت بالأنجيل المتداولة أن المسيح عليه السلام كان شديد الرغبة في العبادة أو الصلاة لله ، ولو كان إلهاً ولاستحال ذلك لأن الإله لا يعبد نفسه .

ألوهية المسيح :

بعد ذهاب السيد المسيح لقي المسيحيون الأول صنوفاً من الاضطهادات المدمرة على يد اليهود والرومان الوثنيين قرابة ثلاثة قرون ، حتى لقد تهمت

كثيراً (١) من كتبهم ومراجعهم، وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت ، ففقدت المسيحية طابعها البسيط السهل وامتلاّت بكثير من الخرافات مزوجة بالثقافات الوثنية التي كانت تسود الشعوب التي دخلت في المسيحية أو النصرانية وقتئذ ، كالمصريين واليونانيين والرومانيين ، خصوصاً ما اتصل بالمسيح نفسه ، فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل الذين سبقوه ، وراه آخرون إلهاً ، وراه فريق ثالث أنه ابن الله ، له صفة القدم ، فهو أكبر من رسول له صلة خاصة بالله ، وهكذا تباينت نحلهم واختلقت مذاهبهم ، وكل واحدة تدعى أنها هي المسيحية الحقّة ، واختلّفوا في ذلك اختلافاً شديداً اضطر معه الإمبراطور قسطنطين ، الذي قيل أنه اعترّم الدخول في النصرانية ، إلى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية .

وتصادف في نفس الزمن أن كان الخلاف على أشده بين كنيسة الإسكندرية وعلى رأسها البطريرك بطرس وبين القسيس آريوس المصري ، إذ كان هذا الأخير داعية قوى الحجة جريئاً واسع الحيلة ، فقاوم كنيسة الإسكندرية، فيما بثته بين المسيحيين من أفكار تقوم على ألوهية المسيح، فحارب تلك الأفكار ناشراً فكرة الوجدانية ، مقرأً بوحدة المعبود ، منكرأ ما جاء في بعض الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية .

١ - ويقول ابن البطريرك عن آريوس أنه كان يقول : إن الأب وحده الله والابن مخلوق مصنوع وقد كان الأب إذ لم يكن الابن .

٢ - ويقول مؤلف تاريخ الأمة القبطية في كتابه « الذنب ليس على آريوس بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد هذه البدع ، فأخذ هو عنها ، ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً كما كان تأثير آريوس الذي جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية حتى انتشر هذا التعليم وعم » .

٣ - ولقد كان لرأى أريوس في إنكار ألوهية المسيح واعتباره مخلوقاً أنصاراً كثيرين ومشايخون عدليدون (١).

(أ) فقد كانت كنيسة أسيوط على رأيه وعلى رأسها ميلتوس .

(ب) وكان أنصاره يغلبون في نسبتهم العديدة في مدينة الإسكندرية أقوياء من حيث المجاهرة بما يعتقدون .

(ج) بل تعدى الأمر ذلك النطاق المحدود في مصر ، إذ كان لرأيه مشايخون كثيرون في فلسطين والقسطنطينية ومقدونيا .

ما هي الحجة التي استند إليها بطريرك الإسكندرية لمقاومة أريوس :

١ - عندما أراد بطريرك الإسكندرية بطرس القضاء على فكرة أريوس لم يلجأ إلى الجدل والمناقشة ، لافتقاره إلى الحجة المقنعة القوية ، وتوقع غلبة أريوس عليه ، لذلك عمد إلى لعنه وطرده من حضرة الكنيسة ، بل ونفيه استناداً إلى زعمه بأنه رأى في مناهه المسيح يتبرأ من أريوس ويلعنه ، لذلك فهو ينصح المسيحيين ويقول لهم إن السيد المسيح لعن أريوس هذا فاحذروه ، فإني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب ، فقلت له : يا سيدى من شق ثوبك ؟ فقال : أريوس ، فاحذروا أن تدخلوه معكم (٢) .

٢ - لما ولى أمر كنيسة الإسكندرية البطريرك إسكندر ، رأى أن الرؤى والأحلام والنفى لم تقض على أفكار أريوس بين الناس ، لذلك أخذ يعالج المسألة بنوع من الحيلة والصبر ، فكتب إلى أريوس وأنصار رأيه يدعوهم إلى اعتناق رأى كنيسة الإسكندرية ، ولما لم تجد محاولته نفعا عقد مجتمعا في كنيسة الإسكندرية حكم فيه على أريوس بالحرمان ، إلا أن أريوس لم يخضع له ، بل غادر الإسكندرية إلى فلسطين .

(١) محاضرات في النصرانية - للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) المرجع السابق .

٣ - لما تفاقم الخلاف بين آريوس وبطريرك الإسكندرية ، حاول الامبراطور قسطنطين التدخل في الأمر للوفاق بينهما ، وقد جمع بينهما ، ولكنهما لم يتفقا فدعا إلى عقد مجمع نيقية سالف الذكر للنظر في أمر هذا الخلاف أيضا .

كيف انعقد مجمع نيقية :

يقول ابن البطريق المؤرخ المسيحي في وصف ذلك « بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطارقة والأساقفة فاجتمع في مدينة نيقية ٢٠٤٨ من الأساقفة وكانوا مختلفين في الآراء والأديان :

١ - فمنهم من كان يقول أن المسيح وأمه إلهان من دون الله ويسمون المريميين .

٢ - ومنهم من كان يقول أن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها ، وهي مقالة سابليوس وشيعته .

٣ - ومنهم من كان يقول أن مريم لم تحبل به تسعة أشهر ، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها وهي مقالة إيليان وأشياعه .

٤ - ومنهم من كان يقول أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره ، وأن ابتداء الابن من مريم ، وأنه اصطفى ليكون مخلصا للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية ، وحلت فيه بالحبة والمشيمة ، ولذلك سمى ابن الله ، ويقول أن الله جوهر قديم واحد ، وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ، ولا بروح القدس ، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريرك أنطاكية وأشياعه ، وهم البوليفانيون .

٥ - ومنهم من كان يقول أنهم ثلاثة آلهة لم تزل ، صالح وطالح وعدل

(٣ م - النصرانية والإسلام)

بينهما . وهى مقالة مرقيون وأصحابه . وزعموا أن مرقيون هو رئيس
الحواريين وأنكروا بطرس .

٦ - ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح ، وهى مقالة بولس الرسول .
ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا من ٢٠٤٨ ممن اجتمع فى مؤتمر نيقية
سنة ٣٢٥ م .

ماذا دار فى مجمع نيقية :

اختلف المجتمعون فى هذا المجمع اختلافاً كبيراً ، ولم يتفقوا على رأى
مما أثار عجب الإمبراطور قسطنطين ، ولما كان الإمبراطور قسطنطين نفسه
ممن يميل مع القائلين بألوهية المسيح طبقا لما زعمه بولس الرسول ، فقد اختار
من المجتمعين ٣١٨ أسقفا من أشد المتعصبين لرأيه ، وألف منهم مجلسا
خاصا خوله إصدار ما يراه من قرارات . ويقول فى ذلك ابن البطريق
المؤرخ المسيحى « وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفا مجلسا خاصا
عظيما ، وجلس فى وسطهم ، وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم
وقال لهم : قد سلطتكم اليوم على ممالكى لتصنعوا ما ينبغى لكم أن تصنعوا
مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين . فباركوا الملك ، وقلدوه سيفه وقالوا له :
أظهر دين النصرانية ، وذب عنه . ووضعوا له أربعين كتابا فيها السنن
والشرائع ، منها ما يصلح للملك أن يعملها ويعمل به ومنها ما يصلح للأساقفة
أن يعملوا به » .

قرارات مجمع نيقية :

يتبين مما سبق كيف أن مجمع نيقية أصدر قرارات ضمنها أربعين كتابا
فيها السنن والشرائع . ويهمننا من هذه القرارات القرارات الآتية :

١ - قرار خاص بإثبات ألوهية المسيح وتقرير عقيدة التثليث .

٢ - تكفير من يذهب إلى أن المسيح إنسان .

٣ - تكفير آريوس وحرمانه وطرده ، وهو الذى أشرنا إليه بأنه كان

قسيسا في كنيسة الإسكندرية حينئذ ، حيث كان يعتقد وينادي بأن المسيح مجرد بشر مخلوق ، وليس لها أو ابنا لله .

٤ - إحراق جميع الكتب التي لا تقول بألوهية المسيح . أو تحريم قراءتها ، ومن هذه الكتب أناجيل فرق التوحيد التي تقرر بشرية المسيح وأنه رسول فقط ومنها إنجيل برنابا .

وقد ذكر صاحب كتاب (تاريخ الأمة القبطية) بيان مجمع نيقية عن العقيدة التي فرضها المجمع بمعاونة سلطان الدولة الرومانية على المسيحيين ، وهاك نص هذا البيان :

« إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شيء ، أو من يقول إن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الله الأب ، وكل من يؤمن أنه خلق أو من يقول إنه قابل للتغيير ويعتريه ظل دوران » .

تقييم قرارات مجمع نيقية والملاحظات عليها :

١ - إن الملاحظ أن المدعويين إلى هذا المجمع رسمياً من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية وقتئذ كان ٢٠٤٨ أسقفاً ، لكن من أصدر قراراته النهائية لم يتجاوز ٣١٨ أسقفاً .

٢ - كيف يصدر هؤلاء وهم ٣١٨ أسقفاً قرارات نلتزم بها الكنائس المسيحية جميعاً ، في حين أن آريوس طبقاً لما ذكره الرواة عنه لما ألقى بدعوته وجادل عن فكرته انضم إليه أكثر من ٧٠٠ أسقف ، وهذا العدد هو أكبر عدد نالته نخلة من تلك النحل المختلفة ، فلو كانت النضرة بالكثرة النسبية لكان الواجب أن تكون الغلبة لآريوس الذي احتج بما تحت أيديهم من أناجيل ، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح قرر تحريفها .

٣ - روى مؤرخو المسيحية أيضاً أن عصا السلطان ورهبة الملك كان لهما دخل كبير في إصدار القرار بألوهية المسيح ، لأن هؤلاء المجتمعين على ذلك وهم ٣١٨ لم يكونوا مجتمعين على القول بألوهية المسيح ، لكن سلطان الترهيب والترغيب في جانب الإمبراطور قسطنطين امتنع خلافهم ، فأمضوا ما سبق ذكره من قرارات ، وبذلك قرروا ألوهية المسيح ، وقسروا الناس عليها بقوة السيف ورهبة الحكام .

٤ - ويستخلص من كل ذلك أن المجمع قرر أن تعاليم المدين المسيحي لا يتلقاها الناس من كتب المسيحية رأساً ، بل لابد من تلقيها من المجامع الرسمية المشكلة من رجال الكهنوت ، وأن أقوالهم في ذاتها حجة سواء أخالفت النصوص أم وافقت ، وسواء كانت صواباً أم جافت الحق .

٥ - أن المجمع أمر بإحراق الكتب التي تخالف رأيه ، وتتبعها في كل مكان وحث الناس على تحريم قراءتها ، فهو بهذا يمنع أن يصل إلى الناس علم بأى أمر من الأمور التي تخالف رأيه ، ويحاول التحكم في القلوب والسيطرة على النفوس ، يحملها على قراءة ما وافق رأيه ومنعها بتاتاً من أن تقرأ غيره ، وهو مخطيء في ذلك ، بدليل أن المجامع التي تلتته دمغته وخطأته فأعادت إلى حظيرة التقديس كتباً حرمها ، بل أعادت تلك المجامع كتباً حرمها المجمع المسكوني الأول ، من كتب العهد القديم ، بل وكتباً من كتب العهد الجديد أيضاً ، وهي رسالة بولس إلى العبرانيين ، والرسالة الثانية لبطرس ، والرسالة الثانية والثالثة ليوحنا ، ورسالة يعقوب ورسالة يهوذا ، ومشاهدات يوحنا ؛ فإذا كان المجمع المسكوني الأول قد أخطأ في معرفة الصحيح من الكتب فأراؤه الأخرى ، خصوصاً ما تعلق بألوهية المسيح وغيرها ، أكثر عرضة للخطأ ، وهذا ما حدث فعلاً في مجمع صور الذي سيأتي ذكره فيما بعد .

ما هو السر في تدخل الإمبراطور قسطنطين شخصياً لإصدار قرارات مجمع نيقية على الصورة التي صدرت عليها؟

يتناقل الرواة والمؤرخون أن قسطنطين إمبراطور الدولة الرومانية وقتئذ وإن كان المشهور عنه أنه كان مسيحياً ، إلا أنه وقت انعقاد المؤتمر لم يكن قد دخل المسيحية بعد ، فأيد الرأي بألوهية المسيح ، حتى يقرب المسيحية من وثنيته ، فهو رجح ما هو أقرب إلى الوثنية لوثنيته ، دون أى حجة له في ذلك .

ومما يؤيد هذا الرأي أن المؤرخ أبوسينيوس الذي تقدس الكنيسة كلامه وتسميه سلطان المؤرخين يقول « إن قسطنطين عمدا حين كان أسير الفراش ، وأن الذي عمده هو ذلك المؤرخ نفسه وقد كان له صديقاً » .

ومعنى ذلك أن قسطنطين ما كان مسيحياً في إبان انعقاد مجمع نيقية بل صار مسيحياً وهو على فراش الموت ، إذ التعميد إعلان دخول المسيحية (١) .

مجمع صور :

يذكر ابن البطريق المؤرخ المسيحي أن البطريق أوسابيوس أسقف نيقومدية كان موحداً من مناصري آريوس في المجمع العام قبل أن تبعده عنه كثرتة ، ولعن من أجل هذا ، وأراد أن يتقرب من قسطنطين ، فأظهر له أنه وافق على قرار الثمانية عشر والثلاثمائة فأزال قسطنطين عنه اللعنة وجعله بطريرك القسطنطينية ، فما إن ولى هذه الولاية حتى صار يعمل للوحدانية (٢) في الخفاء فلما اجتمع المجمع الإقليمي في صور وحضره هو وبطريرك الإسكندرية الذي كان يمثل فكرة ألوهية المسيح ، ويدعو إليها ، وينفرد من بين البطارقة بالمبالغة في الدعوة إليها ولعن كل من يقاومها ، انتهز البطريق أوسابيوس فرصة ذلك الاجتماع ، وأثار مقالة آريوس ورأيه في

(١) محاضرات في النصرانية - للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) المرجع السابق .

المسيح ، وإنكار ألوهيته ، وكان في ذلك المجمع كثيرون من الموحدين المستمسكين به ، إذ لم يختاطوا بإبعادهم كما فعلوا في المجمع العام نيقية ، واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الإسكندرية وبين المجتمعين ، حتى وصل إلى الاعتداء عليه وعلى رأسه بالضرب ، حتى كادوا أن يقتلوه ، ولم يخلصه من أيديهم إلا ابن أخت الملك الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع ، ولكن لما بلغ ذلك الإمبراطور قسطنطين كرمه ، هذا وقد أصدر مجمع صور قراره الفذ وهو وحدانية الله وأن المسيح رسوله فقط (١) .

ما يستنبط من ذلك المجمع من نتائج :

١ - أولى هذه النتائج أن أهل المسيحية الأولى كانت كثرتهم الغالبة من الموحدين المتحمسين لوحداية الإله ، إذ كانوا في مجمع نيقية الكثرة ، وكانوا يناصرون رأى آريوس في عقيدة التوحيد ، ويعارضون التثليث وألوهية المسيح ، وفي مجمع صور الإقليمي كانوا جميعاً موحدين ما عدا بطريرك الإسكندرية ، وإذا كان الأمر كذلك فلا بد أن يكونوا الكثرة في جمهور المسيحيين وقتئذ .

٢ - أن أصل عقيدة المسيحية هو التوحيد الخالص ، وأن فكرة ألوهية المسيح هي العارضة ، إلا أن الإمبراطور قسطنطين كان يشجع دائماً المخالفين لعقيدة التوحيد حينئذ إلى عقيدته الوثنية .

٣ - أن مجمع صور الذي عقد بعد مجمع نيقية بسنين قليلة خالف كل المخالفة مجمع نيقية الذي تنازل عدده من ٢٠٤٨ أسقفاً إلى ٣١٨ عند تقريره عقيدة التثليث وألوهية المسيح .

٤ - أن كنيسة الإسكندرية وحدها ، هي موطن الدعاية لألوهية المسيح ، ولم تتمكن من السيطرة برأيها على العالم المسيحي الذي كان يدين أكثره بعقيدة التوحيد حتى في إقليم مصر نفسها ، ويقول في ذلك ابن البطريق عن العصر الذي تلا عصر قسطنطين « في ذلك العصر غلبت مقالة آريوس على القسطنطينية ، وإنطاكية وبابل والإسكندرية » . وعن أهل مصر

(١) المرجع السابق .

يقول « فأما أهل مصر والإسكندرية فكان أكثرهم آريوسيين فغلبوا على كنائس مصر والإسكندرية وأخذوها ووثبوا على أثناسيوس بطريرك الإسكندرية ليقتلوه فهرب منهم واختفى (١) .

لماذا لم تتغلب آراء الموحدين على أفكار أنصار عقيدة التثليث :
أخذت الدولة الرومانية مستعينة في ذلك بقوة سلطانها، فعينت في مناصب الأساقفة من لم يكونوا موحدين متخذة في ذلك كل الاحتياط ، فاختمى مذهب الوحدانية الحق في لجة التاريخ ، حتى أنه لا يوجد حالياً في جميع أنحاء العالم المسيحي كنيسة واحدة لا تقول بالتثليث .

ما هو السر في تشبث كنيسة الإسكندرية بعقيدة التثليث :
السبب في ذلك أن كنيسة الاسكندرية كانت تعتنق المذهب الاسكندراني ، وهو المذهب الفلسفي الذي نادى به مدرسة الإسكندرية التي كان يتزعمها أفلوطين في القرن الثالث الميلادي ، وإليه تنسب الأفلوطينية الحديثة ، وكانت آراؤها في العقيدة الإلهية تركز على الثالوث المكون من الله والعقل والروح ، وقد امتدت جذور الثالوث الأفلوطيني حتى عقيدة المصريين القدماء في آمون ورع طبقاً لما حكاه المستر وليم أوكسلي في كتابه (مصر وعجائب أرض الفراعنة) أن قدماء المصريين كانوا يعتقدون بأوزوريس كاعتقاد المسيحية بالمسيح تقريباً (٢) .

ما هي الأسس التي استند إليها مجمع نيقية في تقرير ألوهية المسيح :
يقرر بعض المسيحيين أن الأسس التي أدت إلى اتخاذ هذا القرار الخطير هي ما ورد في كتبهم المقدسة طبقاً للآتي :

(أ) يروى متى في الإصحاح ٢٦ عدد ٦٣ و ٦٤ حكاية عن رئيس الكهنة عندما سأل المسيح « وأما يسوع فكان ساكتاً ، فأجاب رئيس الكهنة

(١) المرجع السابق .

(٢) (محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن) المؤلف .

وقال له ، أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله قال له يسوع أنت قلت .

(ب) ما رواه متى فى إنجيله بالإصحاح ٣ عدد ١٧ عن الله « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » .

(ج) وقول يوحنا فى إنجيله فى وصف المسيح لإصحاح ١ عدد ١ ، « فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله . وكان الكلمة الله .. » عدد ٣ « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » وعدد ١٤ « والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجدداً كما لو حيد من الأب مملوءاً نعمة وحقاً » .

(د) وفى أعمال الرسل لإصحاح ٨ عدد ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ حكاية عن فيلبس أحد الحواريين عندما كان يسير مع خصى فراء بماء فطلب الخصى من فيلبس أن يعمده فقال فيلبس إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز . فأجاب وقال أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن الله . فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصى فعمده .

(هـ) قد يقول قائل النصرانية أن التثليث يستند إلى ما ورد بإنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ من قول منسوب للمسيح « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » .

نقد ومناقشة هذه الأسس :

١ - إن ما يرويه متى أو يوحنا لا يمكن أن يعتبر دليلاً على مثل هذا الأمر الخطير ، وهو اعتبار المسيح إلهاً ، وبخاصة إذا اتضح أن هذه الأناجيل من صنع متى ويوحنا أو من صنع الأجيال المتعاقبة ونسبت إليهم ، لأن الصلة بين إنجيل عيسى المسيح وهذه الأناجيل مقطوعة ، والصلة بين هذه الأناجيل والذين نسبت إليهم تكاد تكون مقطوعة أيضاً .

٢ - مما يؤكد هذا انظر أن الكاتب الكبير كالتوف Kalthoff أبان أن الاعتقاد بالوهية المسيح سبق كتابة الأناجيل ، فالاعتماد على الأناجيل

لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيد عن الصواب ، لذلك نراه يقول « إن صورة المسيح بكل معالمها وملاحظها أعدت قبل أن يكتب سطر واحد من الأناجيل ، وأن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) التي كانت إذ ذاك مسيطرة ، وكانت آراؤها شائعة وتكاد تكون عامة أو عالمية » .

٣ - يثبت بيفليديريبر Pfliederer المصادر الحقيقية للاعتقاد بألوهية المسيح فيقول : إن معالم التنبؤ عند اليهود ، وعظات الأبحار ، والخيال الشرقي ، والفلسفة الإغريقية قد اختلطت كل ألوانها ، ومن هذه الأصباغ جاءت صورة المسيح التي ظهرت في العهد الجديد ، وكل ما يمكن تقريره دون تردد ، هو أن تصور المسيح ورسمه كان الهدف الوحيد للمسيحية في عهدها الأول كما كان هدف دعائها .

٤ - أن كلمة ابن الله ، أو قول الله تعالى « هذا ابني الحبيب » لو صح هذا أو ذلك لما كان دليلاً قط على ألوهية المسيح ، فإنه استعمال مجازي معناه التكريم والطاعة ، ونظيره إطلاق الأناجيل على العصاة أنهم أبناء الشيطان مع أنهم أبناء آدم ، والغرض من ذلك أنهم يطيعون الشيطان كطاعة الأبناء للأباء .

٥ - ويقول H.D.A.Mazor مدير ريبون هول - أكسفورد : ينبغي أن يلاحظ أن عيسى لم يدع أنه ابن الله من الناحية الحسية الجسمانية ، ولا من الناحية الفكرية العقلية ، وإنما من الناحية العامة التي تضع كل الناس من الله بمنزلة الأبناء من الأب في التعلق به والاعتماد عليه والحاجة إليه .

٦ - وردت في الأناجيل التي يعتمد المسيحيون عليها في إثبات البنوة عبارات كثيرة تقرر توحيد الله ، وتفيد بوضوح أن المسيح نبي وبشر رسول ، وذلك دليل قاطع على أن المراد من البنوة غير ما فهموه ، بل المراد منها الطاعة والمحبة والاعتماد على الله والحاجة إليه كحاجة الابن إلى أبيه ، وإليك بعض هذه العبارات :

(أ) جاء في إنجيل متى لإصحاح ٢١ عدد ١١ « فقالت الجموع : هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل » .

(ب) وجاء في الإنجيل السابق لإصحاح ٢٣ عدد ٩ « ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات » وهنا نسبت البنوة إلى البشر، ولم يختص بها المسيح فهل البشر يساؤون المسيح فى البنوة لله على النحو الذى فهموه ، فإن قالوا هى بنوة الحاجة والطاعة قلنا بنوة المسيح كبنوتهم .

(ج) وجاء فى إنجيل مرقس لإصحاح ١٢ عدد ٢٩ « فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد » وفى عدد ٣٢ « فقال له الكاتب جيداً يا معلم بالحق قلت لأنه الله واحد وليس آخر سواه » .

(د) ورد فى إنجيل لوقا لإصحاح ٧ عدد ١٦ ، ١٧ « فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائدين: قد قام فىنا نبي عظيم، وافتقد الله شعبه. وخرج هذا الخبر عنه فى كل اليهودية وفى جميع الكورة المحيطة » .

(هـ) كما ورد فى الإصحاح ١٣ عدد ٣٣ من الإنجيل السابق وكذلك فى عدد ٣٤ « بل ينبغي أن أسير اليوم وغداً وما يليه لأنه لا يمكن أن يهلك نبي خارج عن أورشليم، يا أورشليم يا أورشليم ، ياقاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجاة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا » .

(و) وجاء فى إنجيل يوحنا لإصحاح ٦ عدد ١٤ « فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع ، قالوا هذا بالحقيقة النبي الآتى إلى العالم » .

(ز) وجاء فى الإنجيل السابق لإصحاح ٧ عدد ٤٠ ، ٤١ « فكثيرون من الجمع لما سمعوا هذا الكلام قالوا: هذا بالحقيقة هو النبي ، آخرون قالوا هذا هو المسيح » .

(ح) يروى يوحنا عن عيسى لإصحاح ٢٠ عدد ١٨ قوله « ولكن اذهبي إلى إخوتي وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهي وإلهكم » .

(ط) وفي رسالة أعمال الرسل لإصحاح ٣ عدد ٢٢ ، ٢٤ أن موسى قال للآباء الآتي « فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلي سيقم لكم الرب إليكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به » « وجميع الأنبياء أيضاً من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام » .

٧ - أن بولس نفسه استعمل هذا التركيب « ابني الحبيب » استعمالاً مجازياً في رسالة كورنثوس الأولى . قال بولس عن تيموثاوس « لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذي هو ابني الحبيب » . مع أنه ليس ابنه .

(انظر رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس لإصحاح ٤ عدد ١٧) .

٨ - يقول العالم هارناك Hornack في شخصية المسيح « ووصف إله السماء والأرض بأنه إلهه وأبوه وبأنه الأعظم والإله الواحد . وأن المسيح يعتمد عليه في كل شيء ، وأن خضوعه له تام ، ويدخل عيسى نفسه ضمن الناس معلناً أنه من طبيعة البشر التي تختلف عن طبيعة الله (الذات الإلهية) »

٩ - ورد في دائرة المعارف البريطانية ما نصه ، « ولم يدع عيسى قط أنه من عنصر فوق الطبيعة ولا أن له طبيعة أسمى من طبيعة البشر ، وكان قانعاً بنسبه العادي ابناً لمريم منسوباً من جهة الأب إلى يوسف النجار » .

١٠ - أن العبارة المنسوبة للمسيح وهي « عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » الواردة في إنجيل متى ص ٢٨ عدد ١٩ لا تفيد أدنى دلالة على التثليث بمفهوم النصرانية ، بل إنها تشير إلى تكليف التلاميذ بتعليم أبناء الأمم ، معرفة الآب وهو الرب الواحد الأحد الذي لا شريك له لأن معنى الآب هو الله ، ومعرفة الابن أي المسيح بمعناه الذي حدده هو عن نفسه بالرسالة أو التعليم من الله ، وباسم الروح القدس أي معرفة الوحي الذي أنزل على المسيح وعلى من كان قبله من الأنبياء والمرسلين (١) ، بل إن كلمة

(١) كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية النصرانية بقلم الشيخ عبد الله العلمي الغزي الدمشقي .

أقوم كما قدمنا آنفاً لا توجد إطلافاً ، في جميع أسفار العهد القديم والعهد الجديد (١) .

النتيجة والخلاصة :

١ - من كل ذلك يتضح أن فلسفة مدرسة الإسكندرية التي كانت تعتنق مذهب أفلوطين وفلسفة الإغريق هما اللتان دفعا المسيحيين إلى القول بالوهية المسيح أو القول بتعدد الآلة .

٢ - ويؤكد هذا النظر العالم هارناك إذ يقول أن تعدد الآلة هو من عمل أتباع المسيح وهو بعيد كل البعد عن عمل المسيح وقوله .

٣ - ويقول السيد محمود أبو الفضل في كتابه (وحدة الدين والفلسفة والعلم) : إن الاضطهاد الذي لاقاه المسيحيون في عهدهم الأول دفعهم إلى الهجرة ، فرحل بعضهم إلى الإسكندرية حيث أخذوا من مدرستها ، ورحل البعض إلى روما فأخذوا عن الوثنية الرومانية ، ومن هذين المعينين ، جاءت المسيحية الحديثة .

الروح القدس وتقرير ألوهيته :

الروح القدس في عرف المسيحيين هو الروح الذي حل على العذراء لدى البشارة لها ، وعلى المسيح في العماد ، وعلى الرسل بعد صعود المسيح إلى السماء .

أما في نظر المسلمين فإن الذي أرسل إلى العذراء بالبشارة بولادة عيسى عليه السلام هو الملك جبريل عليه السلام (٢) .

ومجمع نيقية بعد أن قرر مبدأ التثايت وألوهية المسيح لم يتعرض لألوهية الروح القدس ، بل نص ذلك الاجتماع على ترك الحرية للناس في الاختلاف

(١) انظر صفحة ٢٨ من هذا الكتاب .

(٢) المسيحية : مقارنة الأديان - للدكتور أحمد شلبي .

على الروح القدس ، وفي ضوء هذه الحربة وجد اتجاهان يتصارعان هما :
١ - كنيسة الإسكندرية إذ تترجم القول بالثالوث ، أي أن المسيطر
على العالم قوى ثلاث : الله وهو المكون الأول - العقل (الابن) - والنفس
العامة (الروح القدس) .

٢ - أسقف القسطنطينية مقدونيوس يناصره بعض القسس ومنهم
الأسقف أوسابيوس الذي أنكر وجود (الأقانيم) الثلاثة إذ أعلن أن الروح
القدس ليس بإله ولكنه مخلوق مصنوع .

وإزاء هذا الخلاف استدعى الأمر عقد مجمع جديد ، فعقد الإمبراطور
تاوديوس الكبير مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية ولم يحضره إلا ١٥٠
أسقفاً فقط وقرر المجمع الآتي :

١ - حرمان الأسقف مقدونيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط
كل منهما من رتبته .

٢ - تقرير ألوهية الروح القدس ، وبذلك اكتمل بنيان الثالوث
في نظرهم ، وصار الأب ويعنون به الله ، والابن ويعنون به المسيح
ثم الروح القدس ، وكل من هذه الثلاثة أقنوم (أي شخص) إلهي .

ما هو الأساس الذي قرر المجمع عليه ألوهية روح القدس ؟

قدم بطريرك الإسكندرية وقتئذ تفسيراً لهذا المبدأ إلى المجتمعين في
المجمع فوافقوا عليه وهو الآتي :

« ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله ، وليس روح الله
شيئاً غير حياته ، فإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا إن روح الله
مخلوق ، وإذا قلنا إن روح الله مخلوقة قلنا أن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا
أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي ، فقد كفرنا به ، ومن كفر به
وجب عليه اللعن » .

نقد الأساس الذي وافق عليه مجمع القسطنطينية بأوهية الروح القدس :
من النظر في السلسلة السابقة التي قدمها بطريرك الإسكندرية يتضح
الآتي : -

١ - أن مقدمة هذه السلسلة وهي أن روح القدس هي روح الله أي
حياته مقدمة ساقطة خاطئة لا يوافقها عليها أهل العلم والكتب المقدسة وخصوصاً
القديم منها، وعارية عن الدليل عليها . والعقيدة الصحيحة هي أن روح القدس
خلقه الله واتخذ له رسولاً بينه وبين من يريد أن يلتقى عليه وحيّاً من
خلقه أو أمراً كونياً ، والدليل على ذلك ما ورد في العهد القديم والجديد :

(أ) في سفر العدد إصحاح ١١ عدد ٢٥ حاكياً عن موسى
عنده السلام :

« وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين رجلاً الشيوخ فلما
حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا » أي فلما نزل عليهم الملك
بانوحى تنبأوا .

(ب) ورد في سفر أشعيا عليه السلام إصحاح ١١ عدد ١ وما بعده .

« ويخرج قضيب من جذع يسي ويثبت غصن من أصوله ويحل عليه
روح الرب » .

(ج) ورد في إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢٥ « سمعان عليه روح
القدس » .

ولو كان كل من يتصف بصفة الروح أو من عليه الروح إلهاً لاشارك
في الألوهية مع المسيح السبعون رجلاً الشيوخ من بنى إسرائيل مع موسى
وسمعان وغيره ممن تأيدوا بالروح .

٢ - ولكن هذا المجمع لم يكن يفكر ولم يجتمع ليناقد ، مع
أن المقدمات الواردة بتفسير بطريرك الإسكندرية غير مسلم بها (١)

(١) محاضرات في النصرانية - للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

ونتاؤها غير مرتبة ولا مبنية بالضرورة على المقدمات ، لذلك فإن المجمع ما اجتمع إلا ليتخذ قراراً مبيتاً قبل اجتماعه ، ولذلك سرعان ما اتخذوا قرارهم بألوهية الروح القدس وباعن من يقول بغير ذلك .

٣ - ومرة أخرى فرض هذا القرار فرضاً على المسيحيين ، وعذب ولعن من خالفه وحرّم من الوظائف، وصودرت آراؤه وقتلت .

ما قاله ابن البطريق أحد المؤرخين المسيحيين في إثبات قرار ألوهية روح القدس وشرحه . يقول ابن البطريق : « زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائة والثانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية - الإيمان بروح القدس المحيي المنبثق من الآب ، الذي هو مع الآب والابن مسجود له وممجّد ، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ، وثلاثة وجوه ، وثلاث خواص ، وحادية في تثليث وتثليث في وحادية ، كيان واحد في ثلاثة أقانيم ، إله واحد ، جوهر واحد ، طبيعة واحدة » (١) .

هل اكتفى رجال الكنيسة بهذا الثالث على هذا الوضع :

لم يكتب بعض رجال الكنيسة بهذا الثالث على هذا الوضع السابق شرحه ، بل تراهم كأنهم تصوّروا منافسة بين الله جل جلاله وبين المسيح ، فلم يقنعوا بأن يكون الروح القدس منبثقاً من الآب بل عقدوا مجعماً آخر هو مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ ميلادية ، وقرروا أن الروح القدس منبثق من الابن أيضاً (٢) وهذا مناقض لما قالوه سابقاً من أنه هو الذي حل على العذراء لدى البشارة لها ، وعلى المسيح عند العماد ، فمتى يفيق هؤلاء المساكين .

ولم تقبل الكنيسة اليونانية هذه الزيادة الجديدة وكذلك الكنيسة القبطية بمصر ولا تزال عبارة « ومن الابن أيضاً » موضع خلاف بين الكنيسة اليونانية والقبطية وبين الكنيسة الكاثوليكية وسبباً لعدم الالتقاء بينها .

(١) كتاب محاضرات في النصرانية للمرحوم الشيخ محمد أبو زهره .

(٢) المسيحية - مقارنة الأديان - للدكتور أحمد شلبي .

ويقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه القيم مقارنة الأديان (المسيحية) .
وهكذا اتخذت تلك المجامع سلطة صنع الآلهة - (بالعجب العجاب) .
ثانياً : صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ، وهو الأساس الثاني
في عقيدة المسيحية ، ويعبر عنه في لغة المسيحيين بظهور الله في الجسد ،
حيث جاء بالشكل المنسوب للمسيح . وأساس هذا العنصر الثاني عند
المسيحيين أن من صفات الله العدل والرحمة فبمقتضى صفة العدل كان على
الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوه وطردها من
الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها .

وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر .

ولم يكن هناك طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله
ووحيدة وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان
ثم يصلب ظالماً ليكفر خطيئة البشر ، وهذا ما يعبر عنه النصرى بالخلع .
وهنا تمت المصالحة بين الله والناس .

ويدلل المسيحيون على ذلك بالآتي :

١ - ما ورد بإنجيل مرقس الإصحاح ١٠ عدد ٤٥ « لأن ابن الإنسان
أيضاً لم يأت ليخدم ، بل ليخدم وليذل نفسه فدية عن كثيرين » .

٢ - ما ورد بإنجيل يوحنا إصحاح ٣ عدد ١٧ « لأنه لم يرسل الله ابنه
إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم » .

٣ - رسالة رومية إصحاح ٣ عدد ٢٤ ، ٢٥ وما بعدها « متبررين
مجانياً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه
لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال إلى الله » .

٤ - رسالة رومية إصحاح ٥ عدد ١٠ « لأنه إن كنا ونحن أعداء قد
صولحنا مع الله بموت ابنه لأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته » .

٥ - رسالة رومية لإصحاح ٦ عدد ٦ « عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيئة كي لا نعود نستعبد أيضاً للخطيئة » .

ما قاله الأب بولس إلياس الخورى عن عقيدة الصلب والفداء :

أعلن ذلك الأسقف المسيحى فى جرأة أن بولس الرسول هو مبتدع هذه الفكرة ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها ، وإليك كلماته (١) :

« ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التى ملكت على بولس مشاعره فعبّر عنها فى رسائله بأساليب مختلفة هى فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق بهم هو ما حمّله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوى إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هى التى هيمنت على إنجيل لوقا » .

وصف عملية التنكيل والتعذيب التى مر بها عيسى قبل صلبه (كما يقولون) :

يصور إنجيل متى هذه العملية فى الإصحاح ٢٧ عدد ٢٢ وما بعد هاطبقاً للآتى :

« فقال الوالى للشعب ، ماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ، قال له الجميع ليصلب ، فقال الوالى وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين ليصلب ، فلما رأى پيلاطس أنه لا ينفع شيئاً بل بالجرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلاً إني برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا ، حينئذ ، أطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده وأسلمه للصلب ، فأخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة فعروه وألبسوه رداء قرمزياً ، وضفروا إكيبلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه ، وكانوا يمشون قدامه ويستهزئون به قائلين ، السلام عليك يا ملك اليهود ، وبصقوا

(١) كتاب (يسوع المسيح) للأب بولس إلياس الخورى .

في وجهه ، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه ، وبعد أن استهزءوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب ، وأعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب ، ولما ذاق لم يرد أن يشرب .

كما وصف إنجيل مرقس في الإصحاح ١٤ تلك العملية بمثل ذلك التصوير البشع مع اختلاف وتضاد . ولذا يقول الأستاذ المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار (١) :

إن الأناجيل الأربعة اختلفت اختلافاً كبيراً في إيراد هذه القصة ، وإن الإنسان ليتماكه العجب في اختلاف تلك الأناجيل الأربعة على أساس هام من أسس ديانتهم ، ولو صح أن هذا أساس وأن المسيح أنبأ به لكان اهتمامهم بتدوينه متساوياً أو متقارباً في تلك الأناجيل ، لكن تلك النصوص عن هذه الواقعة جاءت وبها من أوجه التضاد ما يسقط قيمة الاستدلال بها ، وبالتالي يسقط قيمة هذه الفكرة من أساسها .

مناقشة صريحة لفكرة الصاب والفداء :

يقول المسيحيون أن أساس هذا الصاب هو صفة العدل ؛ إذ كان على الله بمقتضى هذه الصفة أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم . لكن بمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر . لكن يعترض على ذلك بما يأتي :

١ - أين كان عدل الله ورحمته منذ طرد آدم من الجنة حتى صلب المسيح . فهل كان الله حائراً بين العدل والرحمة آلاف السنين ، حتى قبل المسيح منذ ألقى عام أن يصلب للتكفير عن خطيئة آدم ؟

٢ - يقرر المسيحيون أن نزول ابن الله وصلبه كان ضرورياً للتكفير عن خطيئة البشر . فليت شعري كيف ضاقت الأمور على رب البشر في نظرهم حتى استحال عليه أن يجد طريقاً آخر ووسيلة أخرى من الممكن

(١) قصص الأنبياء - للأستاذ المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار .

بواسطتها أن يغفر بها خطيئة البشر ، بدلا من هذه الصورة القاسية لمن يزعمون أنه ابنه ، تلك الصورة التي زادت بها خطايا البشر . فهل يعقل أن يعالج المرض بمرض أخطر منه ؟ أليس أولى بحكمة الله أن يقول للعصاة غفرت لكم بدل هذه التمثيلية البشعة .

٣ - وإذا كانت عملية الصلب والفداء بهذا الوصف عملا تمثيلاً في نظر المسيحيين للتكفير عن خطيئة البشر ، فلماذا يبغض المسيحيون اليهود ويرونهم آثمين معتدين على المسيح .

يقرر المسيحيون في تعليل هذه الفكرة أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم آدم ، لكن يرد على ذلك بأن إلزام الأحفاد بأخطاء الأجداد أمر لا تقره العقول ولا تسمح به القوانين التي وضعها البشر ، ولا تقره الشرائع السماوية ، فكيف استساغوا هذه السفسة الفارغة ؟ إن الكتاب المقدس في سفر التثنية لإصحاح ٢٤ عدد ١٦ ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل . كما ورد في سفر حزقيال لإصحاح ١٨ عدد ٢٠ . النفس التي تخطئ هي تموت ، الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه وشر الشرير عليه يكون . وهذا هو الذي جاء في القرآن الكريم دستوراً للعادلة الإلهية (كل امرئ بما كسب رهين) (١) (ولاتزر وازرة وزر أخرى) (٢) .

والمبدأ العام المعترف به في الديانات جميعاً وفي القوانين الوضعية وعرف جميع الناس أنه لا يورث عن الآباء سوى ثرواتهم ، أما جرائمهم فلا تورث عنهم ولا تؤخذ بها ذرياتهم . ويترتب على ذلك ما يلي :

(١) أنه لا علاقة لذرية آدم بخطيئة آدم طبقاً لما أوردته عقيدة الفداء عن النصارى بأن المسيح قتل وصلب كفارة عن خطيئة آدم وذريته ، إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه آدم تطبيقاً لما ورد في سفر التثنية وسفر حزقيال

(١) سورة الطور ٢١

(٢) سورة الإسراء ١٥

السابق الإشارة إليهما : وتطبيقاً لبداية العقول وأعراف الناس وقوانينهم . كما لا يعقل أن يعرض ابن الله نفسه ليقته من يريد الغفران لهم ، فيزيد بذلك خطاياهم ، ولا يقبل أن يكون ذلك هدفاً للمسيح ، وهو الذى وصفوه بأنه شكاً لأبيه أنه تركه ليقته (١) .

(ب) و النتيجة الثانية ، فساد القول بالمعمودية التى يقول عنها النصارى أنها تطهر المصطبغ بها من خطيئة آدم (وهو ما سيأتى الكلام عنه فيما بعد) إذ لا شأن لذرية آدم بما ارتكبه أبوه من خطيئة .

٤ - إذا كانت الكلمة قد تجسدت لمحو الخطيئة الأصلية ، فما العسل فى الخطايا التى تجدد بعد ذلك ، ومنها ما هو أفسى من عصيان آدم ، حتى لقد أنكر البعض وجود الله سبحانه وهاجمه آخرون وسخروا من جنته وناره ، فلماذا كانت حكاية التجسد لخطيئة واحدة ثم تركت باقى خطايا البشر التى لا تعد ولا تحصى .

٥ - ادعى المسيحيون أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة ، وأى عدل وأى رحمة فى تعذيب شخص غير مذنب وصلبه ؟ فإن قالوا أنه قبل ذلك نجد أن ما ورد بالإنجيل عكس هذا القول ، فقد جاء فى إنجيل متى إصحاح ٢٧ عدد ٤٦ (ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً : إيلى إيلى لم شقتنى ، أى إلهى لماذا تركتني ؟) .

٦ - إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة ؟ وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقى دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير فى يديه ؟

٧ - إن من المسلم به فى جميع الشرائع أن تتناسب العقوبة مع الذنب فهل تتناسب واقعة الزعم بصلب المسيح على هذا النحو مع الخطيئة التى ارتكبتها آدم أبو البشر . إن كل خطيئة آدم التى أحال عليها المسيحيون عملية قتل المسيح وصلبه لم تعد أن تكون أكلا من شجرة نهي عنها ، وثبت بنص الكتب المقدسة أن الله عاقبه عليها بإخراجه من الجنة ، ولا شك أنه عقاب

(١) حيث قال : إيلى إيلى لم شقتنى ؟ . أى إلهى لماذا تركتني لأعدائى ليقتلوني كما سيأتى بيانه .

كاف ، فالحرمان من الجنة والخروج إلى الكدح والنصب عقاب ليس بالهين ، وهذا العقاب قد اختاره الله بنفسه وفي وقته وحينه ، فكيف يستساع أن يظل سبحانه مضسراً للسوء غاضباً آلاف السنين حتى وقت رسالة المسيح . وهنا فقط ينتهى الغضب بحادثة صلب ابنه .

٨ - إن السيد عبد الأحد داود ، وكان أسقفاً مسيحياً قبل إسلامه ، ينتقد فكرة التكفير فيقول : إن من العجب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهو خطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشرى بسببها ظل مكتوماً عن كل الأنبياء السابقين ولم تكتشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب (١) .

٩ - إن قيل أنه بواسطة نظرية الخلاص خلص النصارى من محن الدنيا ومشاغلتها ، فما بالناس نراهم مثل جميع البشر يجرى عليهم كل ما يجرى على غيرهم من معتنقى الديانات الأخرى ، من سعى على الرزق وإصابتهم بالهموم والأمراض والموت .

١٠ - فإن قيل أنهم خلصوا من الذنوب والخطايا فلا صحة لذلك ، لأنهم يتلون في عباداتهم وصلواتهم في الصباح والمساء (واغفر لنا ذنوبنا) .

١١ - وإن قيل أن هذا الخلاص كان خلاصاً لهم من حساب الآخرة ، فلا صحة لذلك ، لأنه مكتوب في إنجيل متى لإصحاح ٢٥ عدد ٣١ وما بعدها أنهم سيحشرون يوم القيامة ويقفون موقف الحساب ، وهناك يفرز الله الناس ويفصل الأبرار من الأشرار فيأمر بالأبرار إلى الجنة والأشرار إلى الهاوية (أى النار) . والعجيب أن الكنيسة خرجت من هذا المأزق الحرج بتفسير عجيب ؛ إذ قررت أن هذه المصالحة التي تمت بين الله وبين البشر لا تعنى أنه لا تترتب على البشر في الخطأ والعصيان ، لأن تلك المصالحة تمت لحساب الكنيسة ، فجسد المسيح ودمه الذى يكفر عن الذنوب والخطايا محفوظ عند الكنيسة ، وهى وحدها التي توزعه على من تعطيه فيصبح من الناجين ؛ أما من تحرمه الكنيسة فلا تعطيه جسد المسيح أو دمه ، فيصبح من الهالكين

(١) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داود الآشورى العراقى .

في الدنيا ، يحرق بالنار عندما تصدر عليه الكنيسة عقوبة الحرمان فضلاً عن حرقه في نار الآخرة بعد ذلك .

ما هي النتيجة التي نتمنى إليها من هذه المناقشة ؟ : -

النتيجة من كل ذلك أنه لا فداء ولا خلاص بهذه المفاهيم التي لدى المسيحيين ، بل الصواب ، بل الحق أن الخلاص كل الخلاص هو الخلاص من الشرك بالله وتصحيح الاعتقاد السائد لديهم والاتجاه إلى اعتقاد سليم ، وهو أن الله واحد لا شريك له ، وأن المسيح هو عبد الله ورسوله ، دعا إلى التوحيد الخالص الذي أمر الله به في كتبه المنزلة مصداقاً لما حكاها عنه إنجيل يوحنا في الإصحاح ١٧ عدد ٣ « وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » فلم يشهد لنفسه إلا بالرسالة فقط ، أما عن الله فشهد له بالوحدانية الخالصة كما أنه لا يتحقق الخلاص إلا بالإيمان برسالة النبي محمد ﷺ الذي بشر به السيد المسيح ، ودعا قومه إلى أن يسارعوا إلى الإيمان به عند ظهوره (١) ، فهو الذي طهر العقائد من الشرك في جميع صورته وبرأ الأنبياء من دعوة الناس إلى عبادتهم وذلك في قوله تعالى : -

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ، ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون » (٢) .

ولا يفوتنا بهذه المناسبة أن نلقى الضوء على واقعة هامة مرتبطة بنظرية الخلاص أيضاً ، وهي : هل يشير الكتاب المقدس إلى وقوع الصلب على شخص خلاف المسيح مع حفظ السيد المسيح نفسه ؟ .

١ - إن شراح الكتاب المقدس يقررون أن الزمور ١٠٩ يحكي قصة يهوذا مع المسيح ، وهذا من جانبهم استلهموه وفهموه من سفر الأعمال

(١) كتاب محمد بنى الإسلام في التوراه والإنجيل والقرآن .

(٢) سورة آل عمران : ٧٩

الذى ورد به على لسان بطرس إثر حادثة الصلب وهو يخاطب زملاءه من تلاميذه المسيح إصحاح ١ عدد ١٦ ، عدد ٢٠ :

« أيها الرجال الإخوة ، كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داوود عن يهوذا لأنه مكتوب فى سفر المزامير ، لنصرداره خراباً ولا يكن فيها ساكن . »

لكن ماورد فى المزمور ١٠٩ على لسان داوود الذى أشار إليه بطرس هو الآتى :

١ - (يا إله تسبيحى لا تسكت لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش) وفى عدد ٧ (إذا حوكم فليخرج مذنباً وصلاته فلتكن خطية) وفى عدد ٩ (ليكن بنوه أيتاماً وامرأته أرملة) وفى عدد ٢١ - (أما أنت يارب السيد فاصنع معى من أجل اسمك لأن رحمتك طيبة نجى) . وفى عدد ٢٦ (أعنى يارب إلهى خلصنى حسب رحمتك) .

فقول داوود (إذا حوكم يخرج مذنباً) بدل على من أمسكه اليهود وحاكوه ، فهل يليق أن ينطبق لفظ المذنب على المسيح مع أنه لم يكن مذنباً قط . وقد فسر ذلك أجمل تفسير ما ورد فى عدد ٩ من أن المذنب له بنون وامرأة والمسيح لم يكن له امرأة ولا بنون . وصفوة القول أن ما ورد فى هذا المزمور دليل قوى على أن من حوكم ليس المسيح ، بل شخص مذنب له امرأة وبنون ، وهذا ينطبق على يهوذا (تلميذ المسيح الخائن الذى وشى به عند أعدائه من اليهود) .

٢ - ورد فى إنجيل يوحنا إصحاح ١٨ عدد ٣ :

« فأخذ يهوذا الجند وخداما من عند رؤساء الكهنة والفرسيسين ، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح ، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه ، وقال لهم : من تطلبون ؟ أجابوه : يسوع الناصرى . قال لهم يسوع : أنا هو . وكان يهوذا مسلمة أيضاً واقفاً معهم ، فلما قال لهم إني أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض ، فسألهم أيضاً : من تطلبون ؟ فقالوا : يسوع الناصرى ، أجاب يسوع : قد قلت لكم إني أنا هو . »

فيستخلص من هذه القصة الآتى :

(أ) أن الله تعالى أمسك أعينهم ومن ضمنهم يهوذا الخائن عن معرفة السيد المسيح ، لذلك كانوا يجيبون السائل دون أن يعرفوه بأنهم يطلبون يسوع الناصري ، فلم يقولوا نطلبك أنت لأن هذا السائل لهم كان يسوع نفسه .

(ب) ورد بهذه القصة أن المسيح لما قال لهم أنه هو سقطوا على الأرض دون أن يكون هناك سبب لهذا السقوط ؛ مما يفهم منه أن هذا السقوط منهم على الأرض ومعهم مشاعرهم ما جرى وما كان إلا لأمر قضاء الله في تلك الساعة ، وهو نجاة المسيح من أيديهم تصديقاً لما كتب عنه في الزمير وهو المزمور ٩١ عدد ١١ « يوصى ملائكته بك لكي يخطوك في كل طرفك ، على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك » .

٣ - ذكر المستشرق الإنجليزي جورج سيل في ترجمته للقرآن الكريم في سورة آل عمران أن السبرنتيين ، وكذلك الكريبوكراتيون ، وغيرهم من قدماء فرق النصارى كانوا يعتقدون أن المسيح نفسه لم يصلب ، وإنما صلب واحد آخر من تلاميذه كان يشبهه تماماً .

وكلام هذا المستشرق يدل على أن صلب أحد تلاميذ المسيح بدلا عن المسيح كان أمراً شائعاً ، وأن فرقة من النصارى كانت على هذا الاعتقاد حتى قضى عليها عندما انعقد المجمع المسكوني في أوائل القرن الرابع الميلادي ، سنة ٣٢٥ بمدينة نيقية ، وقرر عقيدة الصلب وصيغتها ، وسماها شريعة الإيمان وجعلها اعتقاداً وعقيدة .

الأساس الحقيقي الذي استقيت منه قصة الصلب :

١ - إن فكرة الصلب للتكفير ليست من المسيحية التي جاء بها السيد المسيح في شيء ، ويبدو أنها وردت إلى المسيحية التي جاء بها بولس عن عقائد أخرى ، وبخاصة عقيدة الهنود البراهمة ، فهي معتقد سائد عندهم قبل السيد المسيح بمئات السنين ، فهم يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذي هو نفس الإله فشنو الذي لا ابتداء له ولا انتهاء . تحرك حنوا كي يخلص الأرض من ثقل حملها فأناها و قدم نفسه ذبيحة عن الإنسان ، ويصورونه

مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ، ويصفون كرشنا لذلك بالبطل الوديع المملوء لاهوتاً ، لأنه قدم نفسه ذبيحة من أجل البشر .

٢ - وفي بلاد النيبال والتبت يعتقدون أن إلههم (اندار) سفك دمه بالصلب وثقب بالمسامير لكي يخلص البشر من ذنوبهم ، وأن صورة الصلب موجودة في كتبهم .

٣ - والمعتنقون للديانة البوذية يرون أن بوذا تجسد في الناسوت وقدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ومن ثم يسمونه المخلص والابن .

٤ - وهذه الفكرة كانت سائدة أيضاً قبل ميلاد المسيح بأزمة سحيقة (١) إذ وجدت في ديانة اليونان في أبولو وديانة متراس التي جاءت إلى الرومان من بلاد الفرس ، كما جاءت في ديانة ديونيسوس .

(أ) فكان في ديانة أبولو ديانة اليونان (الراعي الصالح) يحمل الحمل الصغير كمينر ، وهرمس ، وكل منهما أخذ لقب إله وخالق وديان العالم .

(ب) وأم المسيح يسميها النصارى أم الله التي حملت ابنها وهي صورة من العذراء إيزيس التي حملت طفلها على ذراعها ؛ كما أن أليتا Alita الآلهة السورية كانت تحمل طفلها ، أي أن الفكرة كانت سائدة في ديانة المصريين القدماء والسوريين القدماء .

ثالثاً : المسيح وهو الابن يحاسب الناس على خطاياهم دينونة عادلة لأن الإله الأب ترك له ذلك : يعتقد المسيحيون أن المسيح بعد صلبه وموته قام من قبره وارتفع إلى السماء حيث جلس بجوار الأب على كرسي استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا دينونة عادلة ، وإن الإله الأب أعطى سلطان الحساب للإله الابن ، لأن الإله الابن بالإضافة إلى

(١) انظر (مصادر المسيحية وأصول النصرانية) رسالة لاهوتية: تأليف الأستاذ محمد

الوهيته وأبديته ابن للإنسان أيضاً فهو أولى بحاسبة الإنسان . فأين هذا من دعواهم أنه قدم دمه ليخلص البشر من آثامهم .

ما هو أساس هذا الاعتقاد عند المسيحيين :

١ - أورد بولس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس إصحاح ٥ عدد ١٠ قوله : (لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل واحد ما كان بالجسد بحسب ما صنع خيراً كان أم شراً) .

٢ - جاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح الأول عدد ٢٠ ، ٢٢ قوله عن المسيح :

(إذا أقامه من الأموات وأجلسه عن يمينه في السماويات فوق كل رياسة وسلطان وقوة وسيادة وأخضع كل شيء تحت قدميه) .

٣ - جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ١٤ عدد ١ قوله :

(لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح) .

٤ - وجاء في إنجيل يوحنا إصحاح ٥ عدد ٢٢ قوله : (الآب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن) .

٥ - كما يروى يوحنا في إنجيله عن المسيح في نفس الإصحاح السابق عدد ٣٠ : (كما أسمع أدين ودينوتي عادلة) .

مناقشة فكرة الحساب بمعرفة المسيح :

إن هذه الفكرة عند المسيحيين مبنية على أن المسيح إله ، وهو أساس باطل ، قرره مجمع مسكوني هو مؤتمر نيقية بسيف القهر والسلطان والجبروت ، وتهدم هذه الفكرة من أساسها إذا تبين لدى المسيحيين زيف قرار مجمع نيقية الذي جعل من المسيح وهو بشر آدمي إلهاً ، وإذا ما تكشف لهم ذلك واستبان لهم أنه لم يكن له الحق أن يحاسب أو يدين ، لأن هذا من شأن الله سبحانه وتعالى فقط دون أحد من الخلق .

فكرة حساب الخلق على ضوء ما جاء به الإسلام (١) :

إن الشرع الإسلامى فى هذا الموضوع يجعل الرسل شهوداً على أقوامهم أمام الله سبحانه وتعالى ، فإذا قارنا هذا بالتفكير المسيحى تجده متقارب الأصول من حيث إن كل نبي يحضر محاسبة قومه ويعلن أمام الله جل جلاله أنه بلغهم ما أمر به ، ولكن الحكم النهائى فى اعتقاد المسلمين لله العلى العظيم ، والحكم فى اعتقاد المسيحيين للمسيح ، وسبب هذا الانحراف فى التفكير المسيحى هو ما يتخيله المسيحيون دائماً من شركة بين الله العظيم وبين المسيح . وهذا الخيال المريض لم يجعل المسيحيين يقنعون بالتفكير الذى يقضى بأن الحكم لله وحده ، وأن الرسل شهداء على أقوامهم ، بل وضعوا المسيح على كرسي بجوار الله وحكموا له أنه هو الذى سيحاسب ويدين ، وأن الله تنازل له عن هذا السلطان ، لأن المسيحيين فى كثير من الأحيان لا يقنعون بمساواة المسيح لله (مع أنها باطلة) بل يحاولون أن يرتفعوا به إلى غاية أخرى وهى سبق الابن للآب وهو تفكير ينم عن الغفلة والسذاجة والعقم العقلى .

عقيدة القيامة :

١ - تتصل عقيدة القيامة بعقيدة سلطان الابن على حساب الناس ، وأنه ما ارتفع إلى السماء حيث جلس بجوار الأب على كرسي استعداداً لدينونة الناس إلا بعد صلبه وموته ثم قيامته من قبره .

٢ - هذه العقيدة جاءت من الديانات القديمة كالمصريين القدماء ، فكما زعم قدماء المصريين أن (أوزوريس) إلههم دفن فى قبره ثم عاد إلى الحياة ثانية ، يزعم المسيحيون أن المسيح مات ودفن ثم قام من بين الأموات ، وكان عملهم لرموز القيام من القبر لعيسى يشبه عمل قدماء المصريين لرموز القيام من القبر لإلههم ، ومن مصادر المسيحيين فى عقيدتهم عقيدة قدماء الرومان فى إلههم (رملس) فقد زعموا موته وقيامه من قبره قبلهم فتأثروا بهم .

(١) المسيحية - مقارنة الأديان - للدكتور أحمد شلبى .

٣ - وقد أشار إلى تلك الأسرار جوستنوس الشهيد وتوثوليانوس حيث فسرها تفسيراً باطنياً .

٤ - اعترف اللاهوتيون المدققون بأن هذه الشعائر جميعاً بتفسيرها ورموزها منقولة بالحرف الواحد عن المصريين القدماء ، وعن الميترائزامين وعن الهندوكيين البراهمة ، وعن البوذيين . ودلوا على ذلك بما وجدوه على آثارهم المنقولة في دور الآثار المختلفة في لندن وباريس وبرلين والقاهرة .

٥ - ولقد جاء في دائرة المعارف لشمبر أن القيامة المسيحية جاءت إليهم من الفرس ، لأن الإسرائيليين لم يعرفوها إلا منهم ، وهذا ما يؤيد ما ذكرته السيدة (أنى بزنت) من أن الإسرائيليين أخذوا كثيراً من تعاليم ديانة زرادشت وقت سبهم هناك (١) .

تقديس الأبطال والزعماء حتى في الوقت الحاضر :

إن ما فعله النصارى بالمسيح وتقديسه فعله غيرهم مع الأنبياء والحكماء والقادة والزعماء . فعلوه مع بوذا في الهند ، وفعلوه مع الحكيم كونفوشيوس في الصين ، ومع زرادشت في فارس ، ومع برومانيوس في اليونان . بل إن اليابانيين في الوقت الحاضر يقصدون إمبراطورهم ، ويؤطونه ويدعونه ابن السماء ، والصينيون يؤمنون حالياً بتعاليم ماوتسى تونج إلى درجة تقديسها وتقديس واضعها ، فكانوا يقفون طوال الليل أمام قصره حتى بزوغ الفجر ينتظرون خروجه ايشرق عليهم كما تشرق الشمس ، ويحملون كتابه الأحمر في غدوهم ورواحهم وفي ملابئهم ومنازلهم أكثر مما يحمل أتباع الله كتبهم المقدسة ، مما يرجح معه القول بأنه بعد موت ذلك الزعيم سيعبدونه كما عبد أسلافهم كونفوشيوس من قبل (٢) .

* * *

(١) كتاب مصادر المسيحية وأصول النصرانية - تأليف محمد أفندي حبيب .

(٢) كتاب مقارنة الأديان المسيحية للدكتور أحمد شلى وكان المسيح لإنسان أم اله للدكتور محمد مجدى مرجان .

الفصل الثاني

شعائر النصرانية

هذه الشعائر وإن كانت لازمة للمسيحي ومفروضاً عليه القيام بها لكنها لا تسمو إلى مكانة العقائد السابق الإشارة إليها ، فإنه بدون تلك العقائد لا يسمى الشخص المسيحي مسيحياً .

وقد تأثرت طريقة أداء بعض هذه الشعائر بطريقة القسم الذي كان يحلفه الجندي الروماني قبل انخراطه في سلك الجيش .

فكما لزم أن يؤدي القسم في حضرة ممثل الجيش ، فإن التعميد مثلاً يلزم أن يؤدي بواسطة ممثل الكنيسة .

كما يلزم كذلك أن يقدم الخبز والخمر في العشاء الرباني بواسطة آباء الكنيسة .

وشعائر النصرانية على وجه التفصيل : هي ما تقوم به الكنيسة من طقوس وإجراءات ، لأن الكنيسة في مفهوم المسيحيين العام هي المسيح نفسه ، إنها جسده ولحمه ودمه استناداً إلى ما جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ٦ عدد ٥٣ على لسان المسيح فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشرّبوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية ، وأنا أقيمه في اليوم الأخير ، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق ، من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه .

فالمسيحيون بهذا النص هم من جسد المسيح الذي في اعتقادهم هو الله الحي ، وما دامت عملية الفداء قد تمت لحساب الكنيسة فهي وحدها القادرة على أن تمد المؤمنين بجسد المسيح ودمه ؛ ولذا كان للكنيسة ، وخصوصاً

الكنيسة الأوروبية في العصور الوسطى سلطان ضخم على شئون المسيحيين ،
فهي وحدها الحياة والجنة والنعيم ، وخارج الكنيسة الموت والجحيم (١) :

١ - التعميد :

كان التعميد موجوداً عند اليهود ، قبل المسيحية ، ولكنه كان بمفهوم
آخر هو غسل الجسد ، وكان النبي يحيى يعمد الناس في نهر الأردن ،
أى يغسل أجسادهم ، ولذلك سمي يوحنا المعمدان (أى يحيى المغسل)
وثابت من الأناجيل المتداولة أن يوحنا المعمدان قام بتعميد المسيح .

وقت التعميد :

لم يتفق المسيحيون على وقت معين للتعميد .

(أ) فبعضهم يعمد الشخص في طفولته حتى ينشأ الطفل المسيحي مبرأ
من الذنوب وهذا هو الغالب .

(ب) وبعضهم يعمده في أى وقت من حياته .

(ج) والبعض الآخر يجرى التعميد والشخص على فراش الموت بحجة
أن التعميد إزالة للسيئات وتطهير من الذنوب .

وهذا هو ما حدث بالنسبة إلى قسطنطين إمبراطور الرومان حامى
المسيحية وهو على فراش الموت .

نصوص التعميد : جاء في إنجيل متى لإصحاح ٢٨ عدد ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ :
فتقدم يسوع وكلّمهم قائلاً « دفع إلى كل سلطان في السماء وعلى الأرض ،
فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ،
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » وهذه الوصية جاءت منه بعد

(١) أبحاث للأستاذ أحمد حسين الحامى . بمجلة الوعي الإسلامى أكتوبر سنة ١٩٦٧ :
يناير سنة ١٩٦٨ .

قتله وصلبه (١) ؛ أى أنها رؤيا عنه ولم ترد عنه وقت حياته إلى تلاميذه فهي من قبيل الرؤى والأحلام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان إليها فضلا عن عدم الثقة بصحة كتبهم كما ذكرناه من قبل .

طريقة التعميد :

هي رش الماء على الجبهة أو غمس أى جزء من الجسم في الماء ، ويكثر أن يغمس الشخص كله في الماء ، وكل ذلك بمعرفة كاهن يعمد الشخص المسيحي باسم الآب والابن والروح القدس ، أما في حالات الضرورة فيجوز أن يقوم بالتعميد غير الكهنة ويسمى تعميد الضرورة .

وكنيسة الأقباط بمصر تلزم أن يكون التعميد بالتغطيس ثلاث مرات : المرة الأولى باسم الآب ، والثانية باسم الابن ، والثالثة باسم الروح القدس ، ولا تجيز التعميد بالرش إلا للضرورة .

مقصود المسيحيين من التعميد ومناقشته :

مقصود التعميد في المسيحية يغير مفهومه في اليهودية ، ويعتقدون أنها حتم عهد النعمة وسرها كما كان الختان في الشريعة الموسوية ، وأنها تمحو الخطيئة الأصلية في النفس وتلدها ثانية ، وتعطى صاحبها حرية ومقدرة على فعل الخير ، وكما قدمنا في مناقشة نظرية الفداء ، وهي نظرية قتل المسيح وفدائه للبشر أن المبدأ العام أن الوراثة الشرعية لا تكون إلا في الماديات ، بمعنى أن يرث الابن أباه في تركته المادية أما الأعمال النفسية فلا وراثة فيها ، فإذا قتل شخص إنساناً ما فالقصاص يقع على القاتل لا على ابنه أو أبيه طبقاً لما هو وارد في سفر التثنية وسفر حزقيال بالعهد القديم ، وبتطبيق هذه القاعدة كما قدمنا يتبين فساد القول بالعمودية وهو تطهير المصطبغ بها من خطيئة آدم الأصلية ، إذ لا شأن لنظرية آدم بما ارتكبه أبوه من خطيئة فضلا

(١) في اعتقادهم ، أو بعد رفعه في اعتقادنا .

عن أن خطيئة آدم قد غفرت له بالتوبة ، فإن الله يتوب على كل من تاب ، وهذا مبدأ مقرر في جميع الرسالات .

من أين جاءت المعمودية للمسيحية :

يقول الأستاذ محمد مجدى مرجان أن سر المعمودية أخذته الكنيسة من يوحنا المعمدان ، فكما كان يحيى يعمد الناس في نهر الأردن ليتطهروا من الدنس والإثم ، صار العماد بالماء أهم شعائر الكنيسة ، فبمجرد ولادة الطفل يحضره والداه إلى الكنيسة لتعميده ، وإلا ظل كافراً ، فبالعماد فقط يصير الإنسان مسيحياً ، وطريقة العماد في الكنائس هي نفس طريقة يوحنا ، صنعوا بئراً أو بركة صغيرة في كل كنيسة على غرار نهر الأردن الذى كان يعمد يوحنا الناس فيه ، وملاًوا البركة بالماء ، فإذا احتاجوا التعميد شخص لتنصيره سواء كان طفلاً حديث الولادة ولد لأبوين مسيحيين أم كان رجلاً أو امرأة اعتنقت المسيحية حديثاً ، فإنه يخلع ملابسه ويصير عارياً كما ولدته أمه ، ثم يأتي الكاهن ومساعدته ويحملونه ويضعونه داخل البئر ويقومون بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات في البحيرة حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مباركاً (١) .

١ - ولكن الظاهر أن المعمودية بمفهوم المسيحية وردت إليها من أهل فارس الهنديين ، الذين قبل الرومانيون تعاليمهم قبل المسيح بمقدار ٦٨ سنة ، بواسطة بعض لصوص البحر من السلتيين الذين أسرههم بومبي . فنشروا أفكارهم في سائر أنحاء الإمبراطورية ، وتوجد لهم آثار نادرة في المتحف البريطاني وغيره من المتاحف الأوروبية (٢) .

٢ - العشاء الربانى - أو التناول :

ويرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه إذ اقتسم معهم

(١) كتاب (المسيح إنسان أم إله) - للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) كتاب (مصادر المسيحية وأصول النصرانية) تأليف محمد أفندى حبيب .

الخبز والتبئذ ، والخبز يرمز إلى جسد المسيح الذى كسر لنجاة البشرية ، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذى سفك لهذا الغرض أيضاً .

وفى العشاء الربانى يستعمل قليل من الخبز وقليل من الخمر المذكرى ما جرى وفعل بالمسيح ليلة القبض عليه وموته ، حتى يكون هذا طعماً روحياً للمسيحيين ؛ تطبيقاً لاعتقادهم أن من أكل الخبز وشرب هذه الخمر استحاله الخبز إلى لحم المسيح والخمر إلى دمه فيحدث الامتزاج بين الآكل وبين المسيح وتعاليمه .

الأساس الذى يستند إليه العشاء الربانى عند المسيحيين :

١ - ما جاء فى إنجيل يوحنا فى الإصحاح السادس عدد ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ومضمونها قول عيسى : والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم ، من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فى وأنا فيه ، فمن يأكلنى فهو يحيا بى ، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم .

« فقال لهم يسوع الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية ، وأنا أقيمها فى اليوم الأخير لأن جسدى مأكل حق ودمي مشرب حق » .

٢ - ما جاء فى رسالة بولس لأهل كورنثوس الأولى إصحاح ١١ عدد ٢٣ إلى ٢٦ عن العشاء الربانى وهو ما يلى :

(إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً - وشكر فكسره وقال خذوا كلوا ؛ هذا هو جسدى المكسور لأجلكم ؛ اصنعوا هذا المذكرى) . كذلك أعطاهم قليلاً من الخمر وقال (كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هى العهد الجديد بدمي اصنعوا هذا كما شربتم المذكرى فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تحبسون بموت الرب إلى أن يجيء) والعشاء الربانى عادة أخذتها المسيحية عن الأديان السابقة للمسيحية طبقاً لما سيأتى فى باب المقارنات بين المسيحية وبين الأديان الوثنية .

(م ٥ - النصرانية والإسلام)

٣ - الاعتراف الذى يتبعه غفران الذنب والتوبة :

وهو أن المذنب يذهب إلى الكاهن فيبوح له بما اقترفه من ذنوب ، فيحصل منه على المغفرة بعد ذلك ، وكان الاعتراف يتكرر عدة مرات مدى الحياة ، ولكنه منذ سنة ١٢١٥ م أصبح لازماً مرة واحدة على الأقل ، ويستندون فى ذلك إلى ما ورد فى إنجيل يوحنا فى الإصحاح ٢٠ عدد ٢٢ وما بعده منسوباً إلى المسيح بعد قتله وصلبه فى اعتقادهم ثم ظهوره لهم بعد ذلك يوصيهم بقوله - كما زعموا - ولما قال هذا نفخ وقال لهم (اقبلوا الروح القدس ، من غفرت خطاياهم تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكت) فهذه الوصية لم ترو عن المسيح فى حياته التى لازم فيها تلازمه ، بل جاءت فى الرؤيا عنه بعد ذلك ، مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان إليها لأنها من قبيل الرؤى والأحلام .

٤ - حضور القسيس عند الموت :

يحضر الكاهن ويتلو صلاة القنديل ، ثم يدهن المريض بالزيت المقدس ، وبخاصة أعضاء الحواس والصاب والأقدام .

٥ - حضور القسيس عند الزواج :

لا يتم الزواج إلا بمعرفة الكنيسة أى بحضور القسيس ، لذلك يسمى الرباط المقدس ، الذى لا ينفصم ، أما الزواج الذى يتم خارج الكنيسة فهو علاقة آثمة لأن الكنيسة لا تعترف به . أما حضور القسيس فيضفى الشرعية على الزواج ، ليقيم وحدة بين الرجل والمرأة .

والأصل فى المسيحية أن يترهب الناس رجالاً ونساءً ، ولكن لما كان ذلك غير ممكن أجاز الزواج ، وكان تعدد الزوجات معمولاً به فى مطلع المسيحية ، تبعاً لشريعة اليهود التى تجيز التعدد ، ولكن توفيقاً بين اتجاه المسيحية للرهبنة ، وبين ضرورة الزواج خوف الزنى ، جعل المسيحيون الزواج مباحاً من واحدة فقط ، ولا يجوز الطلاق إلا فى حالة الزنى (بعكس

اليهودية التي تجيز الطلاق بدون زنا) فإذا تم طلاق بسبب الزنى ، لا يجوز لأى من هذين الزوجين أن يتزوج مرة أخرى ، أما إذا كان الفراق بالموت فإن الحى يجوز له أن يتزوج ، كما يجوز الطلاق إذا كان أحد الزوجين غير مسيحى ، والآخر مسيحياً ولم تنجح الألفة بينهما .

٦ - المـيرون :

يرى المسيحيون أن روح القدس تحمل على المسيحى الذى نال نعمة المعمودية المقدسة عندهم ، وهذه النعمة غير المنظورة تمنحها الكنيسة على يد كهنتها ، يمسح المؤمن بدهن الميرون المقدس ، تشبها بالحنوط والطيب الذى دهن به جسد المسيح عند دفنه بزعمهم ، وقد اقتسمها الرسل بعد قيامه المسيح وتوارثها آباء الكنيسة عن الرسل - كما يقولون - .

والميرون مزيج من العقاقير عليه بقايا تحدرت - كما يدعى رجال الكهنوت - من الدهن الذى صنعه الرسل ، ولا يمسح بالميرون إلا الكهنة .

٧ - الكهنوت :

معناه السر الذى يحصل الإنسان به على النعمة التى تؤهله لأداء رسالة المسيح بين البشر ، فيعين بين الكهنة ، فهو خلافة رسولية أخذها الآباء الأولون عن الرسل أنفسهم ، ويسلمونها لمن بعدهم ، والرسل هم الذين أخذوا هذا السر المقدس من المسيح ، وكندا الأسرار الستة الأولى (١) .

أساس هذا السر :

ورد فى إنجيل متى لإصحاح ١٨ عدد ١٨ :

الحق أقول لكم ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء .

(١) بحث للأستاذ أحمد حسين المحامى - مجلة الوعى الإسلامى - أكتوبر سنة ٦٧ ،

ويعنى ذلك عندهم أن المسيحية تعطى للرؤساء الروحانيين سلطة تشبه سلطة الإله وتجعل قولهم يلزم أن يتبعه الناس ، ويازم أن يتبعه الله .

فإذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص أنه ليس بمسيحي صار كذلك ، وإذا قال أنه مسيحي كان مسيحياً ، فليس المعتقد حراً في اعتقاده بحيث يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل إنه مشدود بشفتى رئيسه الدينى (١) .

يقول المطران المسيحي عبد الأحد داوود الأشورى الذى أسلم :
إن من تعاليم الكنيسة أنه مهما تكن أعمال المرء سليمة وتبدو مقبولة ، ومهما يكن الإيمان والصلاح مسلماً بهما عند الناس ، فكل المزايا والفضائل ستبقى بدون ثمرة ما لم تتدخل قدسية القسيس بين المرء وربه ، وما لم تبارك يد القسيس هذه الأعمال (٢) .

٨ - السر الثامن وتفرد به الكنيسة الكاثوليكية :

هذا السر هو عصمة بابا روما واستحالة ارتكابه الإثم أو الخطيئة ، لأن الروح القدس ينطق من خلاله بوصفه خليفة بطرس الرسول ، أحد تلاميذ المسيح ، والذى منحه السيد المسيح (على حد تفكيرهم) مفاتيح السماء والأرض ، بمعنى أن كل ما يربطه على الأرض فهو مربوط فى السماء ، وكل ما حلّه على الأرض يكون أيضاً محلولاً فى السماء .

ونظراً إلى أن البروتستنتية ضيقّت من نفوذ الباباوات فى روما ، وحدث من سلطاتهم ، اضطر بابا روما إلى تأكيد هذا السر ، بعقد مجمع مسكونى كاثوليكي فى روما عام ١٨٦٩ م فتأكد فى ذلك المجمع تمتع البابا فى روما بالعصمة واستحالة ارتكابه الإثم فى العجب ! !

(١) كتاب الإسلام والنصرانية للإمام الشيخ محمد عبده .

(٢) كتاب الإنجيل والصليب - للأب عبد الأحد داوود الأشورى .

أساس تقديس الصليب قبل عملية الصلب :

جاء في إنجيل لوقا على لسان المسيح في الإصحاح ٩ عدد ٢٣ :

« إن أراد أحد أن يأتي ورأى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني »

ومعنى ذلك هو الاستهانة بالحياة والاستعداد للموت في أبشع صورة وهو الصلب على خشبة كما يفعل بالمجرمين والمذنبين .

كما يقول متى حاكياً عن المسيح في إصحاح ١٦ عدد ٢٤ (حينئذ قال يسوع لتلاميذه إن أراد أحد أن يأتي ورأى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني) .

وحمل الصليب مستعار من العادة التي قضت بها الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب أن يحمل صليبه كل يوم، وكان عامة شعب الرومان ينفرون من الصليب ويفزعون من ظله ، وكان اليهود يشعرون بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة ، لأنه مكتوب في ناموسهم : ملعون كل من علّق على خشبة . ولهذا كله يبدو عجبياً أن يعتبره المسيحيون شيئاً مقدساً . ومن عجب أن الكنيسة ، رغم أنها تعلن الحرب على الأصنام ، تقدس الصليب المصنوع من المعدن أو الخشب ، وتوصي أتباعها بتقديسه لأن حملة علامة على اتباع المسيح (١) .

ويقول كتابهم : (وحمل الصليب إشعار بإنكار النفس واقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار ، والسير وراء مخلصهم وفاديتهم) فما أحوجتهم إلى بغضه وكرهيته ، لأن إلههم صلب عليه بزعمهم (٢) .

* * *

(١) كتاب مقارنة الأديان - المسيحية تأليف الدكتور أحمد شلبي .

(٢) كتاب محاضرات في النصرانية تأليف الشيخ محمد أبو زهره .

٢ - الرهبنة

في عهود المسيحية الأولى عانى المسيحيون في عهد الاضطهاد صنوفاً من التعسف والقسوة ، ويبرر الكتاب المسيحيون ذلك بأنه كان تدريباً للمسيحيين على التضحية وحب الفداء ، فلما بدأ عهد الحرية ونشر ظلاله على المسيحيين تحسّر أولئك الذين فاتهم أن يضحوا بدمائهم ، فقرروا أن يضحوا بمتعهم إذ فاتهم أن يضحوا بدمائهم ، ولجأوا إلى الجبال ليعيشوا فيها ويتعدوا عن حياة المدن ، كما لجأوا إلى تعذيب الجسم بالجوع والعطش وخشن الثياب والتبتل وعدم الزواج والعكوف على العبادة والطاعة تقديراً للمسيح الذى بذل نفسه من أجل البشر مع الطاعة لأبيه .

ومرت الرهبنة بالمراحل الآتية :

١ - كانت في المرحلة الأولى هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس ، وانطلاقاً في الصحارى والبرارى ولجوءاً إلى الكهوف والمغارات في الجبال بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل مع الوحدة .

٢ - لما كثر عدد الراغبين في التهرب اجتمعوا وبنوا لهم صوامع متجاورة ، ثم أحاطوها بأسوار عالية حيث تسمى بالأديرة ، وقد فعلوا ذلك حماية لأنفسهم من اللصوص .

أساس التهرب عند المسيحية :

وينسب المسيحيون أساس الرهبنة إلى السيد المسيح في أقواله التى تضمنتها أناجيلهم :

١ - ففي إنجيل متى لإصحاح ١٩ عدد ١٦ - ٢١ ، ٢٩ :

إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبيع أملاكك وأعط الفقراء ،
فيكون لك كنز في السماء ، وتعال اتبعنى .

من أضع حياته من أجل يمجدها .

من ترك بيتاً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية .

٢ - أن السيد المسيح كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع . وأن يوحنا المعمدان كان كذلك يعيش في البرية ويكرز فيها ، لذلك اقتبس المسيحيون بناء أديرتهم في الجبال والبراري .

٣ - ورد في الإصحاح ١٩ عدد ١٢ من إنجيل متى قول المسيح (لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات ، من استطاع أن يقبل فليقبل) .

وهناك مذهب آخر يخالف ما سبق لإيراده ، إذ يرى من التجوز القول بأن المسيح كانت من تعاليمه الدعوة إلى الرهبانية .

لأن المسيح نفسه كان يحب اللهو والمرح والمتعة والصخب ، أما يحيى أو يوحنا فكان يكره كل ذلك ، ويميل إلى السكون والتنسك ، وكان عيسى يستمتع بالطعام الجيد ، أما يحيى فكان زاهداً في متاع الدنيا ، يهيم في الصحراء والقفار بجسد أعياه الزهد والنحول ، يقتات على الحشائش ، والحشرات ويتدثر بجلود الحيوانات ، طبقاً لما حكاه متى ومرقص من أن لباسه كان من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً (١)

وفي الوقت الذي كان فيه المسيح يصادق الخطاة ، كان يحيى يعتزل الناس ويكره الساقطات وصناع الإثم ، ويهرب بنفسه من فجور العالم إلى البراري والصحاري ، حيث الهدوء ، وحيث النقاء والظهر ، ويشتد على

(١) إنجيل متى إصحاح ٣ عدد ٤ - إنجيل مرقس إصحاح ١ عدد ٦ .

نفسه في تهجده ونسكه ، وفي صلاحه وتقواه ، ومن هنا تسربت دعوى الرهبانية إلى المسيحية (١) .

ويؤيد هذا الرأي ما يحكيه إنجيل متى على لسان المسيح ، فيقول (بمن أشبه هذا الجليل؟ يشبه أولاداً جالسين في الأسواق ، ينادون إلى أصحابهم ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا ، نحنا لكم فلم تلتطموا ، لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان ، جاء ابن الإنسان (يقصد نفسه أى عيسى) يأكل ويشرب فيقولون هو ذا إنسان أكول وشريب خمر ، ومحب للعشارين والخطاة ، والحكمة تبررت من بنينا) (٢) .

أين ظهرت الرهبة في المسيحية :

يرى الباحثون الأقباط أن نظام الرهبان نشأ أول ما نشأ في مصر ، ثم نقله الرهبان الأقباط إلى إيطاليا وفرنسا وغيرها من الدول (٣) .

كيف يتم الالتحاق في الرهبة :

إن الالتحاق بالرهبة ليس شيئاً يسيراً ، فطالب الالتحاق بها يختبر ، ويمر بتجارب حتى يعترف الرهبان بأنه مستحق لها ، وحينئذ يرقد على ظهره أمام الهيكل ويصلى الرهبان عليه صلاة خاصة ، مضمونها أن هذا الرجل قد ترك العالم كأنه مات ، ولم يعد يحسب ضمن أبناء هذا العالم .

أساس الرهبة الحقيقي :

١ - إن الباحث في مقارنة الأديان يجد أن المسيحيين في الرهبة اتبعوا المنهاج الهندى دون تحريف ، فالترهب والتبتل وتعذيب الجسم هى بلا جدال سياسة الهندوكية والبوذية (٤) .

(١) المسيح إنسان أم إله - للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) إنجيل متى إصحاح ١١ عدد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

(٣) كتاب صفحة من تاريخ القبط مطبوعات جمعية مارينا العجايبى بالإسكندرية

سنة ١٩٥٤ م - ١٦٧٠ ش .

(٤) كتاب (مقارنة الأديان - المسيحية) للدكتور أحمد شلبى .

٢ - ويرى آخرون أن الرهينة جاءت للمسيحية من ديانة الرومان ،
(فستا) التي كانت قبل المسيح بألف عام ، لأن رملس إله الرومان كان
ابن (ربا سلفيا) ابنة أحد الأمراء التي نذرت العفة وانخرطت في سلك
العذارى المقيّات في هيكل الإله (فستا) للعبادة .

النتيجة :

١ - أن المسيحية تحارب الأبدان طبقاً لما جاء في إنجيل متى منسوباً
إلى المسيح (لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لا تهتموا بحياتكم
بما تأكلون وما تشربون ولا لأجسامكم بما تلبسون) (١) . وهذا يتنافى
مع قول بولس موصياً بالجدد في رسالته لكورنثوس ص ٦ عدد ١٩ ، ٢٠ :
(أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذي فيكم الذي
لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن ، فمجدوا الله
في أجسادكم ، وفي أرواحكم التي هي لله) .

٢ - المسيحية تقضى بفناء الجنس البشري طبقاً لما رواه متى في إنجيله منسوباً
إلى المسيح (يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ، ويوجد خصيان
خصاهم الناس ، ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ماكوت السموات ،
من استطاع أن يقبل فليقبل) (٢) . (ولكن الطعام لا يقدمنا إلى الله لأننا
إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص) (٣) .

ويقول بولس (فحسن للرجل ألا يمس امرأة ، ولكن لسبب الزنا ليكون
لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ، وأقول لغير المتزوجين
وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا ، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم
فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق) أي في النار يسبب الزنا (٤) .

(١) إنجيل متى ص ٦ عدد ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) إنجيل متى ص ١٩ عدد ١٢ .

(٣) رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ص ٨ عدد ٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٧ عدد ١ ، ٨ ، ٩ .

وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية إلى هذه الحقيقة على أنها من الأمور المسلمة في الدين بالضرورة ، أى التي لا يجوز إنكارها ولا الشك فيها ، حتى أن مجمع ميديولانتش المسيحي حكم في أواخر القرن الرابع الميلادى على الراهب جوفيفيان بالطرده من الكنيسة ، لأنه عارض السيد المسيح الذى يقرر أن التبتل خير من الزواج والزواج ما هو إلا ضرورة ملجئة لبقاء النوع الإنسانى ولصيانة الفرد من الفاحشة ، وقد ذهبت فرقة المارسيونيين (وهى فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مارسيون فى القرن الثانى الميلادى) إلى تحريم الزواج على معتقها ، وأوجبت على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفترق عن صاحبه ، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده .

ومع أن الفرق المسيحية الباقية إلى عصرنا الحاضر تدين بهذا المذهب فإن نظرة المسيحية إلى التبتل على أنه الحالة المثلى ، وإلى الزواج على أنه مجرد ضرورة ، قد أدت بالتدريج إلى نظام العزوبة المفروض على الرهبان وعلى القسيسين فى المذهب الكاثوليكي .

وفى أوائل القرن الرابع الميلادى أصدر مجمع أليفا فى أسبانيا قراراً بتحريم الزواج والابتعاد عن كل شهوات الجنس على كبار رجال الكنيسة .

وفى أواخر القرن الحادى عشر أصدر البابا جريجورى السابع أمراً بوجوب العزوبة وتحريم الزواج على جميع القساوسة والرهبان كبارهم وصغارهم ، حتى لا تدنس صفاتهم الكهنوتية بالاتصال الجنسى ، ولم يكده ينتهى القرن ١٣ الميلادى حتى كان ذلك القرار نظاماً مقررأ فى الكنيسة الكاثوليكية ومطبقاً على جميع القساوسة والرهبان من الرجال والراهبات من النساء .

وبناء على ما تقدم فإن المسيحية تدفع للرهبنة والرهبنة تقتضى هجر الوالدين والأسرة ، والزهد فى الدنيا وكراهية المال والنفور منه ، ووليدة ذلك إرهاب الجسم وعدم العناية بطعامه أو شرابه أو لباسه ، والميل للعزوبة والغضب عن الزواج .

اهتمام المسيحيين بكثرة النسل رغم اعترافهم بنظام الرهينة :

١ - رغم اعتراف المسيحيين بنظام الرهينة وتقديرهم له ، واعتقادهم أن الأصل أن يترهب الناس رجالا ونساء ، إلا أنهم يهتمون بكثرة النسل ويحاربون تحديده في زماننا المعاصر .

٢ - ويزيد اهتمامهم بكثرة النسل في البلاد التي يكونون فيها أقلية أو مساوين بغيرهم في التعداد .

٣ - وفي الشرق بوجه خاص يتجهون إلى إكثار النسل . في الوقت الذي يتجه فيه سواهم من أتباع الديانات الأخرى بهذه المنطقة إلى تحديد النسل أو تنظيمه .

٤ - نشرت مجلة الوثائق الكاثوليكية في عددها رقم ١٢٧١ سنة ١٩٥٨ نص ما قاله البابا بيوس الثاني عشر في الاتحاد الإيطالي لجمعيات العائلات الكثيرة العدد سنة ١٩٥٨ وهو « أن خصب الزواج شرط لسلامة الشعوب المسيحية ، ودليل على الإيمان بالله والثقة بعنايته الإلهية ومجلبة للأفراح العائلية» .
فهل هناك منطوق معكوس مثل هذا المنطق .

عدم الاهتمام بالختان في المسيحية :

ورد في سفر الأعمال لإصحاح ١٥ عدد ١٩ وما بعده حاكياً عن يعقوب أحد التلاميذ مع بقية التلاميذ عند اجتماعهم .

« لذلك أنا أرى أن لا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم ، بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنى والمخوق ، والدم » .

ولقد كان المفهوم من أن المسيحية تعتبر التوراة وأسفار الأنبياء السابقين كتاباً (١) مقدسة ، تسميها كتب العهد القديم ، أن تأخذ بكل الشرائع

(١) محاضرات في النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

التي نصت عليها التوراة ، إلا ما خالفه المسيح بنص أثر عنه . واستمر المسيحيون بعد ذهاب المسيح على هذا الاتجاه نحواً من اثنتين وعشرين سنة ، واكن تلاميذه اجتمعوا طبقاً لما حكاه عنهم سفر أعمال الرسل ، حيث خطب فيهم يعقوب واقترح عليهم أن يحصروا المحرم في الأنواع الأربعة المشار إليها وهي نجاسات الأصنام والزنى والمخنوق والدم ، دون حاجة إلى إيجاب ستة الختان إذ وجدوا أن الختان يشق على بعض من يدعونهم إلى النصرانية فيفرون منها .

ومن ذلك يتبين أن التلاميذ حللوا للناس كل ما حرّمته التوراة وكتب النبيين السابقين ، ولم يجرّموا سوى الأمور الأربعة السابقة ، وبمقتضى ذلك أصبحت لحوم الخنازير والخمر وسائر المحرمات في التوراة حلّالا ، كما أبطلوا حكم الختان الذي كان عهداً من الله منذ إبراهيم الخليل عليه السلام ، فضلاً عن أن المسيح نفسه ختن طبقاً لما حكاه إنجيل لوقا ص ٢ عدد ٢١ .

وقد يسأل الإنسان نفسه : بأى شيء أعطى هؤلاء التلاميذ القدرة على التحليل والتحرّيم في شرع الله ، إذ المسلم به أن تشريع التحليل والتحرّيم هو من الله وحده يبلغه عنه النبي أو الرسول المرسل من عنده فقط ، لكن انظر إلى منطق المسيحيين ، إنهم يبررون الخروج على تعاليم المسيح بقولهم أن ما أجراه التلاميذ في تحليل هذه الأمور المحرّمة كان بإلهام من روح القدس وتجليه طبقاً لما رواه سفر أعمال الرسل سالف الذكر الإصحاح ١٥ عدد ٧ وما بعده .

« فبعدما حصلت مباحثة كثيرة (بين التلاميذ) قام بطرس وقال لهم : أيها الرجال الإخوة ، أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بضمي يسمع الأمة كلمة الإنجيل ويؤمنون ، والله العارف القلوب شهد لهم معظيماً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً ، ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ طهر بالإيمان قلوبهم . »

كيفية تحليل لحم الخنزير رغم أنه محرم بشرية التوراة :

يروى ابن البطريق عن هذه الواقعة أن الإمبراطور قسطنطين بعد دخوله في النصرانية اضطهد اليهود اضطهاداً شديداً فدخلوا في النصرانية ، لكن النصراني تشككوا في ذلك فأشار بطريك القسطنطينية على الإمبراطور قسطنطين أن يختبرهم على أكل لحم الخنزير وقال له إن الخنزير في التوراة حرام ، واليهود لا يأكلونه فتأمر أن تذبح الخنازير وتطبخ لحومها ويطعمون منها فمن لم يأكل عامت أنه مقيم على اليهودية .

لكن الإمبراطور عارض البطريرك وقال له إن كان الخنزير في التوراة محرماً فكيف يجوز لنا أن نأكل لحمه ونطعمه للناس ، إلا أن البطريرك ما زال به حتى حماه على الاعتقاد بأنه حلال ، فقد قال له أن سيدنا المسيح قد أبطل سائر ما في التوراة وجاء بتوراة جديدة هي الإنجيل وقال في إنجيله المقدس : (إن كل ما يدخل الفم ليس ينجس الإنسان إنما ينجس الإنسان كل ما يخرج من فيه) يعني السفه والكفر وغير ذلك مما يجري مجراه ، ثم حكى قصة عن بولس الرسول مغزاها أن بطرس رأى رؤيا تفيد التحليل وبذلك يحلون لحم الخنزير (١) .

فانظر هداك الله كيف أن أحكام الحل والتحريم تثبت عندهم بالرؤيا المتنامية كما يقولون عن ذلك ، بدعوى إلهام الروح القدس ، مع أن الشرائع والأحكام لا تنسخ بالنامم ولا تبطل بالأحكام ، ومع أن المسيح نفسه كما حكى عنه متى في إنجيله في الإصحاح الخامس عدد ١٧ وما بعده يقول : (لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل . فإن الحق أقول لكم ، إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل ، فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس ، هكذا يدعى أصغر في ماكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً في ماكوت السموات) .
والتوراة في سفر اللاويين إصحاح ١١ عدد ٧ تنص على أن الخنزير حرام أكله .

(١) كتاب محاضرات في النصرانية تأليف الأستاذ الشيخ محمد أبو زهره .

الصليب

شعار النصرانية

يرى كهنة النصارى ومفكروها أن النصرانية قائمة على الصليب ، ويعنون بذلك أن الصليب هو شعارهم المقدس ، وهو علامة يوم الحشر عندهم ، وفي اعتقادهم أن من يؤمن به لا يهلك أبداً بل تكون له الحياة الأبدية ، لذلك فهم يرسّمونه بأصابعهم الثلاثة الأولى الأمامية على وجوههم ، وتحملهم كهنتهم على صدورهم ، ويصنعون شكله بالوشم على أيديهم ومرافقهم ، كما يصوغونه من المعادن النفيسة حلية تتقلده نساؤهم ، وحتى بعد مماتهم يجعلونه شاهداً وعلامة فوق صناديق جنثهم وقبورهم ، فعلى زعمهم هو المذبح الذى ذبح عليه المسيح ، فصار بذلك معبودهم الذى يصلون ويتجهون إليه فى جميع كنائسهم (١) .

هل أمر المسيح عليه السلام أتباعه بتقديس الصليب ؟

لم يحدث من المسيح أو تلاميذه الذين عاصروه وتلقوا تعليمه أن احترموا الصليب أو قدسوه ، والعجيب أن ما ينسبونه إليه فى إنجيل متى من قواله (ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى) (٢) ورد ما يفيد معناه بإنجيل يوحنا دون ذكر أو أدنى إشارة إلى الصليب المزعوم ، وذلك فى قواله (إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادماً) (٣)

أما زعم النصارى بأنه قتل أو ذبح على الصليب فإن كثيراً من نصارى الأقاليم الشرقية كانت ترفضه إذ كانوا يعدونه إهانة لشرف المسيح ونقصاً

(١) كتاب الإنجيل والصليب تأليف الأب عبد الأحد داوود الآشورى العراقى والمحفوظ نسخته الوحيدة بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

(٢) إنجيل متى الإصحاح العاشر عدد ٣٨ .

(٣) إنجيل يوحنا الإصحاح الثانى عشر عدد ٢٦ .

له ، كما كان هناك أقوام آخرون لم يسلموا بوجه من الوجوه أن المسيح سمر فعلا وقتل على الصليب ، وكل ذلك مفصل في تاريخ موسيم الإسرائيلى الشهير ،والذى يدرس في مدارس اللاهوت الإنجيلية كما أن هناك فرقاً أخرى من النصرارى كانت تعتقد أن الشخص المصلوب غير المسيح قطعاً، وأن المسيح لم تسلط عليه أيدي مضطهديه بل رفع إلى السماء، ومن القائلين بهذه الأفكار فرق الدوسيتية - والمرسيونية - والقلمنطانية ، ويبدو أن تلك الفرق انقرضت إثر اعتناق الدولة الرومانية لعقيدة التثليث وأوهية المسيح بعد انعقاد مؤتمر نيقية في الربع الأول من القرن الرابع الميلادى (١) .

ومما يؤيد هذا الاتجاه أن الأستاذ (أردوأرسيوس) أحد أعضاء الأنستودى فرانس في باريس ذكر في كتابه عقيدة المسلمين في بعض المسائل النصرانية في صحيفة ٤٩ (أن القرآن ينفي قتل المسيح وصلبه ويقول بأنه ألقى شبهه على غيره فغلط اليهود فيه وظنوا أنهم قتلوه ، وما قاله القرآن كان موجوداً عند طوائف نصرانية منهم (الباسيلديون) كانوا يعتقدون أن المسيح وهو ذاهب لمحل الصلب ألقى شبهه على سيمون السير ناى تماماً وألقى شبه سيمون عليه ثم أخفى نفسه ليضحك على مضطهديه اليهود . ومنهم (السبرنتيون) فإنهم قرروا أن أحد الحوارين صلب بدل المسيح ، وقد عثر على فصل من كتب الحوارين وإذا كلاله نفس كلام الباسيلديين ، وقد صرح إنجيل القديس برنابا باسم الذى صلب بدل المسيح وأنه يهوذا (٢) أحد التلاميذ الذى خان أستاذه وتآمر عليه مع أعدائه (٣) كما أن الأستاذ آرنست ذى بونسن الألماني ذكر في كتابه المسمى (الإسلام أى النصرانية الحقة) بأن جميع ما يختص بمسائل الصلب والغداء هو من مبتكرات

(١) كتاب الفارق بين المخلوق والخالق تأليف المرحوم الشيخ عبد الرحمن بك باجى

زاده .

(٢) المرجع السابق .

(٣) إنجيل القديس برنابا ترجمة خليل سعادة وهذا الإنجيل ترفضه الكنيسة ولا تعترف به .

ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح وليست من أصول النصرانية الأصلية (١) .

من الذى دس فكرة تقديس الصليب فى النصرانية :

إن بولس الذى لم يتأخذ على المسيح أصلاً ، بل ولم يره فى حياته أندس بعد ذهاب المسيح ضمن تلاميذه ، وذلك بمكره وتحايله حتى وثقوا به ، هو الذى ابتدع شعار الصليب فى مواعظه ، لذلك فهو يقول عنه فى إحدى رسائله (لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً) (٢) ويسوع المسيح تعنى عيسى المسيح .

ويهدى بولس فى حبه وغرامه بالصليب فيقول فى رسالته المذكورة (إن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله) (٣) .

كيف كانت نظرة اليهود إلى الصليب :

كان اليهود ينظرون إلى خشبة الصليب على أنها أداة تعذيب الخارجين على القانون ، ولذلك اعتبروا أن كل من يموت على خشبة الصليب ملعون تطبيقاً لما ورد عنه فى سفر التثنية فى قوله (وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشبة بل قد تدفنه فى ذلك اليوم لأن المعلق ملعون من الله فلا تنجس أرضك التى يعطيك الرب إلهك نصيباً) (٤) .

والعجيب أن النصارى وهم يقرأون هذا النص يصيهم الصمت المطبق

(١) المرجع السابق .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح الثانى عدد ٢ .

(٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح الأول عدد ١٨ .

(٤) سفر التثنية من كتاب اليهود المقدس الإصحاح ٢١ عدد ٢٢ ، ٢٣ .

كانهم لا يعلمون ولا يفقهون ، بل نراهم يرددون ما يزعمه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية عن المسيح في قوله (المسيح افتدانا من لعنة الناموس إذا صار لعنه لأجلنا لأنه مكتوب ملعون كل من عاق على خشبة) (١) فكيف يستقيم قول بولس هذا مع ما يذكره المسيح عليه السلام عن نفسه من أنه كان مباركاً ومقدساً ومرضياً عنه من الله سبحانه وتعالى ، وذلك في قول المسيح الموجود في إنجيل متى (ومتى جاء ابن الإنسان في مجده وجميع الملائكة والتقيدين معه فحينئذ يجلس على كرسي مجده) (٢) .

وقول مرقس عنه في إنجيله لما قربوا من أورشليم (والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون أو صنا مبارك الآتي باسم الرب) (٣) .

وقول يوحنا في إنجيله عن المسيح وهو يخاطب ذات الله العلية (وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته أنا مجدتك على الأرض . العمل الذي أعطيتني لأعمل قد أكملته والآن مجدني أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذي كان عندك قبل كون العالم) (٤) ولفظ (الأب) بمد الهمزة تعني اسم (الله) ولفظ (أب) هذا سرياني أو كلداني الأصل وهو الذي ذكرته التوراة ويعني موجد أو فاطر أو خالق وهو خلاف لفظ (أب) دون مد للهمزة وهذه تعني (والد) باللغة العربية (٥)

ويؤكد القرآن الكريم رفعة منزلة المسيح عليه السلام وذلك في قوله جل شأنه فيما يذكره عنه (قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنت) (٦) .

(١) رسالة بولس إلى غلاطية الإصحاح ٣ عدد ١٣ .

(٢) إنجيل متى الإصحاح ٢٥ عدد ٣١ .

(٣) إنجيل مرقس الإصحاح ١١ عدد ٩ .

(٤) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧ عدد ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٥) كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داود الأشوري العراقي .

(٦) سورة مريم ٣٠ ، ٣١ .

القرآن الكريم ينفي عن المسيح وصمة القتل والصلب :

لما أرسل الله المسيح عليه السلام نبياً ورسولاً إلى بني إسرائيل لإصلاح ما أفسدوه ، ثم بشرهم بقرب بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم خاتماً للأنبياء والمرسلين وأنه سيكون من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وليس من بني إسرائيل ، ودعوته ستكون للعالمين ، نفر الإسرائيليون من دعوة المسيح وكلامه وغضبوا عليه وناصروه العدا حتى انتهى بهم الأمر أن تواطؤوا بواسطة كبير كهنتهم مع الحاكم الروماني لإقليم مدينة القدس بعد أن أفهموه وألقوا في روعه أن هدفه من تلك الدعوة هو طرد الرومان منها ، فظاهرهم على قتله واتخذوا من أحد مريديه وتلاميذه عيناً عليه يرصد حركاته وتنقلاته ويخبرهم بها ، وفي اليوم الذي حددوه وكان تالياً لأحد أعيادهم جاءت قوة من الرومان يتقدمهم ذلك الجاسوس ودخلوا على المسيح للقبض عليه ، وعندئذ ألقى الله شبهه على الجاسوس الخائن فقبض عليه وتمت محاكمته وصدر عليه الحكم بقتله وصلبه ، أما المسيح عليه السلام فقد نجا من تلك المؤامرة فقد رفعه الله إلى موضع تولى فيه حفظه وحمايته حتى لا يجرى فيه حكم أعدائه الإسرائيليين ، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً) (١) .

الشعوب الوثنية القديمة كانت تقدر تقديس الصليب :

يبدو أن تاريخ الصليب ضارب في القدم عند أصحاب الأديان الوثنية :

١ - فكما اعتقد المصريون القدماء في الثالوث الفرعوني (آمون وموت وخنو) استخدموا شعار الصليب واعتبروه علامة الحياة . ومما يؤكد ذلك أنه عثر أخيراً في مدينة الأقصر (والتي كانت تسمى قديماً باسم مدينة طيبة)

على كتابة قديمة على جدران معبدها تبشر بالأم العذراء وأمامها الروح القدس المصرى مرسوماً وهو قابض على صليب في مواجهة العذراء وهى تضع طفلاً لها (١) .

٢ - وفي بلاد اليونان القديمة وبلاد الهند والتبت عرفوا الصليب إذ كانوا يستخدمون شعار الصليب كرمز للحب والتضحية (٢) .

كيف ابتدع شعار الصليب :

عندما اكتشفت النار في قديم الزمان سحر الناس وفرحوا بها ، وقد بلغ افتتاهم بها حد التقديس ، وقد أدى بهم هذا التقديس أن جعلوا لها شعاراً أبدعوه من عضوين متعامدين على هيئة الصليب المقدس لدى طوائف النصرى في زماننا المعاصر ، وبسبب سحرهم بالنار وإعجابهم بها وتقديسهم لها وصلوا بها إلى حد العبادة ومن ثم كانت عبادة النار (٣) .

من الذى فرض الصليب شعاراً مقدساً لدى الشعوب النصرانية :

لما انتشرت النصرانية عقيدة ودينا في بعض أقطار الدولة الرومانية كانوا يرمزون للمسيح عليه السلام بصورة الحمل المخلص وذلك نقلاً عن عقيدة ميترى الفارسية التى كانت تسودها منذ سنة ٤٠٠ قبل الميلاد فكرة المسيح المخلص أيضاً ،

ولما فرض الإمبراطور قسطنطين النصرانية فرضاً على شعوب الدولة الرومانية فى بداية القرن الرابع الميلادى تصادف أن أحضرت جيوشه عند عودتها من بلاد الغال محاور متعامدة للمجموعة الشمسية رمزاً لعبادة الشمس ، وكانت على أشكال الصليب فأعجب بها الأمير قسطنطين أيما إعجاب

-
- (١) كتاب محمد فى الكتاب المقدس للأستاذ إبراهيم خليل أحمد نقلاً عن كتاب الكون المنشور للسير آرثر فنلاى .
(٢) المرجع السابق .
(٣) المرجع السابق .

ولذا فقد اتخذها هو أيضاً رمزاً وشعاراً للإيمان بنصرانيته، وفي سنة ٦٨٠ ميلادية قامت الدولة رسمياً باستبدال شعار الحمل إلى شعار الصليب، وذلك في صورة رجل مربوط إلى الصليب، ومنذ ذلك الوقت صار الصليب شعاراً للدولة الرومانية (١).

الإمبراطور الروماني هرقل هو أول من قاد الحملات الصليبية في حروبه :

ذلك أنه لما قامت الدولة الفارسية الساسانية بمحاربة الدولة الرومانية وهزمتها إثر تحرش إمبراطور الرومان فوكاس بدولة الفرس، فاستولت على أخصب ممتلكاتها في الشرق ومن أهمها فلسطين وبيت المقدس (مدينة القدس حالياً) سنة ٦١١ م كما انتزعت جيوشها الصليب المقدس من كنيسة القيامة، ونقلته إلى المدائن عاصمة الفرس، وظل هناك مدة ثلاثة عشر عاماً حتى ثار هرقل على الإمبراطور فوكاس وأطاح به وتبوأ هو عرش الإمبراطورية فأعد جيشاً رومانياً كثيفاً لمحاربة الفرس، وقد تحقق له النجاح وانتصر عليهم، واسترد الصليب المقدس منهم، ومن قبيل التفاؤل جعل الإمبراطور المذكور شارة الصليب شعاراً في جيوشه، وكان ذلك سنة ٦٢٢ ميلادية فكانت بذلك أول تعبئة لجيش صليبي لرد هجوم الفرس على الدولة الرومانية وزاد في التعلق به ما أحرزته جيوشها من نصر على الجيوش الفارسية واسترداد الرومان لبيت المقدس فأعادوا الصليب المقدس لكنيستها (٢)

* * *

(١) المرجع السابق نقلا عن كتاب صخرة الحق للسير آرثر فنديلاي .

(٢) المرجع السابق .

الفصل الثالث

العبادات في النصرانية

توجد عند المسيحيين عبادتان هما الصلاة والصوم ، لكنهما عبادتان اختياريتان طبقاً لما يراه أكثر المسيحيين وليستا إجباريتين .

أولاً - الصلاة عند المسيحيين :

هي ركن من أركان المسيحية ، فهي عندهم تقرّبهم إلى الله عن طريق المسيح ، ولها شرطان أساسيان لا تكون صلاة بدونهما .

الشرط الأول : أن تقدم باسم المسيح طبقاً لما جاء في الإصحاح ١٦ من إنجيل يوحنا عدد ٢٦ حاكياً عن المسيح . قوله :

« الحق أقول لكم إن ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم ، إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي ، اطلبوا تأخذوا وليكون فرحكم كاملاً » .

الشرط الثاني : أن يسبق الصلاة الإيمان الكامل بأنهم سينالون ما يطلبون طبقاً لما جاء في إنجيل مرقس الإصحاح ١١ عدد ٢٤ ما نصه حاكياً عن المسيح « لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم » .

كيفية التعبير في الصلاة :

١ - ترك للمسيحيين أن يتلوا من العبارات ما يختارونه بشرط ألا تخرج عن قاعدة الصلاة التي علمهم إياها المسيح ، لكي يصلوا على منوالها ، وهي المسماة بالصلاة الربانية فقد جاءت في صدر الإصحاح ١١ من إنجيل لوقا عدد ١ وما بعده حاكياً عن المسيح .

(وإذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه : يارب

علمنا أن نصلى كما علم يوحنا أيضاً تلاميذه، فقال لهم : متى صليتم ، فقولوا :
أبانا الذى فى السماوات ، ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك ، لتكن مشيئتك
كما فى السماء كذلك على الأرض ، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا
خطايانا لأننا نحن نغفر لكل من يذنب إلينا ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا
من الشرير) ومثله فى إنجيل متى لإصحاح ٦ عدد ٩-١٣ .

٢ - ويختارون أدعية أخرى فى صلواتهم من سفر المزامير الذى يقولون
عنه أنه خزنة ذهبية لصلوات داود النبي وغيره من الأنبياء .

عدد الصلوات ومواقيتها : (١) .

لا يوجد لدى المسيحيين نص عن عدد معين من الصلوات كل يوم
أو مواقيت لها ، إلا أنهم يتشبهون ويقتبسون من اليهود العدد والوقت للصلاة ،
لذا قرروا لهم صلاتين إحداهما فى الصباح والأخرى فى المساء .

وإذا كان اليهود يقتصرون على هاتين الصلاتين على زعم أن الله يمل من
الإكثار من الصلاة كل ساعة ، إلا أن النصارى يستحسنون الإكثار منها ،
ويستندون فى ذلك إلى ما جاء فى صدر الإصحاح ١٨ من إنجيل لوقا :

(وقال لهم أيضاً مثلاً فى أنه ينبغى أن يصى كل حين ولا يمل)

كما جاء فى عدد ٧ من ذلك الإصحاح أيضاً ، عدد ٨ :

(أفلا ينصف الله مختاربه الصارخين إليه نهاراً وليلاً وهو متمهل عليكم
أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً) .

كما جاء فى آخر رسالة بولس إلى أهل تسالونيكي « صلوا بلا انقطاع » (٢)

لذلك زادوا فيها إلى سبع صلوات فى اليوم والليله وهى كالآتى :

١ - صلاة البكسور .

(١) المسيحية - مقارنة الأديان - للدكتور أحمد شلبى .

(٢) رسالة بولس الى أهل تسالونيكي الأولى إصحاح ٥ عدد ١٧ .

- ٢ - صلاة الساعة الثالثة .
- ٣ - صلاة الساعة السادسة .
- ٤ - صلاة الساعة التاسعة .
- ٥ - صلاة الساعة الحادية عشرة .
- ٦ - صلاة الساعة الثانية عشرة .
- ٧ - صلاة منتصف الليل (١) .

وليس للصلاة ترتيب خاص وإنما هي أدعية تختلف من مكان إلى مكان ويفسرونها بأنها استحضار أذهانهم لروح الصلاة على الدوام ، وكلما خطر على البال ذكر الله ومحبته يتجهون إليه سواء أكان بالقول أو بالتوجهات القلبية بدون كلام لأن الله يعلم ما في القلوب .

ثانياً - عبادة الصوم عند المسيحيين :

يعنى الصوم عند المسيحيين الامتناع عن الطعام من الصباح حتى بعد منتصف النهار ثم تناول طعام خال من الدسم . ومواسم الصوم عند المسيحيين هي كالآتي :

- ١ - يوم الأربعاء لأنه يوافق يوم المؤامرة التي انتهت بالقبض على المسيح .
- ٢ - يوم الجمعة لأن المسيح صلب يوم الجمعة في اعتقادهم .
- ٣ - صوم الميلاد ، وعدد أيامه ٤٣ يوماً تنتهي بعيد الميلاد .
- ٤ - الصوم المقدس ، وعدد أيامه ٥٥ يوماً تشمل عدد الأربعين يوماً التي صامها المسيح مضافاً إليها خمسة عشر يوماً أخرى هما أسبوعا الاستعداد والآلام .

٥ - صوم الرسل وعدد أيامه يزيد وينقص حسب الطوائف المسيحية وتتراوح مدته ما بين ١٥ ، ٤٩ يوماً .

٦ - صوم العذراء ، ومدته ١٥ يوماً تبدأ من أول شهر مسرى .

٧ - صوم أهل نينوى ومدته ٣ أيام ويبدأ يوم الاثنين (١) .

ما حرمه المسيحيون على أنفسهم خلال الصوم المقدس :

حرم المسيحيون على أنفسهم أكل كل حيوان أو ما يتولد منه أو ما يستخرج من أصله ، بل يقتصرون على أكل البقول ، وتحريمهم أكل اللحوم هو ما أحدثوه بالرأى بعد المسيح وتلاميذه متشبهين بالمانوية أصحاب مذهب ماني ، مع أن ماني زنديق على زعمهم .

هل الصوم عند المسيحيين فرض عليهم أم عبادة :

لا يوجد في الأناجيل نص يقضى بفرض الصوم ، وإنما فيها ذكره ومدحه واعتباره عبادة فقط ، وذلك كالنهي عن الرياء وعدم العبوس في الصوم .

انظر إنجيل متى لإصحاح ٦ عدد ١٦ ، « ومتى صتمت فلا تكونوا عابسين » (٢) .

* * *

(١) المرجع السابق .

(٢) العهد الجديد بالكتاب المقدس .

الباب الثاني

- ١ - المصادر الحقيقية لعقيدة النصرانية .
- ٢ - مقارنات بين عقائد الوثنية والنصرانية .
- ٣ - الديانات التي انسلخت من التوحيد وصارت إلى التعدد .
- ٤ - طوائف النصرانية وفرقها .

الفصل الأول

المصادر الحقيقية لعقيدة النصرانية

النصرانية في القرن الأول الميلادي بعد ذهاب عيسى :

لما كانت تعاليم الفلسفة القديمة منتشرة في أنحاء الإمبراطورية الرومانية ولم يتمكن المسيحيون من التغاضي عن تأثيرها ، لذلك قام أعلمهم في الجيل الأول من التاريخ المسيحي وفتح مدرسة في الإسكندرية ، وهذا العالم المسيحي يدعى القديس أمنيوس سقاس ، وقد قال عنه العلامة موسهيم في تاريخه : إنه كان ذا عقل ثاقب ، وأفكار سامية ، كما كان فصيحاً .

أخذ ذلك القديس أمنيوس سقاس يؤلف بين الفلسفة والدين المسيحي ، فأخذ يعلم فلسفة يتحد بها المسيحيون مع كل الأديان السائدة .

١ - فنأدى بأن الكون واللاهوت كلاهما جزءان من كل واحد عظيم ، وهذا الكل هو الله ، كما نادى بأزلية العالم وطبيعة النفس ، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً .

٢ - وسمح للعامّة بأن تعيش حسب شرائع بلادهم وماتقضيها الطبيعة ، فكان الدين دينين ، ديناً للعوام ، وديناً للعلماء والفلاسفة .

(أ) وكان العوام يمارسون الطقوس الوثنية .

(ب) وكان العلماء والخواص يحولون كل تواريخ الآلهة الوثنية إلى رموز واستعارات ، فأثبتوا من ذلك أن المسيح كان إنساناً خارق العادة ، وحبیب الله وعارفاً بعمل الله بنوع مدهش .

٣ - وانتشرت تعاليم ذلك القديس أمنيوس سقاس من مصر إلى

جميع الإمبراطورية الرومانية في زمن قصير ، حيث جذبت لها أنصارا
عديدين من طلاب العلوم وقتئذ .

٤ - من أشهر تلاميذ القديس أمنيوس سقاس (بلونيس) وكان حاذقا
في إجراء المناقشات فقام بنشر تعاليم أستاذه في بلاد فارس ثم في روما .

٥ - لما كان العوام - أكثر من العلماء والفلاسفة - لم يقتنعوا ببساطة
المسيحية ، لأن اليهود وكهنة الوثنيين رشقوهم بالكفر لعدم وجود هياكل
ولا مذابح ولا ذبائح ولا كهنة ولا احتفالات في المسيحية مما اضطر علماء
المسيحيين أن يدخلوا طقوسا خارجية تطرق حواس الشعب ، وهنا تدخلت
الأسرار الوثنية في الطقوس المسيحية . ولا سيما المعمودية والعشاء الرباني .

وقد ذكر موسهيم أيضاً أن كثيرا من الطقوس نشأ من عادات المصريين ،
ثم قال بعد ذلك أن الشعب بوجه عام توغل جميعه في الخرافات ، ولم يكثر
بشيء إلا بالتمائيل والأيقونات والمعازات (أى التعاويذ) كالإله
والأحجية وبالطقوس الفاسدة التي طمع الإكليروس في فرضها عليهم ،
نعم إن العلماء لم يفقدوا بالكلية كل معرفة الحق ، بل مزجوها ودنسوها
بآراء وتعاليم بعضها مضحك وسقيم ، وبعضها مضر وخبيث ، وبعضها
غير نافع ومضلل . ولاريب أنه كان أناس أتقياء صالحون يرغبون في المحاماة
عن التقوى ، غير أنهم هم كانوا يحتاجون إلى المحاماة عنهم ضد تابعي
الخرافة وعدم التقوى .

٦ - وتقول السيدة أنى بيزنت عالمة الأديان في كتابها (المسيحية) (١)
« إن الأناجيل الأربعة التي جمعها المسيحيون في القرن الرابع الميلادي ،
تطابق الكتب المنتشرة بين الآسيويين وهم الهندوس والبوذيون ، والشنتويون
والسيخيون ، كما أنها تحوى أسراراً خفية للأديان الآسيوية السابقة والتي
لم تعلن إلا للقليلين .

(١) مصادر المسيحية وأصول النصرانية - للأستاذ محمد أفندي حبيب .

انظر متى - إصحاح ٧ عدد ٦ (لا تعطوا القدس للكلاب) .

ومتى إصحاح ١٥ عدد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، (فأتت وسجدت له قائلة يا سيد أعني ، فأجاب وقال : ليس حسنا يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب) .

ويوحنا إصحاح ٤ عدد ١٢ وما بعده :

قالت له المرأة يا سيد لادلو لك والبئر عميقة فمن أين لك الماء الحي ، ألعلائك أعظم من أيننا يعقوب الذي أعطانا البئر وشرب منها هو وبنوه ومواشيه ، أجاب يسوع وقال لها : كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا ، ولكن من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد .

١ - ويعلق (ول دورانت) على أسرار المسيحية بقوله في كتابه (قيصر والمسيح) إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها . ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها ، وأصبحت اللغة اليونانية التي ظلت قرونا عدة صاحبة السلطان على السياسة - أداة الأدب والطقوس المسيحية ، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القديس الحفية الرهيبة ، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف .

وجاءت من مصر آراء الثالوث المقدس ويوم الحساب ، وأبدية الثواب والعقاب وخلود الإنسان في هذه أو تلك ، ومنها جاءت عبادة أم الطفل والاتصال الصوفي بالله ، ذلك الاتصال الذي أوجد الأفلاطونية الحديثة ، واللا أدرية وطمس معالم العقيدة المسيحية .

وقصارى القول أن المسيحية كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني

القديم . ا هـ .

٢ - أما العالم الإنجليزي (أدوين جونسن) فيقول في كتابه (نشأة

الديانة المسيحية) المطبوع في مطبعة كيجن بول وشركاه بلندن : إن الدين المسيحي مأخوذ من أصليين ، أصل روماني قديم ، وأصل إسلامي .

(أ) أما الأصل الروماني فنه أن للإله ابنا هو عبارة عن (رملس ابن ريبا سلفيا) ابنة أحد الأمراء ، ورياسلفيا هذه نذرت العفة وانخرطت في سلك العذارى المقيتات في هيكل الإله (فستا) لعبادتها ، ولم يعرفها رجل على زعمهم ، ولما كانت في الهيكل جاءها معبودهم مارس أو المريخ ، إله الحرب فحملت منه ، وولدت رملس مؤسس الممابكة الرومانية ، وقد ثبتت هذه الفكرة عند الرومان مدة تقرب من ألف عام ، وانتشرت في جميع الأمم التي خضعت للرومان ، كما نسب إلى (رملس) إله الرومان المولود من العذراء فستا ، الصعود إلى السماء في مركبة نارية ، وذلك قبل ميلاد المسيح بأكثر من سبعة أجيال ، إذ إن الرومان يقولون إن رملس ولد سنة ٧٥٣ قبل الميلاد ، وكذلك ظهر رملس في الأرض بعد الصعود كظهور المسيح ، لابسا سلاحا يخطف الأبصار ببريقه ، فلما دخل سكان الإمبراطورية الرومانية في المسيحية ، وعلموا أن المسيح نشأ من العذراء بكيفية إعجازية استسهلوا أن يضاوهو بلههم القديم (رملس) فجعلوه ، أي المسيح ابنا للإله أيضا وقالوا إنه صعد إلى السماء .

(ب) أما المسائل الإسلامية التي أدخلت في الإنجيل على زعم هذا الكاتب الإنجليزي ، فهي كثيرة من ضمنها الكلام عن النبي محمد (ﷺ) الوارد في إنجيل يوحنا ، فإن المسيحيين لا يمكنهم أن ينكروا أن لفظ (بيركلتس) أو (باركليت) معناه محمد ، ويستطرد هذا الكاتب فيقول إن هذه الكلمة دخلت في الإنجيل بعد القرآن جهلا من النصارى ، والمسلمون يقولون إنها كانت في الإنجيل الأصلي ، طبقا لما حكاه القرآن على لسان عيسى قال تعالى (وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) (١) .

(١) القرآن الكريم - سورة الصف : آية (٦) .

كما يقرر هذا العالم الإنجليزى أن دين اليهود كان قد تلاشى تقريبا قبل ظهور الإسلام ، وأن دين النصارى كان منه مبادئ طفيفة فى وسط الممالك الأوروبية حتى كأنه قطعة من السكر فى البحر الملح .

فلما ظهر الإسلام قوى اليهود قوة كبيرة ، وصار علماءهم يكتبون باللغة العربية ، واكتسبوا أمورا كثيرة من الإسلام ، وبها أحيوا دينهم حتى يمكن القول أنهم أحيوه بواسطة العلوم الإسلامية ، لأن مبادئ الأديان الحققة الثلاثة كلها واحدة ، وصاروا سببا فى نشر الأفكار الإسلامية فى أوروبا بصيغة إسرائيلية .

فلما حصل التهيد بواسطة اقتباسات اليهود من الإسلام ، قامت الرهبان النصارى أيضا بعمل مماثل لعمل اليهود لتقوية النصرانية ، فأدخلوا فى الإنجيل أشياء كثيرة إسلامية أخذوها من الإسلام حتى فى السياسة ، حتى لقد صار البابا فى تعيينه ، مثل الخليفة عند المسلمين لابد من انتخابه ، وجاء اتصال الرهبان المسيحيين وهم فى إيطاليا بالمسلمين عن طريق المستعمرات الإسلامية التى كانت تحتاط بهم حيث يوجد بها المساجد الإسلامية الكثيرة وقتئذ .

٧ - ومن الخطأ الادعاء بأن عقائد المسيحية مستمدة من الأناجيل أو من أقوال المسيح ، لأن (١) الاتجاهات فى تلك العقائد المسيحية وجدت قبل المسيح وقبل الأناجيل بمئات السنين . ويربط الأستاذ عباس العقاد فى كتابه (عقائد المفكرين فى القرن العشرين) بين المسيحية وعقائد البدائيين فىقول : إنه لما كشفت أمريكا الوسطى وجد الأسبان فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها ، فحف القساوسة والمبشرون إلى البلاد الجديدة ليبحثوا فى أديانها ، ويحولوا أقوامها إلى العقيدة المسيحية ، فأدهشهم بعد قليل من الدراسة أن يروا لهم شعائر على شىء من الشبه بنظائرها فى الديانة المسيحية ، وذلك كالتكفير عن الخطيئة ، والخلاص ، وبعض المناسك الأخرى .

(١) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبى .

٨ - ويقول العلامة جارسلاف كربتي أستاذ اللغويات ، بجامعة أكسفورد بإنجلترا في كتابه (ديانة قدماء المصريين) بوجود التماثل والتطابق بين الثالوث المسيحي والثالوث الفرعوني ، الأمر الذي دعاه إلى التقرير بأن الثالوث المسيحي مأخوذ من الثالوث الفرعوني .

٩ - ويلاحظ غوستاف لوبون تشابها واضحا بين الديانة البوذية وبين المسيحية ، مع أن البوذية ظهرت قبل المسيحية بأكثر من خمسة قرون ، وهذا التشابه من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع فيقول في كتابه حضارة الهند : إنك تلاحظ تماثلا عجيبا من كل وجه بين صيام عيسى في البرية ، حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات ، وصيام بوذا في الأيام حيث حاول الشيطان أن يغويه ثلاث مرات أيضاً ، ويذكرنا ما حدث لهذا الحكيم الهندوسي مع المرأة التي طلب منها أن تسقيه وهي من الطبقة الدنيا ، بما حدث لعيسى مع السامرية ، وما قاله لها ، وكلتا الديانتين أمرتا بالإحسان والزهد ، وكلتاها ناطتا الخطيئة بالنيات كما تناط بالأعمال ، وكلتاها ابتدعتا الرهبانية ، ولم تكونا سوى وجهين لحادث مهم واحد في تاريخ العالم . ويحتم غوستاف لوبون هذه المقارنة بقوله : وليس مما نبالي به كثيراً أن تكون إحداها مدينة للأخرى .

١٠ - ويقول الأستاذ الدكتور أحمد شلبي في كتابه (مقارنة الأديان) عن المسيحية : إن مسيحية بولس استعارت عقيدتها وشعائرها من البوذية ، فطبيعة اللاحق أن يستعير من السابق ، ولا يمكن العكس أن يكون ، وبخاصة أن هذه الاتجاهات دونت قبل ظهور عيسى ، وهي وليدة الحياة الهندية وسائدة في أفقها .

١١ - ويقول الخواجا كمال الدين في مؤلفه عن المسيحية : إن تعاليم عيسى وكلماته لا تتسق مع اتجاه الكنائس في عهدها الحاضر ، وإن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية .

١٢ - كما يقرر العالم روبرتسون أن ديانة متراس لم تنته في روما إلا بعد أن انتقلت عناصرها الأساسية إلى المسيحية .

١٣ - ولقد عقد الخواجا كمال الدين وزميله روبرتسون مقارنة بين العقائد الوثنية وبين عقائد المسيحية الحالية وانتهيا إلى الآتى :

قبل ظهور المسيح كانت هناك معابد كثيرة تقدر عددا كبيرا من الآلهة .

(أ) فهناك مثلا آبلو الذى كان يقدره الإغريق .

(ب) وهيركوليس معبود الرومان .

(ج) ومترا معبود الفرس .

(د) وأدونيس معبود السوريين .

(هـ) وأوزيريس وحوريس وإيزيس معبودات المصريين القدماء .

(و) وبعل معبود البابليين .

وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس ، وفى تلك الأديان أو

أكثرها توجد المعتقدات الآتية :

(أ) كل هذه الآلهة ينسب لها أنها ولدت فى نفس الفترة (الشهر

أو الموسم) التى ينسب لعيسى أنه ولد فيها .

(ب) كل هؤلاء ولدوا فى كهف أو حجرة تحت الأرض .

(ج) كلهم عاشوا حياة فيها عناء من أجل الجنس البشرى .

(د) جميعهم كانوا يوصفون (المتخاص ، المنفذ ، الوسيط) .

(هـ) كلهم قهروا الشر والظلام .

(و) ألقى بهم بعد هزيمتهم فى المدافن أو النيران السفلى .

(ز) جميعهم هبوا من مدافنهم بعد الموت وصعدوا إلى عالم السماء .

(ح) كلهم أسسوا خلفاء لهم ورسلا ومعابد .

(م ٧ - النصرانية والإسلام)

١٤ - ومن العجب أن أمر عقائد المسيحيين وشعائرهم واستمدادها من الديانات الوثنية السابقة والمعاصرة لها ، ليس يخاف على الكهنة المسيحيين الذين يقودون شعب الكنيسة في أنحاء الأرض ، ومما يؤكد هذا النظر أن الأستاذ محمد فؤاد الهاشمي وقد كان قسيسا مسيحيا قبل إسلامه يقول في كتابه « إن المسيحية في أصولها دين روحى سماوى جاء به المسيح من عند الله ، ولكن الكهنة في كل زمان ومكان يتكبرون الأسرار لأنفسهم ، تلك الأسرار التي لو كشفنا عنها لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه ، وإنه ليمعنى من الدخول في أسرار الكنائس عديد من الاعتبارات سوف تزول ويأتى الوقت الذى نفضح فيه عن كل شيء ، وقد احتفظ رجال الكهنوت بكثير من الأسرار وأباحوا الرموز للشعب ، وهذه سنة جرى عليها جميع الكهنة من قبل المسيحية ، وقد أشار السيد المسيح إلى هؤلاء الكهنة عندما وجه القول إلى الفريسيين والصدوقيين من اليهود قائلا لهم : لا تضعوا المصباح تحت المكيال . وقد غنى المسيح بالمكيال الرموز والطقوس ، كما غنى بالمصباح الحقائق المستورة تحت الرموز والطقوس (١) .

* * *

(١) كتاب (الأديان في كفة الميزان) بقلم الأستاذ محمد فؤاد الهاشمي .

الفصل الثاني

مقارنات بين عقائد الوثنية في دياناتها

والنصرانية في عقائدها الحالية

أوجه الشبه بين ديانة مترا والمسيحية تفصيلا

ما هي الديانة الميترية :

هذه الديانة فارسية الأصل ، وقد وجدت في بلاد الفرس قبل ميلاد المسيح بستة قرون تقريبا ، ثم نزحت إلى روما حوالى سنة ٧٠ قبل الميلاد ، ومن هناك انتشرت في بلاد الرومان ، وصعدت إلى شمال إيطاليا حتى وصلت إلى بريطانيا ، حيث اكتشفت بعض آثارها في مدينة يورك ومدينة سستر وغيرها من المدن هناك .

وإذا نظرنا إلى عقائد المسيحيين في المسيح ، وجدناها تطابق عقائد أتباع مترا فيه ، وإليك البيان (١) :

أقوال النصارى والمسيحيين في المسيح

ما كان يقوله أصحاب ديانة مترا

- ١ - ولد المسيح في غار .
- ٢ - والمسيح ولد في ٢٥ ديسمبر عند المسيحيين الأوروبيين .
- ٣ - والمسيح بعد دفنه قام من قبره .

- ١ - ولد مترا في زاوية من الأرض
- ٢ - ولد مترا في ٢٥ ديسمبر
- ٣ - دفن مترا ولكنه عاد للحياة وقام من قبره .

(١) كتاب (مقارنة الأديان - المسيحية) للدكتور أحمد شلبي .

أقوال النصارى والمسيحيين في المسيح

- ٤ - مات المسيح ليخلص البشرية من الخطيئة الأزلية .
- ٥ - والمسيح صعد إلى السماء بعد قيادته من قبره .
- ٦ - وكان للمسيح ١٢ تلميذا .
- ٧ - والمسيح من صفاته عندهم أنه كان كالحمل الوديع .
- ٨ - والمسيحيون لديهم هذا التعميد بوصفه ختم عهد النعمة لهم .
- ٩ - وفي المسيحية عشاء رباني يعتبر طعاما مقدسا روحيا للمسيحيين .
- ١٠ - والمسيح مطهر القلوب .
- ١١ - والمسيح مخلص الخطاة ومنقذ .
- ١٢ - والمسيح إكليل حياتهم .
- ١٣ - والمسيح قدم نفسه لفداء العالم .
- ١٤ - والمسيح شفيع لدى الأب .
- ١٥ - والمسيح وسيط بين الله والناس .
- ١٦ - والمسيح شمس البر .

ما كان يقوله أصحاب ديانة ميترا

- ٤ - مات ميترا ليخلص البشر من خطاياهم .
- ٥ - صعد ميترا إلى السماء أمام تلاميذه وهم يبتهلون له ويركعون .
- ٦ - كان حواريو ميترا (١٢) حواريا .
- ٧ - من أوصاف ميترا أنه كان كالحمل الوديع .
- ٨ - كان أتباع ميترا يعبدون باسمه .
- ٩ - وفي ذكراه كل عام يقام عشاء مقدس .
- ١٠ - ميترا كان رمزا للطهارة .
- ١١ - ميترا كان يدعى مخلصا من الخطيئة ومنقذا .
- ١٢ - ميترا كان تاجا للمؤمنين .
- ١٣ - ميترا كان الذبيح القادى .
- ١٤ - ميترا كان شفيع المذنبين .
- ١٥ - ميترا وسيط بين الله والبشر .
- ١٦ - ميترا شمس الحياة .

١ - ومن هذه المقارنة يتبين وجه الشبه الكبير بين ميترإ إله الرومان واليونان ، في خلال مدة حكم إمبراطور الرومان قسطنطين ، لذلك قبل إمبراطور الرومان المذكور دخول المسيحية مع محافظته على آثار وشعائر ميترإ ، التي تشبه كما قدمنا شعائر المسيحية .

٢ - مما يؤيد هذا القول أن العلامة جون روبرتس يقرر أن الميترإيزمية لم تمت باعتراف الرومان للمسيحية لكنها تقمصت في المسيحية (١) .

٣ - والإمبراطور قسطنطين هذا كان متصفا بالقسوة حتى لقد قتل ابنه كرسئوس وامرأته قسطنطينة بتهمة وهمية كما خان صهره ليسينوس ، وقد اعتنق المسيحية ليؤسس بها المسيحية الملكية أو المسيحية السياسية حماية لدولته من الانهيار .

٤ - أسبق ذلك الإمبراطور على المسيحية السياسية التي اعتنقها ، غلظته وقسوته ، لذلك أعطى للإكليروس المسيحي ما كان للكهنة الوثنيين من الهيبة والصولة ، وزاد في أوقاف الكنائس ، وشجع إقامتها في كل مكان .

٥ - قام أتباع ذلك الإمبراطور بسن القوانين وإصدار الأوامر في سنة ٣٤٢ ميلادية ، بإغلاق كل الهياكل الوثنية ، وقتل مخالفى الدين المسيحي بكيفية صارمة ، سماها موسهم بالشريعة الظالمة لأنها اغتصاب للضمير وقهره دون أن تقوم بإقناعه ، وهذا يناهى روح الديانة المسيحية الأصلية التي تقوم على العفو والتسامح (٢) .

٦ - ومن هنا تشرب أكثر النصارى القسوة البربرية التي بمقتضاها أباحوا قتل مخالفهم في الدين أو المذهب واغتياه ، طبقا لما هو مروى في كتب التاريخ طوال أعصرهم المختلفة (٣) .

(١) كتاب (مصادر المسيحية وأصول النصرانية) تأليف محمد أفندى حبيب .

(٢،٣) المرجع السابق .

مقارنة بين ما يقوله عباد الوثنيين في بوذا

وما يقوله النصارى المسيحيون في يسوع المسيح

أقوال النصارى والمسيحيين في يسوع
الذى يزعمون أنه ابن الله

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا
الذى يزعمون أنه ابن الله

١ - ولد يسوع المسيح من
العذراء مريم بغير مضاجعة رجل .

١ - ولد بوذا من العذراء مايا
بغير مضاجعة رجل .

٢ - كان تجسد يسوع المسيح بواسطة
حلول روح القدس على العذراء مريم .

٢ - كان تجسد بوذا بواسطة
حلول روح القدس على العذراء مايا .

٣ - لما نزل يسوع من مقعده
الساوى ودخل في جسد مريم العذراء
صار رحمها كالبلور الشفاف النقى
وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .

٣ - لما نزل بوذا من مقعد
الأرواح ودخل في جسد العذراء مايا
صار رحمها كالبلور الشفاف النقى
وظهر بوذا منه كزهرة جميلة .

٤ - وقد دل على ولادة يسوع
نجم ظهر في الشرق ومن الواجب أن
يدعى نجم المسيح .

٤ - وقد دل على ولادة بوذا
نجم ظهر في أفق السماء ويدعونه نجم
المسيح .

٥ - ولد يسوع من العذراء مريم
التي حل فيها الروح القدس يوم عيد
الميلاد أى في ٢٥ كانون أول .

٥ - ولد بوذا من العذراء مايا
التي حل فيها الروح القدس يوم عيد
الميلاد أى في ٢٥ كانون الأول .

٦ - ولما ولد يسوع فرحت
ملائكة السماء ورتلوا الأناشيد حمداً
للوحد المبارك قائلين : المجد لله في

٦ - لما ولد بوذا فرحت جنود
السماء ورتلت الملائكة أناشيد المجد
للمولود المبارك قائلين : ولد اليوم

أقوال النصارى والمسيحيين في يسوع
الذى يزعمون أنه ابن الله

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا
الذى يزعمون أنه ابن الله

الأعالي ، وعلى الأرض السلام
وبالناس المسيرة .

بوذا على الأرض كى يعطى الناس
المسرات والسلام ويرسل النور إلى
إلى المجالات المظلمة ويهب بصراً
للعمى .

٧ - وقد زار الحكماء يسوع
وأدركوا أسرار لاهوته ، ولم يمض
يوم على ولادته حتى دعوه إله الآلهة

٧ - وعرف الحكماء بوذا
وأدركوا أسرار لاهوته ولم يمض
يوم على ولادته حتى جاء الناس
ودعوه إله الآلهة .

٨ - وأهدوا يسوع وهو طفل
هدايا من ذهب وطيب ومر .

٨ - وأهدوا بوذا وهو طفل
هدايا من مجوهرات وغيرها من
الأشياء الثمينة .

٩ - ولما كان يسوع طفلاً
قال لأمه أنا ابن الله .

٩ - ولما كان بوذا طفلاً قال
لأمه مايا أنه أعظم الناس جميعاً .

١٠ - كان يسوع ولدًا مخيفاً
وسعى الملك هيردوس وراء قتله
كى لا ينتزع الملك من يده .

١٠ - كان بوذا ولدًا مخيفاً
وقد سعى الملك جمارا لقتله لما
أخبروه أن هذا الغلام سينتزع الملك
من يده إن بقي حياً .

١١ - وعندما بدأ عيسى دعوته
ظهر له الشيطان The devil محاولاً
تضليله .

١١ - وعندما كان بوذا على
وشك أن يبدأ دعوته ظهر له
الشيطان mara محاولاً تضليله .

١٢ - وقال الشيطان لعيسى
إذا سجدت لى سأجعلك ملكاً على
كل العالم .

١٢ - قال الشيطان لبوذا -
ابتعد عن الدعوة الدينية وتصبح
إمبراطور العالم .

أقوال النصارى والمسيحيين في
يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله

١٣ - ولم يسمع عيسى
لكلمات الشيطان وصاح به: اخساً
أبها الشيطان .

١٤ - وبعد أن انتصر عيسى
على الشيطان هبطت الملائكة لعيسى
وكرمه .

١٥ - وصام عيسى أربعين
يوماً بلياليها .

١٦ - وعمد يحيى عيسى في
نهر الأردن ، وكان ذلك أيضاً
في حضرة روح الله وروح القدس .

١٧ - وتقبل صلاة المسيحيين
ما دامت باسم عيسى وينالون
بسببها الفردوس .

١٨ - وعندما مات عيسى
ودفن أزاحت قوة ما فوق الطبيعة
الحجارة من قبره وعاد عيسى
للحياة .

١٩ - وصعد عيسى كذلك
بعد انتهاء دعوته على الأرض .

٢٠ - وسيعود عيسى كذلك
ليحكم الأرض من جديد وينشر
دعوته ويملأ الأرض بالخير والسلام .

٢١ - وسيوكل لعيسى أيضاً
أن يحاسب الناس في الدار الآخرة .

أقوال الهنود الوثنيين في بوذا الذى
يزعمون أنه ابن الله

١٣ - ولم يهتم بوذا بالشيطان
مارا وصاح: ابتعد عني .

١٤ - وبعد أن انتصر بوذا
على الشيطان مارا أمطرت السماء
زهوراً وعبق الهواء بعبير الطيب .
١٥ - وصام بوذا فترة طويلة .

١٦ - وتعمد بوذا بالماء المقدس
وفى أثناء تعميده كانت روح الله
حاضرة وكذلك روح القدس .
١٧ - وتقبل صلاة البوذيين
وتقودهم إلى الفردوس ما دامت
تقدم باسم بوذا .

١٨ - وعندما مات بوذا ودفن
شق قبره بقوة من قوى ما فوق
الطبيعة وعاد للحياة .

١٩ - وصعد بوذا إلى السماء
بعد أن أتم دعوته على الأرض .

٢٠ - وسيعود بوذا إلى الأرض
في آخر الزمان ليواصل دعوته
ويستعيد مجده ويملأ الأرض سعادة
ونعيماً .

٢١ - وسيوكل حساب الناس
إلى بوذا بعد البعث .

أقوال النصارى والمسيحيين في
يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله

٢٢ - وعيسى لا أول له ولا
نهاية وهو خالد كالأب .

١٣ - وعيسى مخلص البشر
الذى قدم نفسه فداء ليكفر عن
خطيئة آدم أبى البشر .

٢٤ - ومما علمه عيسى
لتلاميذه أن يخفوا أعمالهم الطيبة
ويعلنوا مساوئهم وخطاياهم .

٢٥ - وقال عيسى لأتباعه
أحبوا أعداءكم وباركوا لاعنيكم
وأحسنوا لمن يبغضكم .

٢٦ - واشترط عيسى على
من يريد دخول الدعوة أن يتصدق
بماله ويؤثر الفقير ليدخل ملكوت
السموات .

٢٧ - ودعا عيسى منذ
مطلع رسالته أتباعه ليدخلوا ملكوت
السموات .

٢٨ - روى عن عيسى قوله
أنه من الأفضل للرجل ألا يمس امرأة .

٢٩ - روى عن عيسى أنه قال
إذا خاف الإنسان الزنا جاز له أن
يتزوج ، فالزواج خير من الاحتراق
في النار .

أقوال الهنود والوثنيين في بوذا الذى
يزعمون أنه ابن الله

٢٢ - وبوذا لا أول له ولا
نهاية وهو خالد .

٢٣ - ويروى عن بوذا أنه
قال : إننى أحمل سيئات البشر
عنهم ليصلوا إلى السلامة .

٢٤ - ويروى عن بوذا قوله
« أخف أعمالك الطيبة وأعلن على
الناس سيئاتك التى ترتكبها » .

٢٥ - وأوصى بوذا أتباعه
بالشفقة والحب حتى مع أعدائهم .

٢٦ - ونصح بوذا حواربيه
وأتباعه أن يطرخوا الدنيا جانباً
ويتنازلوا عن غناهم ويؤثروا الفقر
ليقبلوا فى دعوته .

٢٧ - وكان هدف بوذا الأسمى
أن يكون ما سمته الفلسفة البوذية
ملكوت السماء .

٢٨ - نادى بوذا بعدم الزواج
وشبه الزواج بالاحتراق فى الفحم .

٢٩ - ولم يجز بوذا الزواج
إلا عند خوف الزنا .

أقوال النصارى والمسيحيين فى
يسوع الذى يزعمون أنه ابن الله

أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا الذى
يزعمون أنه ابن الله .

٣٠ - إن الابن يسوع الكلمة
التي تجسدت فى المسيح نتيجة التقاء
روح القدس بمرىم العذراء، وإنه
صلب تكفيراً عن خطيئة آدم
الأزلية التي انتقلت إلى ذريته
حتى خلاصهم المسيح بقتله وصلبه
عن هذه الخطيئة (١) .

٣٠ - إن بوذا هو الابن
الوحيد وإنه تجسد فى الناسوت وقدم
نفسه ذبيحة ليكفر عن ذنوب البشر
ومن ثم يسمونه المسيح والمخلص والابن .

مقارنة بين عقائد المسيحيين حالياً

وعقائد الوثنيين من البراهمة الهنود

أقوال النصارى المسيحيين فى عيسى
أو يسوع

أقوال الهنود الوثنيين فى كريشنه

١ - يسوع المسيح هو المخلص
والفادى والمعزى والراعى الصالح
والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى
من التالوث المقدس وهو الآب
والابن والروح القدس .

١ - كريشنه هو المخلص
والفادى والمعزى والراعى الصالح
والوسيط وابن الله والأقنوم الثانى
من التالوث المقدس وهو الآب
والابن والروح القدس .

(١) كتاب (مقارنة الأديان - المسيحية) للدكتور أحمد شلبى .

أقوال النصارى والمسيحيين فى عيسى
أو يسوع

- ٢ - ولد يسوع من العذراء
مريم التى اختارها الله والدة لابنه
بسبب طهارتها وعفتها .
- ٣ - فدخل إليها الملاك وقال :
سلام لك أيها المنعم عليها - الرب
معك .
- ٤ - لما ولد يسوع ظهر نجمة
من المشرق وبواسطة ظهور نجمة
عرف الناس محل ولادته .
- ٥ - لما ولد يسوع المسيح رتل
الملائكة فرحاً وسروراً وظهر من
السحاب أنغام مطربة .
- ٦ - كان يسوع المسيح من
سلالة ماكية ويدعونه ملك اليهود ،
ولكنه ولد فى حالة الذل والفقر بغار
فى فلسطين .
- ٧ - لما ولد يسوع المسيح
أضىء الغار بنور عظيم أعيا بلمعانه
عيني القابلة وعيني خطيب أمه
يوسف النجار .

أقوال الهنود الوثنيين فى كريشنة

- ٢ - ولد كريشنة من العذراء
ديفاكى التى اختارها الله والدة لابنه
بسبب طهارتها وعفتها .
- ٣ - مجدت الملائكة ديفاكى
والدة كريشنة ابن الله وقالوا :
يحق للكون أن يفاخر بابن هذه
الطاهرة .
- ٤ - عرف الناس ولادة
كريشنة من نجمة الذى ظهر فى السماء .
- ٥ - لما ولد كريشنة سبحت
الأرض وأنارها القمر بنوره وترنمت
الأرواح وهامت ملائكة السماء
فرحاً وطرباً ورتل السحاب بأنغام
مطربة .
- ٦ - كان كريشنة من سلالة
ملوكانية ولكنه ولد فى غار بحال
الذل والفقر .
- ٧ - لما ولد كريشنة أضىء
الغار بنور عظيم وصار وجه ديفاكى
أمه يرسل أشعة نور ومجد .

أقوال النصارى والمسيحيين فى عيسى
أو يسوع

٨ - قال يسوع المسيح لأمه
وهو طفل: يا مريم أنا يسوع ابن الله
وجئت كما أخبرك جبرائيل الذى
أرسله أبى وقد أتيت لأخلص العالم .
٩ - وعرف الرعاة يسوع
وسجدوا له .
١٠ - وآمن الناس بيسوع
المسيح .

١١ - ولما ولد يسوع فى
بيت لحم اليهودية فى عهد هيرودوس
الملك إذا المجوس من المشرق قد
جاءوا إلى أورشليم قائلين: أين هو
المولود ملك اليهود .

١٢ - إن الأب هو الأصل
والابن هو الكلمة التى تجسدت فى
المسيح ، وأن إعدام المسيح صلباً
كان تكفيراً منه عن خطيئة
آدم الأزلية ، بعد أن أكل من
شجرة المعرفة فانتقلت الخطيئة إلى
ذريته جيلاً بعد جيل . وإلى جميع
نسله حتى افتداهم المسيح وخلصهم من
هذه الخطيئة ، بقتله وصلبه . وهناك
أقنوم ثالث ضمن ثالوث الإله هو
روح القدس .

أقوال اليهود الوثنيين فى كريشنة

٨ - ومن بعد ما وضعته
صارت تبكى وتندب سوء عاقبة
رسالته فكلمها وعزاها .

٩ - وعرفت البقرة أن كريشنا
إله وسجدت له .

١٠ - وآمن الناس بكريشنة
واعترفوا بلاهوته وقدموا له هدايا
من صندل وطيب .

١١ - وسمع نبي الهنود (نازد)
بمولد الطفل الإلهى كريشنة فذهب
وزاره فى (كركول) وفحص
النجوم فتبين له من فحصها أنه
مولود إلهى يعبد .

١٢ - أن كريشنا انبثق من
الإله براهما الذى كان قبل الوجود
حيث خلق العالم وسمى نفسه الخالق ،
وكريشنا هو الذى خلص بنى
الإنسان بتقديم نفسه للصليب فداء
عنهم ومن ثم يصورونه مصلوباً
مثقوب اليدين والرجلين وعلى
قميصه صورة قلب إنسان معلق ،
وهناك إله آخر انبثق من الإله براهما
ويدعى سيفاً موكل بالخراب والقضاء .

مقارنة بين محاكمة المسيح وبعل إله البابليين :

إن ديانة البابليين كانت معينة للمسيحية في موضوع قصة محاكمة المسيح وصلبه ، وقد وضع البابليون قصة محاكمة إلههم بعل في تمثيلية مؤثرة كانت تمثل كل عام قبل ميلاد المسيح بقرون عديدة ، والغريب أن هذه التمثيلية كانت حافلة بالغموض والحزن ، وقد اكتشف في مطلع هذا القرن بأرض بابل لوحتان يرجع تاريخهما إلى القرن التاسع قبل الميلاد ، وسجلت عليهما قصة محاكمة بعل ونهايته ، وقد أخذ اليهود إلى سجن بابل بعد هزيمتهم منذ عهد بختنصر ، وهناك رأوا هذه التمثيلية تعرض مطلع كل ربيع ، وعندما عاد اليهود بعد الإفراج عنهم في بابل إلى فلسطين كانت هذه القصة عالقة بأذهانهم ، ومؤثرة في حياتهم فانعكست على آدابهم وعلى حياتهم العامة ، حتى إنه عقب نهاية المسيح ، ظهرت تمثيلية بعل بنفس عناصرها مع فارق بسيط هو وضع اسم المسيح مكان اسم بعل ، حتى يمكن القول إن قصة صلب المسيح كما توردها الأناجيل ، هي قصة بعل وضعت بعد انتحال اسم المسيح عليها .

ولندلل على ذلك بما يأتي :

محاكمة المسيح	محاكمة بعل
أخذ عيسى أسيراً .	١ - أخذ بعل أسيراً .
حوكم عيسى علناً .	٢ - حوكم بعل علناً .
اعتدى على عيسى بعد المحاكمة .	٣ - جرح بعل بعد المحاكمة .
اقتيد عيسى لصلبه على الجبل .	٤ - اقتيد بعل لتنفيذ الحكم على الجبل .

محاكمة بعل

٥ - كان مع بعل مذنب حكم عليه بالإعدام ، وجرت العادة أن يعفى كل عام عن شخص حكم عليه بالموت - وقد طلب الشعب لإعدام بعل والعفو عن المذنب الآخر .

٦ - بعد تنفيذ الحكم على بعل عم الظلام وانطلق الرعد واضطرب الناس .

٧ - حرس بعل في قبره حتى لا يسرق أتباعه جثمانه .

٨ - الإلهات جلسن حول مقبرة بعل يبكينه .

٩ - قام بعل من الموت وعاد إلى الحياة مع الربيع وصعد إلى السماء .

محاكمة المسيح

وكان مع عيسى قاتل اسمه باراباس محكوم عليه بالإعدام ورشح بيلاطس عيسى ليعفى عنه كالعادة كل عام ، ولكن اليهود طلبوا العفو عن باراباس وإعدام عيسى .

عقب تنفيذ الحكم على عيسى زلزلت الأرض وغامت السماء ؟

حرس الجنود مقبرة عيسى حتى لا يسرق تلاميذه جثمانه .

مريم المجدلية - ومريم أخرى جلستا عند مقبرة عيسى تنتحبان عليه .

قام عيسى من قبره في يوم أحد (١) وفي مطلع الربيع أيضاً وصعد إلى السماء .

الفصل الثالث

الديانات التي انسلخت من التوحيد وصارت إلى تعدد الآلهة

الثنائية - أو التثليث - أو التاسوع أو إلى أكثر من ذلك

هل كانت النصرانية هي الديانة الوحيدة التي صارت إلى التثليث :

كانت عقيدة النصرانية في أساسها قائمة على توحيد الله بالعبادة وأن عيسى عليه السلام بشر رسول .

١ - فمن يرجع إلى النصوص التي جاء بها المسيح لا ما ألحق بكلامه وسيرته من التأويل يجدها كلها تدعو إلى التوحيد الخالص ، وأن ما ورد من كلمة البنوة لله في بعض المواقف ما كانت إلا من قبيل المجاز ويراد منها المحبة والطاعة ، ولهذا كانت تستعمل مع جميع المؤمنين الصالحين ولا يختص بها عيسى عليه السلام ، وذلك حسبما جاء في أمر المسيح القائل لهم (يجب أن تصلوا هكذا : أبانا الذي في السموات ليتقدس اسمك، ولتكن مشيئتك ، كما في السماء كذلك على الأرض ، اغفر لنا ذنوبنا) وفي هذا المقام يستطيع كل نصراني أن يقف ويناجي أباه أي ربه الذي دعاه المسيح أبانا بصيغة الجمع ، أي أنه أب للجميع وليس ذلك قاصراً على المسيح فقط ، أي أنه ليس أباً للمسيح فقط ، ولذا جاء في بعض نصوص الإنجيل من أطاع الله كان ابناً لله ومن أطاع الشيطان كان ابناً للشيطان .

٢ - ومن مناقشة أحد الفريسيين للمسيح يتضح بجلاء أن المسيح لم يكن لها ولم يدع يوماً أنه إله ، يقول له الفريسي : أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية .

فيستنكر المسيح ذلك منه ويقول له : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد

صالحاً إلا واحداً وهو الله (١) .

٣ - وفي رسالة يوحنا الأولى نجد أن يوحنا الرسول يقر بأن الله سبحانه وتعالى لم يره أحد قط وهذا نص كلامه (الله لم يره أحد قط) (٢) .

إلا أنه بعد انقراض أجيال المسيحية الأولى انتشر معتنقو النصرانية بين الأمم الأجنبية خصوصاً في بلاد الرومان ، حيث كانت تدين بالوثنية ، وبين الأمة المصرية حيث الفلسفات الوثنية فاختل نظام الدعوة التي جاء بها السيد المسيح ، واستحدثت الأفكار الغربية عنها ، وحرفت دعوة المسيح وشوهت المسيحية فكثرت فيها الآراء الفلسفية ، وأمسك الكهنة بزمام الأمور ، فشاعت بين النصارى عقيدة الثالوث المجتمع من الآب والابن والروح القدس ، وأن الله ، وإن كان واحداً إلا أنه من أقانيم ثلاثة هي الآب والابن والروح القدس ، وإن المسيح هو الابن من هذه الأقانيم ، ثم أشاع الكهنة ، تأليه القديسين والشهداء ، ثم انحدروا بها إلى الخضيض حتى أصبح القسيس وكيل الله على الأرض ، فما حلّه في الأرض يحلّه الله في السماء ، وما يربطه على الأرض يربطه الله في السماء. حتى تحولت المسيحية التي جاء بها المسيح لتخليص العالم من ترهات اليهود ، عن طريقها الذي رسمه الله ، إلى طريق رسمه الكهنة والقساوسة .

ولم تكن النصرانية وحدها بين الأديان السابقة هي التي طرأ عليها ذلك التحول ، بل إن ذلك التطور الخطير أصاب الأديان السابقة جميعها فأنحدرت من الوضوح التام والنقاء الفطري في الوجدانية للإله الواحد الأحد ، إلى ظلام الشرك والتعدد طبقاً للآتي :

أولاً - الديانة الهندوكية :

هي ديانة الغالبية من شعب القارة الهندية ، ولقد جاء في أحد فصول الفيदा، وهو مكتوب باللغة السينسكريتية القديمة ذكر الإله الواحد واسمه

(١) العهد الجديد - إنجيل متى إصحاح ١٩ من عدد ١٦ إلى عدد ١٧ .

(٢) رسالة يوحنا الأولى إصحاح ٤ عدد ١٢ .

(برهما سباتى) ومعناه رب الصلاة مجيب الدعاء، فالله عند قدماء البراهمة واحد
الاشريك له سرى منه الروح فى جميع الكائنات من جماد ونبات وحيوان .
وورد ما يؤيد ذلك فى أسفار الفيذا على غاية من البساطة دون تعقيدها ترجمته :
أنا الله نور الشمس ، ضوء القمر ، بريق الذهب ، وميض البرق ،
صوت الريح ، أنا الأصل القديم لجميع الكائنات ، منى الحياة لكل الوجود ،
معطى الصلاح ، أول آخر (١) .

عقيدة البراهمة :

إن عقيدة البرهمية فى بنودها أو مجموعها تدل على وحدانية الله المطلقة
طبقاً للآتى :

١ - اسم الله الظاهرى (برهما سباتى) والاسم الخفى زيوس وهو واحد
لا شريك له .

٢ - الإله هو الأصل الأزلى وهو الموجود بحق الذى يستمد منه كل
شئ وجوده ، لا تدركه الحواس وقد يدرك العقل بعض صفاته وسرت
منه روح فى الجماد والنبات والحيوان .

٣ - إن الإنسان حركة متغيرة مستمرة ، وروحه قبس من نور الله
انفصل عنه إلى أجل ينتهى ثم يعود إليه بعد انتهاء الأجل ، وذلك كالبخار
الذى يصعد إلى السماء ، ثم يعود إلى الأرض أمطاراً تجرى فى الأرض أنهاراً .

٤ - غاية كل إنسان فى الحياة الاتصال بالله والرجوع إليه .

٥ - ثم سرت صفة القداسة إلى بعض الأنهار والحيوانات كالبقرة .

٦ - من أهم معتقداتهم إنكار النبوة (٢) .

(١) كتاب (الأديان فى كفة الميزان) للأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

(٢) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام تأليف الدكتور على عبد الواحد وانى

استاذ ورئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة .

(م ٨ - النصرانية والإسلام)

فلاسفة وكهنة الديانة البرهمية الذين يقولون بالتوحيد :

١ - الفيلسوف الهندي مانوا .

قال عن الإله إنه كائن بنفسه لا تصيبه الحواس المادية ، بل يعلم بالروح فقط .

٢ - الكاهن والفيلسوف كلوكا وهو أشهر مفسرى الفييدا .

يقول : إن المشتركين في الأسرار مع تقديمهم القرابين لبعض قوى الطبيعة المتعددة لم يكونوا معتقدين إلا برب واحد هو نبع كل عدل وحكمة ، المدير لكل ، والمرتب لنظام الكون ، ولا اسم له إلا المستحق العبادة برهما .

انحدار الديانة البرهمية إلى التثليث بدلا من الوجدانية :

١ - عندما كثر الكهنة جعلوا للديانة أسرار اخفية ، وأسرا را ظاهرة ، فكثرت الرموز والطقوس والشعائر ، فانحدرت الديانة وأنشأ الكهنة ما لم يكن أصلا في الديانة البرهمية ، ألا وهو الثالوث الهندي المعروف وهو : برهما ، فشنو ، سيفا .

٢ - وهكذا ابتدع الكهنة ذلك الثالوث ، وأصبح بدل الإله الواحد آلهة ثلاثة هم عناصر للثالوث ، ويقولون أن عنصرين منه نشأ من الإله الواحد براهما ، وقد فسروا ذلك الثالوث بالآتي :

(أ) براهما ، هو الإله الخالق .

(ب) فيشنو أو كريشنا هو القوة الحافظة أو الإله الحامي للخلقة .

(ج) سيفا هو القوة التي تفتي وتعيد وتحول ، أي أنه الموكل بالخراب .

٣ - كما ابتدع الكهنة تحريم ذبح بعض الحيوانات وفرضوا على الشعب الهندي تقديس بعضها أو تحريم أكل اللحوم كلية ، وقصر الكهنة على أنفسهم وعلى تلاميذهم معرفة الحقائق العاوية وهي توحيد الله ، وستروها عن الشعب ، وتركوا الشعب يغوص في متاهات الشرك وتعدد الآلهة .

ثانياً - الديانة البوذية :

أسس هذه الديانة ساكيامونى أو سيزار سا جوتاما، وهي ليست إلا مذهباً فلسفياً مشتقاً من الديانة البرهمية مع إدخال تعديلات لبعض القواعد فيها ، ويزعم البوذيون أنه بينما كان جوتاما جالساً فى ليلة من الليالى تحت ظل شجرة تين تجلى له النور وانكشف عنه الغطاء ، وعرف كثيراً من الأسرار ، وعندئذ أطلق على نفسه لقب بوذا ، أى العالم المستنير ، ثم بدأ يبشر بمذهبه بين الشعب فتبعه كثيرون آمنوا بدعوته وفى الثمانين من عمره مات وأحرق جسده .

عقيدة البوذية :

الديانة البوذية لا تشير إلى إله خالق سوى النرفانا ومعناها الإطلاق الطبيعى أو المتسامى ، ولم يدع بوذا يوماً أنه إله أو ابن إله ولكن مبالغة أتباعه هى التى جعلت من بوذا إلهاً ومن مذهبهم الفلسفى والإصلاحى ديناً ، وهذه المبالغة قادتهم إلى الشرك وتقديس بعض الحيوانات ، وتحريم ذبحها تحريماً أساسياً ، والسجود لها فى كل لحظة ، كما ابتدعوا ألعاب السحر والشعوذة التى جعلها الأتباع من أهم أسرار الديانة البوذية ، ثم ابتدع الكهنة الثالوث البوذى طبقاً للآتى :

١ - الإله الخالق أو النرفانا .

٢ - بوذا الابن من العذراء مايا الموكل بحساب الناس بعد البعث .

٣ - الروح القدس وهو الذى حل على العذراء مايا فولدت بوذا .

وهكذا انحدرت الديانة البوذية من التوحيد إلى التثليث الذى ابتدعه أتباع

بوذا .

ثالثاً : الديانة الصينية :

١ - كانت ديانة أهل الصين قديماً تقرر أن إله السماء أو عظيم السماء كائن عظيم يجب الخير ويكره الشر ، ويجازى الناس على ما قدموا من عمل ، وهو الإله غير المنظور الرب العظيم ومالك الأكوان ذو الفضل غير المنتهى ، ليس له مكان أو زمان ، موجود في كل الوجود ، أينما توجه الإنسان فهو معه ، حاضر لا يغيب ، الإله الذى لا يحابى ، بل يجود بلطفه ورعايته على الإنسان الفاضل ، ويجب استعمال الرأفة والرحمة ، وأنه يعنى بالأرض ، وحضوره فيها دائم وإن كان غير منظور ، وقد سموه (تى سز) أو (تى ين) ثم تطورت التسمية إلى شانج تى . وبمرور الأيام وتداول الأعوام ، تغيرت الأفكار فأضافوا إلى هذا الإله الواحد كثيراً من مظاهر الطبيعة ، كالشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض وما عليها من جبال وتلال ، وما يجري فيها من بحار وأنهار ، ثم تطورت معتقداتهم إلى وجود كائنات روحية تسكن البيوت وأن تلك الأرواح لها قدرة على النفع والضرر فقدموا لها القرابين - كما كانوا يعبدون أرواح أسلافهم ويقيمون الشعائر الدينية لها ، فخيم الجهل وتكاسل الناس وكسدت التجارة ، ووقفت عجلة الحياة وتوقفت الأعمال العامة والخاصة وبذلك تحول الإله العظيم الواحد إلى آلهة متعددة .

٢ - ظهور كنفوشيوس : ولد سنة ٥٥١ قبل الميلاد في مقاطعة (لو) من أعمال ولاية شاننتج ، ولما شب عمل في التدريس ، ومن وحى عمله نشأ عنده التفكير والتأمل وخرج على الناس بمذهبه الذى ضمنه تعاليمه وآراءه فاتبعه كثيرون من أهل الصين ، وهو يعتبر أكبر حكماء الصين ومؤسس الديانة الصينية وأجمع الصيدين على عبادته وتقديس تعاليمه وحكمه .

مذهب كنفوشيوس :

دعا كنفوشيوس إلى أن يعرف كل إنسان ما عليه من واجبات وما له من حقوق فى المجتمع وفرق بين العبادة والعمل ، وجعل لإصلاح المجتمع أسساً منها :

- (أ) إصلاح الفرد هو إصلاح الأسرة .
- (ب) صلاح الأسرة هو صلاح للمجتمع .
- (ج) دعا أهل الصين إلى العلم .
- (د) نشر روح الفضيلة والتأخي .
- (هـ) نشر الحب والطهر والنقاء ، والصبر والعزة والكرامة والتزود من المعرفة .

كتب كنفوشيوس :

أصبحت الكتب التي تركها كنفوشيوس بعد موته والتي حررت بخط تلاميذه كتباً مقدسة في الصين ، لها من القداسة ما للكتب السماوية حتى اعتبرت فيما بعد دستوراً للصين ، وهذه الكتب ثلاثة هي الآتي بيانها :

١ - مختارات كنفوشيوس .

٢ - تعاليم البالغين .

٣ - الاعتدال .

عبادة الصينيين وصيرورتها إلى التثليث :

لما كان أهل الصين يقدمون في شعائرهم القرابين للإله الأعظم وأرواح أسلافهم وقوى الطبيعة المختلفة ، لذلك أقاموا المعابد التي كانت تبني على شكل هيكل عظيم بداخله هياكل ثلاثة ترمز إلى مذابح ثلاثة لكل معبود هيكل طبقاً للآتي :

١ - مذبح الإله الأعظم :

وهو نحاس بعظيم السماء ، وهذا المذبح أقدم المذابح وأعظمها وأكبرها ، لا تجد حوله أصناماً أو تماثيل ، لأنه مذبح الإله الأعظم ، الإله غير المنظور :

٢ - مذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرض وما فيها :

ومذبح الكواكب والأفلاك السماوية والأرض وما فيها ، تقدم فيه القرابين للشمس والقمر والكواكب والنجوم والأرض والتلال والجبال والأنهار وما إلى ذلك من قوى الطبيعة .

٣ - مذبح الأرواح :

حيث كانوا يعتقدون أن أرواح آبائهم وأجدادهم وملوكهم تهديهم في تلك الحياة وتقف معهم وقت الشدة والرخاء ، فكانوا يقدمون القرابين لها في ذلك المذبح ، زيادة في إرضائها وليستهدوها في أمورهم الحاضرة والمقبلة ، ويطلبوا منها السعادة في حياتهم .

ويعزون إلى الفيلسوف الصيني المدعو (فوفى) أنه هو الذى ابتدع التالوث الصينى بعد أن كانت العبادة قاصرة على الإله الواحد العظيم إله السماء ، أو عظيم السماء الإله غير المنظور ، ورسموا ذلك التالوث الصينى بالعناصر الآتية :

- ١ - تى ين : أو الإله المجهول غير المنظور .
- ٢ - تى سز : الشمس والكواكب السيارة .
- ٣ - تشانج : أرواح الآباء والحكماء والملوك .

وكان المذبحان الثانى والثالث المخصصان لعبادة الأقنومين الأخيرين من التالوث تقام حولهما الأصنام والتماثيل التى ترمز إلى قوى الطبيعة ، والأصنام والتماثيل التى ترمز إلى صور الآباء والحكماء والملوك ، ومن ذلك الوقت أصبح الصينيون يعبدون الأصنام .

ومن الصين انتقلت هذه المبادئ إلى اليابان حتى أصبحت العائلة المالكة فى اليابان من الآلهة وأعظم الآلهة الإمبراطور .

رابعاً - الديانة الكلدانية :

الكلدانيون هم معلمو الوثنية الحقيقية في الشرق، وقد برعوا في علم الفلك والسحر والشعوذة ، ومن أور الكلدانيين ظهر إبراهيم عليه السلام ، ولم يرض عن عبادة الأصنام فقام بتحطيمها ثم هاجر من هناك إلى فلسطين طبقاً لما روته عنه الكتب المقدسة .

آلهة الكلدانيين :

جعل الكلدانيون لكل واحد من الكواكب السيارة صنماً ، وأكبر الأصنام الذى كان يرمز إلى الشمس هو المعتبر في عرفهم أعظم الآلهة وأكبر أوثانهم ومن أهم آلهتهم الثالوث الآتى :

١ - بعل أو آمون إله الشمس .

- عشتروت أو إيزيس إله الجمال .

٣ - هوروس أو تموز إله الخصب والنماء ، ويقام له عيد في شهر يوليو من كل عام .

خامساً - الديانة الفارسية (المجوسية) ديانة زرادشت :

(أولاً) كانت هذه الديانة في أصلها ديانة توحيد تدعو إلى عبادة إله واحد (١) هو (أهورامزدا) وتحارب الشرك وعبادة الأصنام والكواكب . ومعنى (أهورامزدا) أى أنا وحدى خالق الوجود أو الكون . وكانت ترمز إلى الإله الواحد برمزين ، أحدهما سماوى وهو الشمس والآخر أرضى وهو النار ، فكلاهما عنصر مضىء طاهر مطهر ، لذلك حرصت على أن يوقد في كل هيكل شعلة من النار تظل مضيئة يتعهد بها الكهان خمس مرات يومياً (١)

(١) كتاب الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام تأليف الدكتور على عبد الواحد وافي رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة القاهرة .

بوقود من خشب الصندل والأعشاب العطرية وترتل حولها الأدعية والصلوات ، وخصوا الشمس باهتمامهم بوصفها المخلوق العظيم الذى تجلى عليها حتى رأوه فى السماء ، وأثبتوا له كثيراً من أوصاف الألوهية فقالوا عنه :

١ - أنه عالم بكل شىء .

٢ - أنه أعظم الموجودات .

٣ - أنه نورانى يشرق على العالم بنوره .

٤ - يملك كثيراً من الأعوان والشركاء ، وهم الصديق وهو الضوء وستة من الملائكة المقربين الذين يحملون العرش وآلآفا من الموجودات التى تتمثل فى مظاهر الطبيعة (١) .

(ثانياً) ثم تطورت عبادة الفرس إلى عبادة إلهين فقط ، أحدهما يسمى أهورا مزدا أو مزدا ، وهو إله الخير العالم بكل شىء . وثانيهما ما يسمى إله النور أهريمان وهو إله الشر .

(ثالثاً) ثم انتهى الأمر بهذه النحلة إلى تقديس النار ، يعبدونها معتقو تلك الديانة لذاتها بعد أن كانت مجرد رمز لله وانحصرت عباداتهم فى الآتى :

٢ - تقديس النار وجعلها موقدة فى الهياكل بحيث لا تخبو أبداً .

٢ - لا يسمح أن يقع ضوء الشمس على النار .

٣ - لا يسمح للماء أن يلقى على النار .

٤ - لا يسمح للبيد أن تمس جثة ميت .

٥ - لا كلام ولا بكاء أثناء الطعام .

٦ - الذهاب إلى الهيكل فى أيام أعيادهم الرئيسية وخاصة فى عيد النيروز ، وهو يوم التوبة .

(١) الأديان فى كفة الميزان تأليف الأستاذ محمد فواد الهاشمى .

- ٧ - لا يوجد بهذه النحلة رهبانية ولا تقرر الصيام إلا في ظروف خاصة .
- ٨ - إن جثة الميت بوفاته تصبح نجسة لا يجوز لمسها ، ولا يجوز أن تدفن في الأرض ولا تحرق بالنار ولا تلقى في الأنهار ، بل تحمل إلى قم الجبال في أبراج منعزلة لا سقف لها لتكون طعاماً لجوارح الطير .
- ٩ - الإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور والجنة والنار ، ويقولون إن الساعة ستقوم على أثر حادث فلكى باصطدام كوكب بالأرض ، فتميد بالناس وتخر الجبال هدا ، وتذوب العناصر ، وينصر النحاس ويسيل إلى جهنم .

١٠ - يشرف على العبادات طبقتان هما :

- (أ) طبقة الموبدة ، ويسمى كل واحد منهم موبدان ، يتولون الوظائف الدينية العليا .
- (ب) طبقة الهوابدة ، وكانوا يتولون إقامة الشعائر في هياكل النار .
- كان يدين بهذه النحلة أهل إيران ، ولما ظهر الإسلام دخلوا فيه فأنحصرت الزرادشتية في نفر قليل هاجر بعضهم إلى بلاد الهند ، وما زال لهم بقية حتى الآن في مدينة بومباي تعرف (بالفرسين) .

سادساً - الديانة اليونانية :

- يتضح للمتأمل لأشعار هوميرو وهزيبود المترجمة إلى اللغات الأخرى ، أن اليونانيين عبدوا كثيراً من الآلهة وكان اعتقادهم فيهم كالآتي :
- (أ) هؤلاء الآلهة يأكلون ويشربون .
- (ب) ويلعبون ويلهون .
- (ج) ويخوضون المعارك فيغلبون ويغلبون .
- (د) ويتألمون ويفرحون ويحزنون .

- (ه) ويتباغضون ويتحاسدون فيحقدون .
(و) والويل لمن تعرض لهم أو أغضبهم فإن غضبهم شديد .

كيف وصلت ديانة اليونان إلى الوثنية :

١ - يبدو أن اليونان كانت تدين بالتوحيد أساساً ، وكانت تهتم بالأخلاق والفضائل ثم انسلخت إلى الوثنية وتعدد الآلهة ، لأنه عندما ظهر الفيلسوف سقراط وتكلم عن أسرار الوحدانية وخلود الروح اعتبروه كافراً بالآلهة ، وحكموا عليه أن يشرب كأساً من السم ، فمات شهيداً الجهر بالحقيقة .

٢ - ثم ظهرت مدارس فلسفية أخرى بعد ذلك أمثال طاليس ، وفيثاغورس ، وأفلاطون ، وذهبوا شأواً بعيداً في استطلاع الحقيقة ، ولكنهم اختلفوا في المشارب فمنهم من تأثر بعلوم الكهنة ومنهم من كاد يجهر بحقيقة التوحيد التي كانت تلح في الخروج إلى عالم الظهور ، لولا خوف الحكماء من أن يكون مصيرهم مصير سقراط .

سابعاً - الديانة الرومانية :

تأثر الرومان بالديانة اليونانية التي كانت تهتم بالأخلاق والفضائل ، حتى وصلت إلى حد تأليهها ، وغالى الرومان في هذا الشأن غلواً كبيراً حتى وصل الأمر إلى أنه لم يكن للرومان إله معين بذاته ، بل كان جل همهم في تربية أبنائهم وأن يلقنوا أبناءهم الأخلاق والفضائل منذ نعومة أظفارهم .

ثامناً - الديانة المصرية القديمة :

١ - تكشف للعلماء في القرن التاسع عشر الميلادي حقيقة المصريين القدماء ودينهم وشرائعهم ومدنيتهم وتقاليدهم وعاداتهم ، بعد الرجوع إلى الوثائق التاريخية التي وجدت مكتوبة على أوراق البردى ، ومن النقوش والكتابات التي وجدت على واجهات المعابد والهياكل والقبور والمسلات والأعمدة ، وأغذية التوابيت وما وجد في تلك التوابيت .

٢ - وجاء في مذكرات العالم الأثرى مانينتون أن هناك أنبياء ورسلا قاموا بنشر الدعوة إلى الله بين المصريين ، ودعوا إلى توحيدهم وعدم الإشراف به ، وأخص هؤلاء الأنبياء نبي المصريين إدريس عليه السلام ، وأنه هو الذى انتقل إلى الهند بعد ذلك ، حيث استأنف التبشير ، والدعوة إلى وحدانية الله لأنه كان على علم بكثير من لغات أهل الأرض ، حتى قيل إنه كان يملك من الأسرار والمذاهب ما كان يؤهله لأن يكون الداعى المجاب ، حيث كان يحدث كل قوم بلغاتهم ولهجاتهم .

٣ - ذكر المؤرخون فى كتبهم أن إدريس عليه السلام ، ولد بمدينة (إدفو) حيث هبط أهله الذين كانوا يسكنون ببابل ، ثم رحلوا إلى مصر وأنه كان يسمى (جوروس) ويقولون إن إدريس هذا هو خانوخ باللغة العبرية ، وأطلق عليه باللغة العربية أخنوخ . وسمى فى اللغة الهيروغليفيه (حوروس) أو (هوروش) وفى اللغة اليونانية عرف باسم هرماكيس ثم عرف باسم (هرمس) وسماه البطالسة فيما بعد (اغتناذى موت) المصرى وسمى فى الكتب المنزلة (إدريس) .

ونسب إدريس هو إدريس بن يزد بن مهلائيل بن قينان بن آتوش ابن شيث بن آدم عليه السلام . وكانت مدة حياته اثنتين وثمانين سنة ، قضاهما وهو يدعو الناس إلى عبادة الله وتوحيده وتزويجه عن كل اشراك . ويقولون أنه أول من عرف العلوم الكونية والجيولوجيا والرياضيات .

٤ - ومن الآثار التى اكتشفت أخيرا وأخصها خاتمه الذى كان يتمنطق به ، ومن أقواله التى وجدت محررة على أوراق البردى التى سرقت من مصر ، ووزعت على المتاحف ودور الآثار فى أوروبا عرفت تعاليم النبي إدريس عليه السلام التى كان يدعو إليها .

(أ) فمنها الزهد والمحبة والعدل والإحسان .

(ب) وقد وجد مكتوبا على خاتمه - الصبر والإيمان بالله بورثان الظفر (١) .

(١) كتاب الأديان فى كفة الميزان بقلم الدكتور محمد فؤاد الهاشمى .

(ج) كما وجد على حزامه حكمم بالغة ودروس قيمة منها ، حفظ فروض الشريعة من تمام الدين ، وتمام الدين من كمال المروءة، وخاصة من خواص الإنسان النقي .

(د) وقد عثر ضمن آثاره على فراش كان يصلى عليه مصنوع من الحصير ، وكان مكتوبا على ذلك الفراش : السعيد من نظر نفسه في مرآة صلاته وعبادته .

(هـ) ومن أقواله الماثورة حياة النفس في الحكمة ، وموتها في الجهل .

٥ - والعقيدة عند المصريين وقتئذ قبل الكهنة طبقا لما قدمنا كانت عقيدة التوحيد تلك التي دعا إليها نبي الله إدريس عليه السلام وكانوا في عقيدتهم على النجوى الآتي :

أولا : عرفوا أن الله واحد لا شريك له في الذات والصفات .

ثانيا : وكانت عبادتهم خالصة تتمثل في الرهبة والاحترام والخوف والطاعة لله القديم الأزلي، وهو خالق لا بداية له ولا نهاية ويُسقى ولا يَسقى ، كل شيء زائل وهو باق .

ثالثا : وعرفوه باسم آتون وجعلوا لهذا الاسم معنيين أحدهما ظاهر والآخر خفي ، وأعطوا الاسم الظاهر معنى أنه إذا ظهر بمثاله النوراني وهو الشمس سمي آمون (وهذا من تصرفاتهم بعد إدريس عليه السلام ، فإنه لا يوافق على الشرك) وأما الاسم الخفي فهو الذي قام به كل الوجود ، يهب العطايا ويعطى ويأخذ ، وبذلك سمي رع ، ومن هنا كان اسما (آمون - رع) مقدسين عند المصريين (١) .

رابعا : وقد جاء في مؤلف العلامة الفرنسي الأستاذ ماسبيرو أن إله المصريين الأول كان عالما بصيرا يُدرك ولا يُدرك، موجودا بنفسه ، حيا بنفسه ، حاكما بنفسه ، حاكما في الأرض والسموات فهو أبو الآباء ،

(١) المرجع السابق .

وأم الأمهات ، لا يفنى ولا يغيب ، يملأ الدنيا ، وليس له شبيه ولا حد ويوجد في كل مكان .

خامسا : ووجد في هيكل إيزيس بصا الحجر نقش قديم ، يتضمن كلمات منسوبة للإله جاء فيها : أنا كل شيء كان ، وكل شيء كائن ، وكل شيء سيكون ، ومجال على من يفنى أن يزيل النقاب الذى تنقب به وجه من لا يفنى .

سادسا : وكان قدماء المصريين يترنمون فى أناشيدهم باسم إله واحد وينشدون للخالق المصور الذى له الأسماء الحسنى الذى خلق للإنسان عينين وهداه النجدين ، ووهب له أذنين لسمع بهما أناشيد ذلك الإله الذى استطاع الإنسان أن يبصر قدرته ، معترفا بأنه مولاه ولا مولى له إلا الله ، وقد ورد فى بعض الأناشيد والأدعية الواردة فى كتب قدماء المصريين ، يامولاي وياسيدى إنك خلقتنى وصورتنى وجعلت لى عينا أبصر بها آثار قدرتك وآذانا أسمع بها أناشيد قدسك .

كيف انحرفت الديانة المصرية الوجدانية إلى الشرك بفعل الكهنة :

١ - انحرف الكهنة المصريون بديانة الوجدانية التى كان يعتقدونها شعب مصر القديم وقتئذ فاتخذوا من صفات الله ثالوثا ، وكما اتخذ براهمة الهند ثالوثهم برهما وفيشنو وسيفا اتخذ الكهنة المصريون من صفات الله وهى الوجود والحكمة والحياة : الثالوث المصرى آتون - وآمون - ورع .

٢ - وعلى مر السنين والأيام استحدث المصريون أسماء وآله أخرى حتى صار الثالوث تاسوعا ، بخلاف آلهة أخرى ثانوية منسوبة إلى هذا التاسوع وظلت الديانة المصرية فى الانحدار حتى انحرفت إلى عبادة النار والنجوم والكواكب وما يشابهها من الظواهر الطبيعية فدعاهم ذلك إلى البحث فى علوم الفلك والجيولوجيا والرياضيات (١) .

(١) المرجع السابق .

٣ - والتاسع المصرى هو كالاتى :

أولا : الثالث الأول - آتون - ورع - وآمون .

ثانيا : الثالث الثانى - نيت - وتوت - وشو ، وقد اشتق من الثالث الأول .

ثالثا : الثالث الثالث - إيزيس - وأوزيريس - وسيت ، وهو الثالث الأخير من التاسع . ثم كانت هناك آلهة ثانوية تقتصر على ذكر ثمانية منها هى :

هاتور أو هتريت - تيسر تشر - ويوتاشيت - تنجيت - توت - ومعت - وبتاح ونيفون .

والجدول الآتى يوضح التاسع المصرى للآلهة وصفة كل إله ووظيفته .

الرقم	الإله	الصفة والوظيفة
١ -	آتوم أو آتون	هو الإله الخفى الذى لا يظهر إلا بصفاته وهو نور الأنوار .
٢ -	رع	هو الذى تشخص فيه النور ، فصار عطاء وخلقاً (أى الخلق والرزق)
٣ -	آمون	وهو ظهور القدرة المشرقة فى الشمس ، وهو مظهر رع الذى يوصل عطاءه إلى المخاوقات ، وفى النهاية صار تمثالا لطيبة .
١ -	نيت	هو الأثير العام .
٢ -	توت	هو السماء بأفلاكها وكواكبها والهيولة العامة .
٣ -	شو	هو الجوى أو الموجات الكهربية الموجبة ويشتق منه الإله تفنون وهى الموجات السالبة .
١ -	إيزيس	هو إله الحياة أو الروح .
٢ -	أوزيريس	هو إله النماء والازدهار ، وهذا الإله هو الذى سيحاسب الموتى فى نظرهم .
٣ -	سيت	هو الإله المدمر أو إله الفناء .

والجدول الآتي يوضح بيان الآلهة الثمانية الثانوية وصفة كل إله ووظيفته :

الصفة والوظيفة	الإله	الرقم
هو إله الطبيعة .	هاتورأوهتريت	١ -
هو إله النظام والقوانين	نيسير تشر	٢ -
هو إله الفيض ، الشمس	يوتاشيت	٣ -
هو إله الأطياف الانعكاسية	تنجيت	٤ -
هو إله العلم في معناه العام	توت	٥ -
هو إله الحكمة	معت	٦ -
هو إله القدر	بتاح	٧ -
هو إله الشر	نيفون	٨ -

عبادة المصريين بعد انحرافهم بفعل الكهنة :

١ - أصبحت صلاة المصريين بعد انحرافهم موجهة إلى التساوع المصرى ، وكانت دعواتهم وأناشيدهم تنادى قوى الطبيعة على أنها آلهة ، كما كانت تلك الصلوات والدعوات تصدر منهم تقرباً للتماثيل الرمزية ، التي أقيمت لآتون ورع وأمون في طيبة من أهم ظواهر الشرك والوثنية حيث ظن المصريون المتأخرون الذين أعقبوا حكم الكهنة ، أن تلك التماثيل الرمزية آلهة مختلفة فعبدوها .

٢ - ثم تعددت الآلهة وصارت المدن مليئة بها ، وكانت لكل مدينة آلهتها التي تقدها دون الآلهة الأخرى .

(أ) فقد كان موطن أوزوريس في أبيدوس .

- (ب) وبتاح فى منفيس .
- (ج) وآمون فى طيبة .
- (د) وهوروس فى لإدفو .
- (هـ) وهاتور فى دنبرة .

٣ - وكانت مدينة طيبة دون سائر المدن ، مملوءة بالمعابد والتماثيل حتى قام أخناتون بثورته المشهورة اتموحيد الإله الواحد ، بعد لإبطاله عبادة الآلهة المتعددة ، وقد كاد يكتب لتلك الثورة النصر لولا قيام الكهنة وقتئذ فى وجهه بالمعارضة القوية .

٤ - وبعد فشل ثورة أخناتون ، تطور عدد الآلهة واستفحل عند المصريين القدماء ، حتى بلغ ما يقرب من المائة بين اسم لفلك وصفة لكوكب ، وعظمة لظاهرة طبيعية ، وتقديس لحيوان أو طير .

٥ - وكانت بعض المدن المصرية تقديس ملوكها وتعبدهم على أنهم آلهة ، وكانوا يقيمون لهم الصلوات ويقدمون لهم القرابين ، ويرفعون لإيهم البخور .

٦ - ظل المصريون على حالهم من الشرك والوثنية حتى هاجمهم الفرس واليونان ، فهدموا كثيراً من المعابد ، وخربوا العديد من الهياكل ، وحطموا ما أمكنهم تحطيمه من التماثيل .

٧ - لما فتح الرومان مصر هدموا بقية الهياكل والمعابد - وأبطلوا كثيراً من العبادات المصرية ثم انتهى الأمر بإبطال الديانة المصرية القديمة فى عهد الإمبراطور تيودور الرومانى ، والذي جعل النصرانية ديناً رسمياً للدولة الرومانية ومستعمراتها ، وبذلك فرضت النصرانية الرسمية على مصر بوصفها مستعمرة رومانية (١) .

٨ - واستمر حال المصريين على ذلك القهر الرومانى حتى جاء العرب فى عهد خلافة عمر بن الخطاب ففتحوا مصر بجيش إسلامى كان يقوده

(١) المرجع السابق .

عمرو بن العاص ونشروا دعوة الإسلام التي أساسها الوحدةانية لله فدخل غالبية المصريين في الإسلام وبذلك رجعوا إلى التوحيد أساس ديانتهم الأولى القديمة قبل أن يفسدها الكهنة بالتعدد (١) .

تاسعاً - الديانة اليهودية أو الإسرائيلية :

هذه الديانة هي التي جاء بها نبي الله موسى عليه السلام من عند ربه عندما ظهرت له نار من شجرة تشتعل ، وخاطبه الله وأمره هو وأخاه هارون أن يذهبا إلى فرعون ليسمح بخروج بني إسرائيل من أرض مصر بعد إقامتهم بها منذ أن دعاهم أخوهم يوسف الصديق بن يعقوب عليه السلام للإقامة فيها .

الله في التوراة :

تقول التوراة في أسفارها أن موسى عليه السلام عندما رأى النار ظهر له أحد الملائكة فسأله موسى عن اسم الله ، فأجابه بأن اسم الله هو (يهوه) إله إسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن أسمائه آميا ، وألوهيم ، وكل هذه الأسماء تعطي معنى وصفات (الله ، القادر ، الكافي) .

الكلمات العشر :

وبعد أن خرج موسى عليه السلام بقومه من مصر ذهب لمناجاة ربه ، وآتاه الله الكلمات العشر وهي أول التوراة وتتأخذ في الآتي :

١ - أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي .

٢ - لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في السماء من فوق ، ومما في الأرض من تحت ، ومما في الماء تحت الأرض ، ولا تسجد لمن ، ولا تعبدن ، لأنني أنا الرب إلهك إله غيور ، أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضى ، وأصنع إحسانا إلى الآلاف من محبي وحافظي وصاياي .

(١) كتاب المغرب في حلى المغرب اكل تأليفه ابن سعيد الأندلسي - الجزء الخاص بمصر عن بشره وتحقيقه والتعليق عليه الدكتور زكي محمد حسن طبعة سنة ١٩٥٣ الجامعة المصرية .
(م ٩ - النصرانية والإسلام)

٣ - لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا ، لأن الرب لا يبرىء من نطق باسمه باطلا .

٤ - احفظ يوم السبت (ومعنى السبت الراحة) ، لتقدسها ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عمالك ، وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لا تعمل فيه عملا ما : أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك ومهيمتك ، ونزريك الذى داخل أبوابك .

٥ - أكرم أباك وأماك لكي تطول أيامك على الأرض ، حتى يعطيك الرب إلهك أبناء بررة .

٦ - لا تقتل .

٧ - لا تزن .

٨ - لا تسرق .

٩ - لا تشهد على قريبك شهادة زور .

١٠ - لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ، ولا أخته ، ولا ثوره ولا حماره (١) .

دور الكهنة فى التوراة :

قام الأحيار والكهنة بتدوين شريعة موسى عليه السلام بعد وفاته بمدة ليست بالقصيرة ، فمنها ما ناله التحريف والتبديل والتغيير ، ومنها ما ضاع أثناء التيه ، وقسموا التوراة إلى الآتى :-

أولا : أسفار مقدسة نسيوها إلى الله .

ثانيا : أسفار نسيوها إلى الأحيار والعاماء .

(١) انظر سفر التثنية الإصحاح الخامس عدد ٦ الى عدد ٢٢ .

ما هي أسفار التوراة الخمسة المقدسة :

هذه الأسفار هي كالاتي وقد نسبوها إلى موسى عليه السلام :

١ - سفر التكوين : ويحوى تاريخ الخليقة وقصص الأنبياء من آدم وخروجه من الجنة ، إلى إسحق وإشارة إلى يعقوب ويوسف عليهم السلام جميعا .

٢ - سفر الخروج : ويقص التاريخ ابتداء من موت يوسف إلى خروج بنى إسرائيل من مصر ونزول الوصايا العشر .

٣ - سفر اللاويين : وهو النظام التشريعى ، وبه تفصيل عن تقديم الذبائح والمحرقات والقرايين ورسم الكهنة .

٤ - سفر العدد : ويحوى عدد بنى إسرائيل وأنسبهم ، وشجرة القبائل الإسرائيلية ، كما يروى قصة التيه فى الصحراء ، إلى أن وصلوا إلى أرض موآب ثم أرض الميعاد .

٥ - سفر التثنية : ويحوى كلمات موسى الأخيرة وخبر وفاته ووصيته (١) .

باقى الأسفار المقدسة :

هذه الأسفار عددها (٣٤) أربعة وثلاثون سفرا ، وقد بينت تاريخ

ضلال بنى إسرائيل وخروجهم من شريعة النبي موسى عليه السلام وهى :

١ - يشوع - والقضاة - وراعوث - وصموئيل الأول والثانى - الملوك الأول والثانى - أخبار الأيام الأول والثانى .

٢ - عزرا - ونحميا - وأستير - وأيوب - والمزمير - والأمثال والجامعة - ونشيد الإنشاد .

٣ - وأشعيا وأرميا ومرأى أرميا - وحزقيال - ودانيال وهوشع -

ويوثيل - وعاموس .

(١) كتاب الأديان فى كفة الميزان تأليف الأستاذ لحمد فؤاد الهاشمى .

٤ - عوبيديا - ويونان وميخا - وناحوم - وحبقوق وصفنيا
وحجن - وزكريا - وملاخي .

الأسفار المفقودة من العهد القديم :

يتبين من الاطلاع على أسفار العهد القديم ، أن هناك أسفارا مفقودة
لا أثر لها ألبتة حاليا ، حتى يتمكن القول بأن الموجود حاليا هو جزء صغير
من كتاب كان يدعى في الأيام الخالية تورا ، وهذا طبقا للآتي : -

١ - ففي سفر العدد نراه نقل كلاما من سفر اسمه سفر حروب
الرب (١) .

٢ - وجاء في سفرى القضاة وصموئيل اسم كتاب كان يدعى
سفر ياشر .

٣ - وجاء في سفر تثنية الاشرع اسم كتاب يدعى سفر أخبار
داوود الملك .

٤ - واسم كتاب آخر يدعى سفر أخبار ملوك يهوذا .

٥ - واسم كتاب آخر يدعى سفر أخبار ملوك إسرائيل .

٦ - واسم كتاب آخر يدعى سفر ناثان النبي .

٧ - واسم كتاب آخر يدعى سفر جاد الرائي .

(انقسام اليهود إلى طوائف وفرق)

وقد انقسم اليهود ممثلين في أحبارهم وعلمائهم إلى الآتي :-

الفريسيون الذين يدعون الربانيين .

الصدوقيون وهم المشهورون باسم أشكنازى بالإضافة إلى قسم ثالث هم اليهود القراءون .

أولاً - آراء الفريسيين أو الربانيين :

يتمسك الفريسيون بحفظ الشرائع والتنفيذ الحرفي للأصول وتشددوا في تنفيذها، كما تمسكوا بالتقاليد اليهودية ، أى تقاليد المشايخ ، فأخذوا في تفسير الكتب المقدسة اليهودية مأخذ أسلافهم ، وقد اعتقدوا أن حرية اليهود وكيانهم لا يحفظان إلا بالتمسك بالشريعة وأن عظمتهم لا تسترد إلا بالدين ومن هذه الفرقة تناسل الأسينيون .

والفريسيون أو الربانيون يكونون السواد الأعظم من اليهود وينقسمون أيضاً إلى :

١ - السافروديم أى اليهود العرب .

٢ - الأشكنازيم أى اليهود الأوروبيين .

واليهود الربانيون يقدسون التوراة والتلمود معا باعتبار أن التلمود موحى به أيضاً .

ثانياً - آراء الصديقيين أو الأشكنازى :

يقول الصديقيون أن الله خلق الإنسان كفوًا ليتولى إدارة شئون نفسه بنفسه، وأن من العبث انتظار إرادة الله، في حين أن الإنسان خلق مختاراً، ويجب أن يحل مشاكله بنفسه ، ولا يعرفون شريعة ولا يتمسكون بسنة ، ولا يعترفون بعبادات أو تقاليد ، ويقولون إن آثار موسى ليس فيها ما يؤيد التمسك بالشريعة ، فهم يفسرون النصوص حسب هواهم ، ومن هذه الفرقة تناسل السامريون .

ثالثاً - فرقة اليهود القرائين :

هذه الفرقة تعد فرقة الربانيين ضالين في معتقداتهم ، ولا تقدر فرقة القرائين إلا التوراة ، ولا يقدسون التلمود ولا يؤمنون به إلا على سبيل

أنه مجموعة من آراء المفكرين القدامى يجب الائتناس بها في بعض الأحوال
لا في الأحوال كلها .

كيف ظهر التلمود :

لما تغلبت المادة على الجانب الروحي في شعب اليهودية وضع أحبار
اليهود الربانيون وفقهاؤهم تأليف مقدسة خلاف التوراة ، وسموا تلك التأليف
المثناة أى المثني والمكرر إذ هذه التأليف تكرر لتسجيل الشريعة ، ثم شرحت
المثناة فيما بعد ، وأطلق على تلك الشروح اسم الجمارا أى الشرح والتعليق
ومن مجموع المثناة والجمارا يتألف ما يسمى بالتلمود .

والمثناة تتكون من ستة أسفار تعتبر قاموسا في الزراعة والأعياد والزواج
والدية والذبائح ، والقرايين والطهارة .

وقد جمع التلمود من أصلين ، نتيجة للخلاف بين اليهود ، ذلك الخلاف
الذى ظل حتى عهد سليمان خفيفا .

أحدهما : يسمى الأورشليمى وهو ما كتب في أورشليم وهو أقدم
من الثانى .

والثانى : كتب في نابلس ويسمى النابلسى .

ولما احتدم الخلاف بعد وفاة سليمان ، وحكم رجعم بن سليمان ،
انقسم اليهود إلى مملكتين هما مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل .

أولا : مملكة يهوذا وكانت تتألف من سبطى يهوذا وبنيامين .

ثانيا : مملكة إسرائيل وكانت تتألف من باقى أسباط بنى إسرائيل
العشرة ، وصارت الدولتان تتنافران وتتقاتلان ، حتى تلاشت دولة إسرائيل
وظلت دولة يهوذا بعد ذلك مدة خمسة قرون .

(١) كتاب الإديان في كفة الميزان تأليف الأستاذ محمد فؤاد الهاشمى .

تطور الديانة اليهودية وانحرافها عن التوحيد :

١ - تغلبت المادة على الجانب الروحي عند بني إسرائيل ، وأصبح الدين والشريعة في عرف اليهود عبارة عن تشريعات رسمت للمعاملات التي يمكن بها أن يستحلوا أموال غيرهم من الناس ، وطقوس العبادة عندهم أصبحت صوراً من شريعة المعاملات وصيغ السندات والديون والمطالبات وانتهاك الحرمات واستعباد الشعوب واستحلال المحرمات ، وفي جملتها يمكن أن يقال أن عبادة اليهود إما للاعتداء ، أو زيادة الرزق عن طريق السلب والنهب ، حتى أصبحت قلوبهم وعقولهم فارغة إلا من المادة وما يتفرع منها .

٢ - ثم مرت باليهود أطوار تعرضوا فيها لنقمة الله جزاء ابتعادهم عن شريعته حتى انقرضوا ، لكن دخل في اليهودية قوم آخرون ليسوا أصلاً من بني إسرائيل ، لكنهم تهودوا ، وعلى سبيل المثال القبائل التي كانت حول بحر الخزر في الاتحاد السوفيتي ، ومع ذلك نسبوا إلى إسرائيل عفواً ، فضلاً عن ذلك ، فإن اليهود اختلطوا بغيرهم من الأمم وأخذوا عنهم كثيراً من العلوم والآداب ، كما اكتسبوا طرقاً جديدة في التفكير .

٣ - أما في العبادات فقد انحرف اليهود عن أهدافهم في عبادة الواحد الأحد فأقاموا الهياكل كما تقيم الأمم والشعوب الوثنية الهياكل لأربابها ، وقدموا القرابين والذبائح كما كان يقدمها عباد الوثنية ، ثم زادوا في إسفافهم حتى جعلوا الأوثان في بيوتهم ، وسموها الطرافين ، وعبدوا آلهة الأمم التي اختلطوا بها ، مثل آلهة الآراميين والكلدانيين ، والموآبيين أمثال البعل والبعليم والعشتاروت ، ووضعوها في هيكلهم المقدس ، هيكل النبي سامان (١) .

وهكذا انحرفت اليهودية عن عبادة التوحيد ، عبادة الله الواحد الأحد .

(١) المرجع السابق .

الفصل الرابع

طوائف النصرانية وفرقها الحالية

كانت هناك طوائف ومذاهب مسيحية كثيرة في عصر المسيحية الأولى ، لكنها فنيت بسبب قسوة اليهود ثم الرومان ، وأحياناً بسبب قسوة فرق المسيحية الأخرى التي نالت نصيباً من الحظوة لدى أباطرة الرومان (١) وأهم الفرق الباقية هي :

أولاً - الكاثوليك : وتسمى كنيستهم بالكنيسة الغربية ، لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتيني الذين يقطنون بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال ، كما يوجد لها أتباع في بلاد أخرى في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأفريقيا وآسيا .

ويدعى الكاثوليك أن مؤسس كنيستهم الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين ورئيسهم ، وأن بابوات روما خلفاؤه . لذلك فهم يسمون كنيستهم بالبطرسية أو الرسولية أو اللاتينية أو العامة لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ، ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم .

٣ - وتتبع كنيسة الكاثوليك في روما النظام البابوي وهو مجمع كنائس مكون من مجلس الكرادلة ويرأسه البابا ، ولهذا المجمع الحق في إصدار إرادات بابوية سامية ، هي في نظرهم إرادات إلهية ، لأن البابا خليفة بطرس تلميذ المسيح ووصيه ، فهو بالتالي يمثل الله ، لذا كانت إرادته لا تقبل المناقشة أو الجدل .

(١) يراجع الباب الرابع من كتاب « محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن »

٣ - ومن مستحدثات الكاثوليكية أنها أحلت أكل الدم المخنوق ، وأباحت للرهبان أكل دهن الخنزير ، وكل ذلك لتجذب إليها الجرمان الوثنيين وقتئذ واللاذنيين .

٤ - تقول كنيسة روما أن روح القدس نشأ عن الله الآب ، والابن معاً .

٥ - تعتقد كنيسة روما بالمساواة الكاملة بين الإله الآب والإله الابن .

٦ - تقول كنيسة روما أن للمسيح طبيعتين ومشيتين .

٧ - اعتادت كنيسة روما إصدار صكوك لغفران الذنوب لمن يشاء من رعاياها .

ولقد كانت صكوك الغفران أصلاً وسيلة للإعفاء من الاشتراك في الحروب الصليبية ، يتم مقابل جعل مبلغ من المال يدفع للكنيسة ، ثم أصبحت وسيلة لغفران الذنوب ما مضى منها وما هو آت ، دون حاجة إلى توبة أو رد المظالم إلى أهلها ، فإذا أراد البابا أن يجمع مالا أو يبني كنيسة طبع صكوكا للغفران ، ووزعها على أتباعه ليبيعوها للناس ، كالذين يبيعون أسهم الشركات أو أوراق اليانصيب ، وبالصك فراغ ترك ليكتب به اسم الذي سيغفر ذنبه ، وقد علق أحد النقاد على هذه الصكوك بأنها إذن بارتكاب كل الجرائم بعد أن ضمنت اللجنة لهذا المحظوظ .

نص صك الغفران :

ربنا يسوع المسيح يرحمك يا . . . (يكتب اسم الذي سيغفر له)
ويحلك باستحقاقات آلامه الكلية القدسية ، وأنا بالسلطان الرسولي المعطى لي أحلك من جميع القصاصات والأحكام والطائلات الكنسية التي استوجبتها !
وأيضاً من جميع الأفرات والخطايا والذنوب التي ارتكبتها مهما كانت عظيمة وفضيحة ومن كل علة ، وإن كانت محفوظة لأبيننا الأقدس البابا ،
وللكرسي الرسولي ، وأمحو جميع أقدار الذنب وكل علامات الملامة

التي ربما جلبتها على نفسك في هذه الفرصة وأرفع القصاصات التي كنت تلتزم بمكابديتها في المظهر ، وأردك حديثاً إلى الشركة في أسرار الكنيسة ، وأقربك في شركة القديسين ، أرددك ثانية إلى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك حتى أنه في ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذي يدخل منه الخطاة إلى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذي يؤدي إلى فردوس الفرح ، وإن لم تمت سنين مستطيلة فهذه المتعة تبقى غير متغيرة ، حتى تأتي ساعتك الأخيرة . باسم الآب والابن والروح القدس (١) .

وهناك طوائف أخرى تتبع الكنيسة الكاثوليكية ، وإن لم تكن تتبع اعتقادها في طبيعة المسيح ومشيئته وهم الآتي بياهم :

(أ) النسطورية :

تنسب إلى نسطور الذي كان بطريركاً للقسطنطينية لمدة أربع سنين قبل خلعته ونفيه إلى مصر ، حيث أقام في مدينة أخميم حتى مات .

وكان نسطور يرى أن مريم العذراء أم المسيح لم تلد الإله ، بل ولدت الإنسان فقط ، ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته ، بالأقنوم الثاني وهو الابن وليس ذلك الاتحاد بالمزج أو هو اتحاد حقيقي بل كان اتحاداً مجازياً لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن .

ولما قال نسطور تلك المقالة في المسيح ، كاتبه كيرلس بطريرك الإسكندرية ويوحنا بطريرك أنطاكية ليعدل عن رأيه ، لكنه لم يستجب فانعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١ وقرر لعنه وطرده ، وإثبات أن مريم العذراء ولدت الإنسان والإله .

ويبدو أن السبب في لعنه وطرده كان كما يقول صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية (إن كلام نسطور معناه أو يلزمه حتماً إنكار ألوهية المسيح) .

(١) كتاب المسيحية - مقارنة الأديان للدكتور أحمد شلي .

وقد اندثرت نحلة نسطور حتى بعثت من بعده بمعرفة مطران نصيبين .

يقول ابن البطريق : كانت مقالة نسطور قد اندثرت ، فأحيها من بعده بزمان يرصوما مطران نصيبين في عهد قباد بن فيروز ملك فارس ، وثبتها في الشرق وخاصة أهل فارس ولذلك تكاثرت النسطورية في الشرق في العراق والموصل والجزيرة .

ويقول صاحب سوسنة سليمان ، إن النسطوريين في هذا العصر يسمون الكلدان ، ويسكنون خاصة فيما بين النهرين والبلاد المجاورة لهما ، ولهم تعاليم خاصة بهم ، غير أنهم يمتازون عن باقي المذاهب باعتقادهم أن نسطوريوس حرمه مجمع أفسس ظلاماً .

وقد تطور اعتقاد النسطوريين في المسيح فأصبح اعتقادهم فيه أن فيه أقنومين كما أن فيه طبيعتين وقد التصق الأقنومان والطبيعتان حتى صار منهما رؤية واحدة . وقد أدخلتهم الكنيسة الرومانية في حظيرتها (١) .

(ب) المارونية :

ومقر هذه الطائفة جبل لبنان ، وتنسب إلى القديس مارون الذي أعلن سنة ٦٦٧ م أن المسيح ذو طبيعتين ولكنه ذو إرادة واحدة أو مشيئة واحدة .

ولم تقبل الكنائس المسيحية هذا الرأي ، لذلك اجتمع المجمع السادس بمدينة القسطنطينية سنة ٦٨٠ ميلادية وقرر رفض نحلة مارون ، وحرمانه ولعنه وتكفيره وتكفير كل من يذهب مذهبه .

وقد نزلت باتباع يوحنا مارون الاضطهادات وصنوف الأذى ، فلم يجدوا لهم ملجأ إلا الفرار والاعتصام بمدن جبل لبنان ، وقد تحالفت الكنيسة الكاثوليكية عليهم وقربتهم إليها ، فأعلنوا لها الطاعة والاتحاد معها سنة ١١٨٢ م ،

(١) محاضرات في النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

على أن يبقوا على رأيهم وبطريركهم الخاص بهم وإن كان يقر بالرياسة لباباروما (١) .

(ج) السريان :

هم طوائف من المسيحيين الآسيويين يقولون أن المسيح ذو طبيعة واحدة (مثل أقباط مصر) لكنهم يعترفون برياسة الكنيسة الكاثوليكية عليهم ، وإن كان لهم رأيهم وبطريركهم الخاص بهم (٢) .

* * *

ثانياً - الأرثوذكس (٣) : وتسمى كنيستهم الكنيسة الشرقية أو اليونانية ، أو كنيسة الروم الشرقيين لأن أتباعها كانوا من الروم الشرقيين ، أى من شرق أوروبا وكروسيا ودول البلقان واليونان .

١ - مقر هذه الكنيسة الأصلي كان مدينة القسطنطينية ، بعد انفصالها عن كنيسة روما سنة ١٠٥٤ ، وتتبع تلك الكنيسة نظام الإكليروس ، ويبدأ من البطريرك ويليه في الرتبة المطارنة ، ثم الأساقفة ثم القمامصة وهم قسس ممتازون يليهم القسس العاديون .

٢ - لم تقبل الكنيسة الشرقية أكل الدم المخنوق ورفضت إباحة أكل دهن الخنزير للرهبان .

٣ - أصرت الكنيسة الشرقية على أن روح القدس نشأ عن الله الآب فقط .

٤ - قالت الكنيسة الشرقية بأفضلية الإله الآب عن الإله الابن .

٥ - تصر الكنيسة الشرقية على أن المسيح له طبيعة واحدة وهشيئة

(١) محاضرات في النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المسيحية - مقارنات الإديان - للدكتور أحمد شلبي .

واحدة ، وهناك طوائف أخرى تتبع المذهب الأرثوذكسى ، وإن كانت كنائسها مستقلة عنه وهى الآتى بيانها :

(أ) الكنيسة المصرية :

ورئيس هذه الكنيسة هو بطريرك القبط المقيم بالقاهرة ، ويدعى حالياً بابا الإسكندرية ورئيس الإفريقيين المسيحيين ، ويتبعه فى هذه الرياسة سكان الحبشة المسيحيون ، فهم خاضعون لبطريرك الكنيسة القبطية ، وهو يعين لهم أسقفاً يسوسهم .

وتعتقد الكنيسة المصرية أن للمسيح طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت بالناسوت ، وانعقد لأجل هذا مجمع أفسس الثانى خلال النصف الأول من القرن الخامس الميلادى ، حيث أعلن هذا الرأى ، إلا أن الكنيسة الكاثوليكية رفضته ووصفت هذا المجمع بأنه مجمع اللصوص ، لكن بعد ذلك انعقد مجمع خليكندونية سنة ٤٥١ ميلادية ، وتقرر فيه أن المسيح فيه طبيعتان لا طبيعة واحدة ، وأن الألوهية طبيعة وحدها والناسوت طبيعة وحدها التقتا فى المسيح ، وبذلك رفض المجمع الأخير رأى الكنيسة المصرية ، بل لعن هذا المجمع ديسقورس بطريرك الإسكندرية ، إلا أن الأقباط المصريين عندما بلغهم ما نزل برئيس كنيستهم غضبوا ، وأجمعوا أمرهم على عدم الاعتراف بقرارات ذلك المجمع ، بل ثاروا ضد الرومان ، ورفضوا تعيين بطريرك على غير مذهبهم ، فكان بعض الأباطرة من الرومان يأخذهم بالعنف ، وبعض الأباطرة يأخذهم بحسن السياسة ولطف الكياسة ، فترك لهم الحرية فى اختيار بطريرك لهم من مذهبهم ، وقد ظهر للمذهب القبطى المصرى داعية قوى الشكيمة ببلغ الأثر فى وسط القرن السادس الميلادى ، هو يعقوب البرادعى الذى أخذ يجول فى البلاد الرومانية داعياً إلى اعتناق المذهب القبطى المصرى ، وسلك فى سبيل ذلك طريق المخاطرة والجرأة (١) .

(١) محاضرات فى النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

وقد كان قرار مجمع خليكدونية هو السبب في انفصال الكنيسة المصرية عن الكنيسة الغربية ، وقد لخص صاحب كتاب تاريخ المسيحية في مصر عقيدة الكنيسة المصرية فقال الآتى :

« كنيسةنا المستقيمة الرأى التى تسلمت إيمانها من كيرلس وديسقورس ومعهما الكنائس الحبشية والسريانية الأرثوذكسية ، تعتقد بأن الله ذات واحدة - مثلثة الأقانيم - أقنوم الأب - وأقنوم الابن - وأقنوم الروح القدس ، وأن الأقنوم الثانى أى أقنوم الابن تجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء ، فصير هذا الجسد معه واحداً ، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط والامتزاج والاستحالة بريئة من الانفصال ، وهذا الاتحاد صار الابن المتجسد طبيعة واحدة من طبيعتين ومشيئة واحدة » .

(ب) الأرمن :

هم طوائف من المسيحيين موطنهم الأصلى أرمينيا ، وإن كانوا ينتشرون في مصر وبعض بلاد الشرق الأوسط ، يعتقدون في المسيح اعتقاد الكنيسة القبطية أن المسيح ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة . ولكن لهم تقاليد دينية وطقوس دينية مختلفة ، كما أن لهم بطارقة مستقلين بهم ، لأنهم لا يندمجون في الكنائس الأخرى (١) .

ثالثاً - البروتستانت أو الإصلاح الدينى :

١ - ينتشر البروتستانت في ألمانيا وإنجلترا والدنمارك وهولنده وسويسراً والنرويج وأمريكا الشمالية ، وهم يسمون كنيسهم الإنجيلية ، بمعنى أن أتباع تلك الكنيسة يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الخضوع لأحد آخر أو طائفة أخرى ، فإكل قادر الحق في فهمه ، وهذا الاتجاه منهم في فهم الإنجيل يعارضون به الكنائس الأخرى التى تعتبر فهم الإنجيل وفقاً

(١) المرجع السابق وما قبله .

على رجال الكنيسة ، الذين يعتقدون في جانبهم الإلهام ، فضلاً عن ادعائهم بتلقى تعاليم غير مكتوبة يتناقلها البابوات خافتاً عن سلف .

٢ - ويطالب البروتستانت بإبطال عبادة الصور ، واستحالة تحول الخبز والخمر في عيد الفصح إلى جسد المسيح ودمه ، وإبطال صكوك غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب لعدم وجود أصل لذلك في الإنجيل (١) .

٣ - والحقيقة أن البروتستانت لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بأن الكتاب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشرى ، كما أنها منبع نور الإيمان بالدين الإلهي ، وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره إلى ما يخالف شيئاً مما حوته ، وأنه لا حاجة إلى شيء من العلم وراء ما ورد فيها .

لذلك لم يكن مذهب الإصلاح الديني كما يخلو لهم أن يسموه ، أخف وطأة على العلم ولأفضل معاملة له من الكاثوليك ، لأن كلا المذهبين يرجع إلى طبيعة واحدة ، ولم يكن لأهل النظر العقلي جزاء في كلتا الملتين إلا القتل وسفك الدماء .

٤ - كان لوثر الزعيم الأول للمذهب البروتستنتي ، أشد الناس إنكاراً على من ينظر في فلسفة أرسطو ، وكان يلقبه بالخنزير الدنس الكذاب ، في الوقت الذي كان علماء المسلمين يلقبون فيه أرسطو بالمعلم الأول ، ولذا كان سيرفيت يعتقد أن الدين المسيحي دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقية ، وكان يقول إن روح القدس ينعش الطبيعة بأسرها ، فكان جزاؤه من قبل كلغان الزعيم الثاني للبروتستانت بعد لوثر أن أمر بإحراقه في جنيف فشوى حياً على النار حتى مات .

٥ - وبالجملة فإن البروتستانت لم يبطلوا أصلاً من الأصول المسيحية ،

(١) المرجع السابق وما قبله .

بل لأنهم فقط قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم ، أو بمعنى آخر كانت حركة لإصلاح الكنيسة لا إصلاحاً للمسيحية وإرجاعها إلى أصولها النقية ، لذلك بقيت موضوعات ضخمة لم يتطرق إليها الإصلاح مثل الآتي :

(أ) التثليث ومدى سلامة قرارات المجامع السابقة في العقيدة وخصوصاً قرارات مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية وقرارات مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ وفي الأول تقرر عقيدة التثليث وألوهية المسيح ، وفي المجمع الآخر تقرر ألوهية روح القدس .

(ب) صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر ومدى صحة هذه النظرية .

(ج) البحث عن إنجيل المسيح نفسه بمعنى الاقتصار على تعاليم المسيح الواردة عنه ، واستبعاد التعاليم الدخيلة على المسيحية وخصوصاً ما تعلق منها بالعقيدة .

٦ - ولم تعدم الأجيال المسيحية عباقرة مصلحين حاولوا إصلاح المسيحية وإرجاعها إلى طبيعتها النقية ، وأعلنوها على الملأ في صراحة ووضوح دون خوف أو وجل ولاقوا في سبيلها الأهوال (١) وذاقوا العنت والعذاب ، وإن فشلت مساعيهم فيما كانوا يهدفون إليه من إصلاح والأمثلة على ذلك الآتي :

(أ) أعلن آريوس قسيس الإسكندرية في بداية القرن الرابع الميلادي ، أن الله وحده هو الإله الأصلي الواجب الوجود ، أما المسيح والروح القدس فهما كائنان من خلق الله . فيحكم عليه مجمع نيقية بالكفر والمهرطقة ويتقرر قتله مع مشاييعه .

(ب) وهذا أوريجانوس يعلن أن الله روح لا يدركه الفهم ، وهو أعلى من أن تكون أوصافه شبيهة بالإنسان ، وأن الله لا يجزأ ولا يجسد ولا يحصر . فيحكم عليه بالحرمان وتحرق كتبه ثم يطرد مع أتباعه .

(١) كتاب « الله واحد أم ثالوث » تأليف الأستاذ محمد مجدى مرجان .

(ج) والفيلسوف المسيحي ترتليان في القرن الثالث الميلادي ، يعلن قوله (إننا بريئون من المدين ابتدعوا مسيحية رواقية أو أفلاطية أو جدلية بعد المسيح والإنجيل ، لسنا بحاجة إلى شيء) .

(د) والأسقف نسطور ينكر ألوهية المسيح ، ويقرر أنه إنسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة ، ويشايه في رأيه فلاسفة متأخرون مثل تولستوى ورينان فضلاً عن أساقفة متقدمين يشايهونه مثل سابليوس وبولس الشمشاطي .

(هـ) ثم يأتي الأسقف مقدونيوس أسقف القسطنطينية ، فينكر ألوهية الروح القدس أيضاً فيعقد مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية ويقرر طرده وحرمانه وعزله .

(و) وفي أسبانيا يجهر المصلح الأسباني سرفيتوس برأيه بوحدانية الله ، وإنكار الثالوث فيتقرر إحراقه حياً سنة ١٥٥٣ ميلادية .

(ز) وفي بولونيا نادى سرسينس بوحدانية الله وبشرية المسيح ، مقرراً أن الإله لا يحل في البشر ، وقد تفرع عن عقيدته مذهب الموحدين ، الذين قاموا يدعون إلى تطهير المسيحية من أدران الوثنية وجهالة التجسيد ، ولاقي أفراد هذا المذهب من الاضطهاد والتعذيب ما اضطرهم إلى هجر وطنهم إلى مختلف البلاد فيلاحقهم العذاب أينما حلوا .

وهكذا عشاق الزور والبهتان وعباد الزيف والضلال ، لاحقوا الموحدين تجويعاً وتشريداً ، وسجناً وتعذيباً وإحراقاً وتقتيلاً ، حتى تاهت حقيقة الوحدانية الفطرية ، وسط الزحام في المجتمعات المسيحية ، ودست في عمق الظلام بين شعوب معتنق النصرانية ، حتى جاء الإسلام فبدد بنور الوحدانية ظلام الشرك والتعدد والتثليث ، وأرسى عقيدة توحيد الخالق المنزه عن الشريك والوالد والصاحبة والولد ، فأرجع القلوب والأفئدة إلى التوحيد الذي هو دين الأنبياء ، من لدن آدم أبي البشر حتى ختام رسالات السماء بمحمد صلوات الله وسلامه عليه ، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم :

(م ١٠ - النصرانية والإسلام)

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون » (١)

ويقابل ذلك ما ورد في إنجيل يوحنا ، منسوباً إلى المسيح عليه السلام (٢)

« وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي ويسوع المسيح الذى أرسلته » دون أن يشير المسيح إلى أنه هو الإله أو أنه واحد من ثلاث ، فأوضح المسيح طريق الفردوس أتم وضوح ، إذ أشار أنه طريق التوحيد الخالص ، أما غير التوحيد فهو طريق يؤدي بسالكه إلى الجحيم .

كما جاء فى التوراة فى سفر الخروج بيان واضح عن معنى وحدانية الله عند إبلاغ موسى عليه السلام وهو فى الجبل بالوصايا التى يجب أن يسير عليها قومه ليكونوا مؤمنين « أنا الرب إلهك ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى ، لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ، ولا صورة مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت ، وما فى الماء مما تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن » (٣) .

(١) سورة الأنبياء ٢٥ .

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ١٧ عدد ٢ .

(٣) سفر الخروج إصحاح ٢٠ من عدد ٢ إلى عدد ٦ .

الباب الثالث

- ١ - حقائق عن أصول النصرانية .
- ٢ - حقائق عن أصول الإسلام .
- ٣ - تخاريف الرهبان وبعض المعجزات التي تزعمها الكنائس لصحة العقيدة النصرانية مع ذكر لبعض الفضائح عن بعض رؤساء الملة النصرانية

الفصل الأول

حقائق عن أصول النصرانية

أصول النصرانية : إن أى مطلع على الأناجيل المتداولة ، يتبين له بجلاء أن هذه الأصول هى :

الأصل الأول : الذى قام عليه الدين المسيحى هو خوارق العادات ، وهى التى تأتى مخالفة لشرائع الكون ونواميسه ، فلا يوجد دليل على صدق المسيح سوى الخوارق التى كان يأتى بها ، ثم جعل ذلك دليلا على صحة الدين لمن يأتى بعده ، فجعل هذا الدليل لأصحابه وشرطت الأناجيل على حصول تلك الخوارق شرطا واحدا هو الإيمان ، فبالإيمان فقط ولو كان مثل حبة خردل يكفى المسيحى أن يخرق نواميس الكون ، دون حاجة إلى الاستناد إلى قوانينه ونواميسه ، وطبقا لما يأتى من نصوص الأناجيل .

١ - ورد فى إنجيل متى :

هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لاتمضوا ، إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة ، وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين : إنه قد اقترب ملكوت السموات ، اشفوا مرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، أخرجوا شياطين (١) .

٢ - ورد فى إنجيل متى :

فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شىء غير ممكن لديكم (٢) .

(١) إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٥ وما بعده .

(٢) إنجيل متى إصحاح ١٧ عدد ٢٠ .

٣ - كما ورد في إنجيل مرقص :

لأن الحق أقول لكم أن من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن أن ما يقوله يكون فهما قال يكون له ، لذلك أقول لكم كل ما تطلبونه حينها تصلون فآمنوا أن تنالوا فيكون لكم (١) .

والنتيجة من كل ذلك :

١ - أن كل بحث يؤدي إلى أن للكون شرائع ثابتة ، وأن للعلل والشرائط أو الأسباب أو الموانع أحكاما في معدلاتها أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضادا لهذا الأصل في أي زمن ، بمعنى أنه إذا كان كل علم من علوم الأكوان لا بد فيه من هذا البحث كان ذلك العلم مضادا لهذا الأصل المسيحي .

٢ - لا حاجة طبقا لهذا الأصل إلى العلوم والبحث فيها ، لأنه إذا كان كل علم مضادا للأصل المذكور لم يكن لصاحب الاعتقاد حاجة إلى البحث في الأسباب والمسببات فهو في غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتقد ، ويكفيه في الحياة اعتقاده في الشيء أن يكون قد تم وفق إرادته فيحصل على ما يريد .

كيف تغلبت أوروبا على نزعة الكنيسة في محاربتها للعلم :

شب النزاع بين العلم والدين في أوروبا بفعل عاملين مما قوض من سلطان الكنيسة في النهاية ، وأول هذين العاملين هو ظهور الإسلام وامتداده حتى أسبانيا ، واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس وحضور أبناء الأوربيين إلى هناك لتلقى العلوم والفنون والآداب والفلسفة تحت ظلال من الأمن والحرية .

وثانيهما : احتكاك الأوروبيين بالمسلمين في الحروب الصليبية ، فلما انتهت رجوع الآلاف من الغزاة الصليبيين إلى بلادهم يحملون إلى شعوبهم أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة ، من أن المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة ، وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة ، فلما قفل الغزاة إلى ديارهم قصوا على قومهم أن أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة، عندهم وفاء وود وفضل وبجالة.

ثم ظهر عامل ثالث : ألا وهو انتشار صناعة الورق التي اخترعها العرب ، ثم اكتشفت المطبعة فسهل على الناس أن ينشروا آراءهم ، بعد أن تنهت أفكارهم ، ثم انساب إلى عقول الأوروبيين شيء مما سماه الأوروبيون فلسفة ابن رشد .

ولكن هل سلمت الكنيسة بافتئات سلطاتها بسهولة ؟

عندما ظهرت الأفكار السابقة اهتمت الكنيسة بالأمر ، وأخذت تحارب كل ما يظهر على ألسنة الناس أو يرد على أسماعهم ، مما يخالف ما في الكتب المقدسة ، وتقاليد الكنيسة ووصفت تلك الآراء بالهرطقة وأنشأت المؤسسات الآتية :

أولاً - المراقبة على المطبوعات :

حتم على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفاته على القسيس ، أو المجلس الذي عين للمراقبة ، وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقبة ، أو بدون إذنها، ووضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع ، يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة .

ثانياً - أنشئت محكمة التفتيش :

بطلب من أحد الرهبان يدعى توركاندا ، لتتبع الآراء العلمية الحرة التي لا ترضى عنها الكنيسة ، وقد قامت المحكمة بأعمالها حتى قيام في سنة ١٨ سنة من سنة ١٤٨١ إلى ١٤٩٩ عملت الآتي (١) :

(١) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للمرحوم الأستاذ الإمام محمد عبده .

- ١ - حكمت على عشرة آلاف ومائتين وعشرين شخصا بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا .
- ٢ - وحكمت على ٦٨٦٠ شخصا بالشنق بعد التشهير بهم ، فشهروا ثم شقوهم .
- ٣ - حكمت على ٩٧٣٢٠ شخصا بعقوبات مختلفة ونفذت عليهم .
- ٤ - أمرت بإحراق كل توراة باللسان العبرى .
- ٥ - وللحصول على اعتراف المتهمين خلال حبسهم والتحقيق معهم أمرت بأن تجرى عليهم صنوف مختلفة من العذاب بآلات التعذيب المتنوعة حتى يعترفوا ، وعندئذ يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ مباشرة .
- ٦ - بلغ مجموع من حاكمتهم تلك المحكمة من وقت إنشائها سنة ١٤٨١ حتى سنة ١٨٠٨ - ٣٤٠,٠٠٠ نسمة منهم نحو ٢٠٠,٠٠٠ أحرقوا بالنار أحياء .

الأصل الثانى للنصرانية - سلطة الرؤساء .

وهذه السلطة هى سلطة دينية منحها الأناجيل للرؤساء على المرعوسين فى عقائدهم وما تكنه ضمائرهم ، ويستدلون على شرعية هذه السلطة بالنصوص الآتية فى الأناجيل :

- ١ - ورد فى إنجيل متى حاكيا عن المسيح مخاطبا تلميذه بطرس « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات ، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات » (١)
- ٢ - ورد فى إنجيل متى أيضا مخاطبا تلاميذه :

« الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء (٢) » .

(١) إنجيل متى إصحاح ١٦ عدد ١٩ .
(٢) المرجع السابق إصحاح ١٨ عدد ١٨ .

والنتيجة من كل ذلك :

١ - أنه ليس المعتقد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله ، بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه الكهنوتي ، فإذا قال هذا الأخير لشخص إنه ليس مسيحياً صار في الحال كذلك ، وإذا قال له إنه مسيحي أصبح كذلك .

٢ - ليس اكل ذى عقل فهم نصوص الكتاب المقدس ، بل إنما يتلقى فهمه وتفسيره من رؤساء الكنيسة ، خوفاً من الزيغ عن الإيمان السليم ، وما على المستمع إلا الطاعة - ولقد نشر البابا في روما منشوراً سنة ١٨٦٤ ، جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية ، أو جواز أن يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة ، أو يعتقد بأن الشخص حر فيما يعتقد ويدين لربه - وفي سنة ١٨٦٨ أصدر البابا منشوراً يقضى على المؤمنين بأن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم ، وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وأفكارهم .

الأصل الثالث - ترك الدنيا والعزوف عنها :

هذا الأصل تمتلئ به الأناجيل وأعمال الرسل ، فلا بد للمسيحي أن يتجرد للانقطاع إلى العبادة والابتعاد عن الدنيا وعدم الزواج ، لأن المالكوت قد نيط أمره بالإيمان المجرد عن النظر في الأكوان ويستدلون على ذلك بالآتي :

١ - ورد في إنجيل متى منسوباً إلى المسيح (١) .

(لا تقدرون أن تخدموا الله والمال ، لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون ، أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ والجسد أفضل من اللباس ؟) فالمسيحية إذاً تحارب الأبدان .

(١) إنجيل متى إصحاح ٦ عدد ٢٤ وما بعده .

٢ - ورد في إنجيل متى أيضاً (١) .

« لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزداد لكم ، فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه ، يكفي اليوم شره » .

٣ - ورد في إنجيل متى أيضاً (٢) .

« لا تقننوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ، - ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا » .

٤ - كما ورد في إنجيل متى أيضاً (٣) .

(فقال لتلاميذه: الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات) .

٥ - وحث على عدم الزواج ، وطبيعي أن عدم الزواج يؤدي إلى انقطاع النسل البشري طبقاً لما جاء في إنجيل متى (٤) .

« ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » .

٦ - فالمسيحية تحارب العمران طبقاً لما تقدم ، فهي تكرة المال وتحاربه مع أن المال عصب العمران . فقد جاء في إنجيل متى ولوقا ومرقص قصة الشاب الذي أراد أن يتعلم من المسيح ، فقال له : لا تقتل لا تسرق ، لا تزني ، لا تشهد الزور . فقال الشاب: حفظت هذا كله وعملت به ، قال عيسى : بيع أملاكك وأعط ثمنها للفقراء واتبعني . فلم يقبل الشاب ، فقال المسيح :

(١) المرجع السابق إصحاح ٦ عدد ٣٣ وما بعده .

(٢) المرجع السابق إصحاح ١٠ عدد ٩ .

(٣) المرجع السابق إصحاح ١٩ عدد ٢٣ .

(٤) المرجع السابق إصحاح ١٩ عدد ١٢ .

«يعسر أن يدخل غنى ماكوت الله، ولدخول الجمل في ثقب إبرة أيسر من دخول الأغنياء ماكوت الله» (١) .

الأصل الرابع - الإيمان بغير المعقول :

هذا الأصل يعتبره المسيحيون جميعاً هو أصل الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا أرثوذكس ولا بروتستانت ، لذلك فهم يعتقدون أن الإيمان منحة لا دخل للعقل فيها ، وأن من الدين ما هو فوق العقل أى يناقض أحكام العقل فمجرد الإيمان كاف في الخلاص دون حاجة للفهم .

ويقول في ذلك القديس أنسلم :

(يجب أن تعتقد أولاً بما يعرض على قلبك بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت) وكلام ذلك القديس من ضمن مقاصده عقيدة الثالوث ، التي تدور عليها المسيحية الحالية ، فلقد أدرك أساقفة الثالوث أنفسهم وكبار أحبار وفلاسفة المسيحية غموض عقيدة الثالوث ، ومخالفاتها للعقل والمنطق وبعدها عن الحق والصواب طبقاً للآتى :

١ - يقول القس توفيق جيد : أن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه - وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك ، كمن يحاول وضع ماله المحيط كلها في كفه (٢) .

٢ - ويقول القمص باسيلوس إسحاق : أجل إن هذا التعليم عن التثليث فوق إدراكنا ولكن عدم إدراكه لا يبطله (٣) .

٣ - ويقول الأستاذ يسي منصور : إن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة (٤) .

(١) إنجيل متى إصحاح ١٩ من عدد ١٧ إلى ٢٣ وإنجيل مرقس ص ١٠ من عدد ١٧ إلى عدد ٢٥ وإنجيل لوقا ص ١٨ من عدد ١٨ إلى عدد ٢٥ .

(٢) كتاب سر الأزل للقس توفيق جيد .

(٣) كتاب الحق للقمص باسيلوس إسحاق .

(٤) كتاب « التثليث والتوحيد » للأستاذ يسي منصور .

٤ - أما الأستاذ عوض سمعان فيقرر (إننا لا ننكر أن التثليث يفوق العقل والإدراك ، ولقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله ، أو بالحرى عن ثالوث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلا ، لأنهم انحرفوا عن أقواله واعتمدوا على عقولهم وحدها)(١) .

ويعلق على ذلك أنه إذا كان أساقفة الثالوث وكبار الأبحار وفلاسفة المسيحية وعلمائها قد عجزوا عن فهم هذا الثالوث ، فمن يا ترى يمكنه إدراك هذا الفهم ، وما هو موقف غيرهم من عامة المسيحية من هذه العقيدة .

ولو عرضت فكرة الثالوث على صفحة العقل لرفضها بسرعة ، لأن العقل لا يمكن أن يتصور إلهاً واحداً مكوناً أو مركباً من أجزاء أو عناصر ثلاثة طبقاً للآتي :

١ - إن الشيء المركب لا يتكون ولا يتم وجوده إلا بعد وجود باقى العناصر والأجزاء الأخرى المكتملة ، فوجود الأجزاء يسبق تكوينها وتركيبها ، والخالق سبحانه وتعالى وهو أصل الوجود لم يكن مسبوقاً بشيء .

٢ - أن الشيء المركب يفتقر فى تحقيقه وتكوينه إلى كل جزء من أجزائه ، والافتقار عجز ومحال أن يكون الخالق عاجزاً ومحتاجاً إلى الأجزاء ليتركب منها ، فهو القوى الكبير الغنى عن الجزئية والتركيب .

٣ - إذا كانت الألوهية مركبة من ثلاثة أجزاء أو عناصر أو أقانيم فلا بد لها من مركب يتولى تركيب تلك الأجزاء أو العناصر أو الأقانيم وضم بعضها إلى بعض حتى يتكون الكل ويصير كاملاً ، إذ من غير المعقول أن تضم بعضها إلى بعض دون علة ، وإذا استقام ذلك المنطق العليل ، كانت تلك الأقانيم معلولة وضعيفة لافتقارها إلى ذلك المركب ، ولم تكن آلهة

(١) كتاب « الله ذاته ونوع وحدانيته » للأستاذ عوض سمعان .

بل صار ذلك القوى وهو المركب هو الإله ، ورجعنا إلى النظرية السليمة وهي الوجدانية المطلقة لهذا الإله القوى .

٤ - ويقول الفيلسوف أرسطو ، كل مركب صائر إلى الانحلال ، لذلك لا يكون الواحد إلا بسيطا غير قابل للتجزئة .

٥ - ويرهن الإمام رحمة الله الهندي على استحالة الجمع بين الوجدانية والتثليث لمخالفة ذلك لكل عقل ومنطق بأن المثالث لا يمكن أن يكون موحداً لله تعالى بالتوحيد الحقيقي ، لأن التوحيد والتثليث بالنظر إلى ذاتيهما ضدان حقيقيان ، بل ونقيضان في نفس الأمر فلا يمكن اجتماعهما في أمر واحد ، ذلك أن الواحد الحقيقي ليس مجموع آحاد والثلاثة هي مجموع آحاد ثلاثة ، لأن جزأها واحد ، والثلاثة لها ثلث صحيح وهو واحد ، فلو اجتمع الواحد والثلاثة في محل واحد يازم كون الجزء كلا والكل جزءا وهذا محال (١) .

٦ - ويقول المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز في كتابه (الدين) إنه لا يقول بالتعدد إلا العقل القانع المتعجل الذي يقف عند أدنى مبادئ الغيب وغاياته ، فيرى أن وراء كل فصيلة من الظواهر الكونية مبدأ يدفعها وينظمها ، فيقوده ذلك إلى الاعتقاد بوجود إله للريح وإله للشعر وإله للحرب وهكذا ، أما العقول الواعية التطبيقية المتسامية فإنها ترى أن خلف هذا كله قوة واحدة أسمى وأعظم ، تصرف جميع الشئون ، فهي لا ترضى بأحاد القوانين ولكنها تسمو إلى قانون القوانين ، وتستشرف إلى اليد التي جمعت تلك القوانين ونسقها (٢) .

٧ - ويقول الدكتور وولتر أوسكار لندبرج في مقال نشر في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) إن جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله على صورة إنسان ، بدلا من

(١) كتاب «إظهار الحق» للإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي .

(٢) كتاب (الدين) للدكتور محمد عبد الله دراز .

الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض ، وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرّب على استخدام الطريقة العلمية ، فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر ، لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو مع أي منطق مقبول ، وأخيرا عندما تفشل جميع المحاولات للتوفيق بين الأفكار الدينية القديمة ، وبين مقتضيات المنطق والتفكير العلمي تجده هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنهذ فكرة الله كلية(١) .

ويعلق الأستاذ مجدى مرجان على ذلك بقوله إن العالم الأمريكى يقرر أن تمثيل رجال الدين الله بإنسان مكونا من ثلاثة عناصر أو أجزاء : ذات ونطق وحياة ، هذه الصورة الغربية التي تخالف كل فكر وطبع ، والتي يسعى رجال الدين جاهدين فى دعوة الناس إلى تقبلها ، تجعل المسيحى المثقف فى صراع دائم بين هذه الأفكار ، وبين عقله ومنطقه ، وفى دوامة هذا الصراع ، إما أن يصل إلى الحقيقة ويجهر بها معلنا التوحيد ، وإما أن يفضل السلامة فيكتفى بالإلحاد(٢) .

الأصل الخامس أن الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج البشر فى المعاش والمعاد .

فالعهد الجديد والعهد القديم يحتويان فى نظر المسيحيين على كل ما يحتاج البشر سواء كان متعلقا بالاعتقادات الدينية أو الآداب النفسية أو الأعمال البدنية مما يؤدى إلى نيل السعادة فى الماكوت الأعلى .

ويقول فى ذلك تيرتورليان من علماء المسيحية فى نهاية القرن الثالث عشر :

« إن أساس كل علم (عند المسيحيين) هو الكتاب المقدس وتقاليده

(١) (الله يتجلى فى عصر العلم) لنخبة من العلماء الأمريكيين ترجمة الدكتور الدرناش عبد الحميد سرحان .

(٢) كتاب (الله واحد أم ثالوث) تأليف الأستاذ محمد مجدى سرحان .

الكنيسة ، وإن الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية إلى الدين فقط ، بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون فالكتاب المقدس يحتوى على العرفان على المقدار الذى قدر للبشر أن ينالوه .

بمعنى أن ما جاء به من وصف للسماء والأرض ، وما فيها وتاريخ الأمم يجب التسليم به مهما خالف المعقول أو خالف شاهد الحس ، فعلى الناس أن يؤمنوا به أولا ثم يجتهدوا ثانيا في حمل أنفسهم على فهمه والتسليم به وكل علم خالف ذلك فهو ممقوت .

ونتيجة لذلك :

١ - أحرقت مكتبة الإسكندرية التى كانت تحتوى على كتب البطالسة والمصريين القدماء على عهد جول قيصر ، وكانت قسمين أحدهما مكتبة البروخيوم وتحتوى على ٤٠٠ ألف مجلد والأخرى السرابيوم وتضم ٢٠٠ ألف مجلد .

٢ - ثم إن تيوفيل بطريرك الإسكندرية انتحل أدنى الأسباب لإثارة ثورة فى المدينة لإتلاف ما بقى فى مكتبة البطالسة بعضه بالإحراق وبعضه بالتبديد (١) ، ولقد قال أوريوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب ، بعد أن نال تيوفيل الأمر الإمبراطورى من قيصر الرومان بإتلافها بنحو عشرين سنة .

٣ - ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل بطريركا على الإسكندرية ، وكان خطيبا مفوها له على الشعب سلطان بفصاحته ، وكان فى الإسكندرية فتاة تسمى هيباتى الرياضية ، تشتغل بالعلوم والفلسفة ، وكان يجتمع إليها كثير من أهل النظر فى العلوم الرياضية ، وكان لا يخلو مجالسها من البحث

(١) كتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) للأستاذ الشيخ محمد عبده :

في الفلسفة في مسائل ثلاث هي (أ) من أنا (ب) وإلى أين أذهب ؟ ،
(ج) وماذا يمكنني أن أعمل ؟ فلم يحتمل سيريل السماع بها وبعلمها ، مع أن
الفتاة لم تكن مسيحية بل كانت على دين آباؤها المصريين القدماء ، فأخذ يثير
الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق سائرة إلى دار ندوتها ،
فهل تدرى ماذا فعلوا بها بعد ذلك ؟ .

أولا : جردوها من ثيابها كلية .

ثانيا : أخذوها إلى كنيسة الإسكندرية . كمشوفة العورة .

ثالثا : وفي مقر الكنيسة المقدس قتلوها .

رابعا : ثم قطعوا جسما تقطيعا .

خامسا : ثم جردوا اللحم عن العظم .

سادسا : ما بقي منها بعد ذلك ألقى في النار (١) .

ويقول مؤرخ هذه القصة وراويها ، ولم تسأل الدولة القديس سيريل
بطريك الإسكندرية عما صنع بالفتاة هيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية
فيما وقع عليها .

٤ - وشبيه بذلك ما ذكره العالم دي رومنيس أن قوس قزح ليست
قوسا حربية بيد الله ينتقم بها من عباده إذا أراد ، بل هي من انعكاس ضوء
الشمس في نقط الماء فقبض عليه وأحضره إلى روما وحبس حتى مات ،
ثم حوكت جثته وكتبه فحكمت عليها وألقيت في النار .

٥ - بعد انحسار الإسلام عن بلاد الأندلس في أسبانيا ، قام الكاردينال
اكسبينيس بإحراق (٨) ثمانية آلاف كتاب عربي مخطوطة في غرناطة ،
فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا وقتئذ .

(١) المرجع السابق وكتاب (أوروبا والإسلام) للدكتور عبد الحليم محمود .

ونخلص من كل ذلك بالآتي :

إن تعاليم الأنجيل خالية تماما مما يبحث على العلم أو يقود إلى الإصلاح ، أو يهدف إلى المدنية ، ومن الخطأ بمكان ربط مدينة الغرب المسيحي في تقدمه بالمسيحية ، لأن مدينة الغرب مدينة مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب ، والعزة والكبرياء والعظمة والتتبع بالشهوات ، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله ، وما وصل الأوروبيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد ما نبذوا التعاليم المسيحية وراء ظهورهم ، ولو أن هذه المدنية من أثر التعليم المسيحي لنشأت بقرب نشأته ، ولكنها لم تظهر إلا بعد بضعة قرون من ظهوره (١) .

وتطبيقا لهذا منعت الكنيسة إبان نفوذها أن ينشر التعليم بين العامة إلا ما كان دعوة إلى الصلاح وتقرير الإيمان ، وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ولقد عارضت الكنيسة القول بكروية الأرض ، وعارضت رحلة كريستوف كولمبس للكشف عن أمريكا ، وعارضت الحقن تحت الجلد ، وعارضت تخدير المرأة لتسهيل ولادتها ، وكانت معارضة الكنيسة لمثل هذه الأمور أن هذه الأشياء لم ترد في الكتاب المقدس ، وليس لأحد أن يقترح شيئا لم يرد في هذا الكتاب .

الأصل السادس للنصرانية :

مفارقة المسيحيين لغيرهم من الفرق الأخرى ، ولو وصل الأمر إلى حد استعمال السيف ضد الأب والابنة والأم ، والدليل على ذلك :

ورد في إنجيل متى :

« لا تظنوا أنني جئت لألقى سلاما على الأرض ، ما جئت لألقى سلاما بل سيفا فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها ، والكنته ضد حاتمها ، وأعداء الإنسان أهل بيته» (٢) .

(١) شهادت النصراني وحجج الإسلام للسيد محمد رشيد رضا .

(٢) إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٣٤ وما بعدها .

ورد في إنجيل لوقا منسوباً إلى المسيح إن كان أحد يأتي إلى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وإخوانه حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً (١) وهل هناك تفكك للأسرة أشد من هذا التفكك الذي تدعو إليه تلك التعاليم .

ونتيجة لذلك :

١ - يقول البابا أنوثان الثالث عند الكلام في مصادرة الذين يخالفون العقيدة الكاثوليكية ، « لا يجوز أن يترك لأولاد الجاحدين سوى الحياة وترك الحياة لهم من الإحسان ، فلم يقصر الجزاء على الجاحدين ، ولكن تعدها إلى أولادهم ، وعد ترك الحياة لأولادهم يتمتعون بها ضرباً من الإحسان عليهم ، لأنهم لاحق لهم في أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم .

٢ - اشتدت محكمة التفتيش في طلب المجرمين طلاب العلوم والسعاة إلى كسبها ، ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها ، في المدن ، في البيوت ، في السرايب ، في الأنفاق ، في المخازن ، في المطابخ ، في المغارات ، في الغابات ، وفي الحقول ، فوفت بما كلفت مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين عملاً بالقول الجليل « ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً » .

٣ - ولقد قرر مجمع لاتران أن يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس ، الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في الكنيسة ، فمثلاً تذهب البنت أو الزوجة أو الأخت لأجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد ، فيكون مما تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته ، وما يظهر في أعماله بين أهله ، فإذا وجد القسيس متلقى الاعتراف شيئاً من الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه ، رفع أمره إلى محكمة التفتيش فينقض شهاب التهمة على من سأل عنه ، فإذا

سأل عن الشاهد الذى عول عليه فى اتهامه لا يجاب ، وإنما يقام عليه التعذيب حتى ينتزع الاعتراف منه تحت قسوة العذاب .

٤ - يقول غلياديس ما كان يقوله جميع الناس فى ذلك العهد المشنوم :
يقرب من الخيال أن يكون الشخص مسيحيا ويموت على فراشه .

٥ - وفى أسبانيا بعد انحسار نور الإسلام عنها ورجوعها إلى النصرانية قدمت محكمة التفتيش (١) للنار أكثر من ٣١ ألف نسمة أحرقوا جميعا ، وحكمت على أكثر من ٢٩٠ ألفا بعقوبات أخرى تلى الإعدام .

٦ - وفى عام ١٥٦٨ أصدر الديوان حكمه بإدانة جميع سكان الأراضى الواطئة (وهى هولندا وبارجيكيا) والحكم عليهم بالإعدام ، واستثنى من الحكم أفراد نص القرار على أسمائهم وبعد عشرة أيام من صدور الحكم دفع للمقصلة ملايين الرجال والنساء والأطفال .

٧ - وكان الإعدام يسبق بصور من التعذيب كالكي بالنار والضرب لعل المتهم يعترف بجرمه ، فإن لم يعترف قتل ، لأنه لم يكن يعتبر بريئا حتى تثبت إدانته ، بل مجرما حتى تثبت براءته ، وهيات أن تثبت ، وإذا اعترف المتهم بجرمته استمر تعذيبه قبل القضاء عليه لعله يكشف عن أنصاره وشركائه ، وللوصول إلى ذلك كانت تسلط الشموع على جسم الضحية وتخلع أسنانه كما حدث لبنيامين كبير أساقفة مصر ، لأنه رفض الخضوع لقرار مجمع خليكادونية الذى قرر أن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية .

٨ - وكانت القوانين تقضى أن يحمل الأبناء أو الأحفاد تبعة الجرم الذى يدان به الآباء ، فيسلبوا حقهم فى مباشرة الكثير من الوظائف ومزاولة الكثير من المهن .

(١) مقارنة الأديان المسيحية - للدكتور أحمد شلبى .

٩ - ولما ظهر البروتستانت اتجهت الكنيسة الكاثوليكية لهم بالاضطهاد العنيف ، وكثرت المذابح ومن أهمها مذبحه بارييس في ٢٤ أغسطس سنة ١٥٧٢ ، التي سطا فيها الكاثوليك على ضيوفهم من البروتستانت بعد أن دعوهم إلى بارييس لعمل تسوية تقرب بين وجهات النظر ، ثم قتلوا غدراً وهم نيام ، فلما أصبحت بارييس كانت شوارعها تجرى بدماء هؤلاء الضحايا ، وانهاالت التهانى على شارل التاسع ملك فرنسا من بابا روما ، ومن ملوك الكاثوليك في أوروبا وعظماؤها على هذا العمل الدنيء .

١٠ - ولما قويت شوكة البروتستانت مثلوا نفس دور القسوة مع الكاثوليك ، ولم يكونوا أقل وحشية في معاملة أعدائهم السابقين ، والمثال الحى على ذلك في وقتنا الحاضر ما جرى في إيرلندا الشمالية من قتال وحشى بين الكاثوليك والبروتستانت ، رغم أنهما أبناء شعب واحد . (١)

١١ - وهكذا دون التاريخ للمسيحية - بحارا من الدماء ، وأكداسا من رماد الذين أحرقوا مع يثم ودموع وأنين ووحشية وبربرية بعد أن أتيح لها السلطان ، فكانت نقمة وشرا .

ولو ضم إلى هذا ما فعله المسيحيون بالمسلمين في البلاد التي اجتاحتها الحروب الصليبية وبالمسلمين الأسبان بعد سقوط غرناطة ، وما فعله الاستعمار المسيحي بأقطار المسلمين لظهور بجلاء أن المسيحية التي هي أساسا كما جاء بها المسيح دين الرحمة كانت تستعمل بابا من العذاب وجحيما من التنكيل وحشدا من الغل والكرامية والحقد .

١٢ - ويبدو أن التعذيب والتنكيل وإراقة الدماء قديم في المسيحية الرسمية التي أصبح لها السلطان باعتراف أباطرة الرومان لها ، فنذ انعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م وتقريره ألوهية المسيح وإدانة آريوس المتوحد الذي كان يعارض هذا الادعاء لقوله ببشرية المسيح فقط ، فقرر المجمع طرد آريوس

(١) المرجع السابق .

وإحراق كتاباته وتحريم اقتنائها ، ونخلع أنصاره من وظائفهم الكنسية ونفيهم والحكم بإعدام كل من أخفى شيئاً من كتابات أريوس وأتباعه ، وانتهى الأمر بقتل أريوس نفسه .

١٣ - علق بعض النقاد على الحروب التي شنتها المسيحية دائماً ، واضطهادات الكنيسة بقوله : « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته أكل الدم ، وعلى من يعتقد أن خلاص العالم الإنساني من الخطيئة ، إنما كان بسفك الدم البشري البريء على يد المعتدى الأثيم » .

فهل يتفق هذا مع ما تدعو إليه المسيحية في أناجيلها من طلب الحب والتسامح حتى وصلت إلى القول بحب من يكرهه والتسامح مع العدو؟؟

الجواب : لا ، لأنهم ينفذون ماورد في إنجيل لوقا منسوبا إلى المسيح فضلاً عما ورد عنه في إنجيل متى كما قدمنا « أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي (١) » .

* * *

الفصل الثاني

حقائق عن الإسلام

إن حقائق الإسلام تتلخص في الآتي :

أولا : الاعتقاد بوجود الله ، وهذه الحقيقة لا يعول فيها إلا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه إلى النظر في الكون ، واستعمال القياس الصحيح ، والرجوع إلى ما حواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الأسباب والمسببات ، ليصل بذلك إلى أن للكون صانعا واجب الوجود عالما حكما قادرا .

وأن ذلك الصانع واحد لوحدته النظام في الأكوان ، وعلى العقل أن يفكر دون أي قيد عليه في الوصول إلى هذه الحقيقة الفطرية ، فعليه أن يفكر في خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار ، وهبوب الرياح على نظام يتيسر للبشر أن يستعملها في تسخير سفن البحر لمنافعه ، فضلا عما تقوم به تلك الرياح من إثارة السحاب فينزل منه الماء ، فتحيا به الأرض بعد موتها ، وتنبت ما شاء الله لها من النبات والشجر ، مما فيه رزق ما يدب على الأرض وحفظ حياته .

والقرآن في استدلاله على التوحيد لم يفارق هذا السبيل .

قال تعالى : « إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب » (١) .

وقال سبحانه :

« لو كان فيهما آفة إلا الله لفسدنا » (١) .

وقال تعالى :

« ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا ذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ، سبحانه الله عما يصفون » (٢) .

فالإسلام في قضية الوجدانية لا يعتمد على شيء سوى الدليل العقلي ، والفكر الإنساني الذي يجرى على نظامه الفطري أو ما نسميه بالنظام الطبيعي دون مؤثرات خارجية ، فلا يدهشك بخارق ولا يغشى بصرك بأطوار غير معتادة .

والاعتقاد بالله في الإسلام مقدم على الاعتقاد بالنبوات ، إذ لا يمكن الإيمان بالرسول إلا بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، لذلك فإنه لا يعقل أن يؤمن الإنسان بكتاب أنزله الله إلا إذا صدق قبل ذلك بوجود الله الذي له أن ينزل ما يشاء من كتاب أو يرسل من يشاء من الرسل .

ثانياً : حقيقة الإسلام الثانية هي رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ودعوة الناس إليها ، هذه الحقيقة هي التي يحتج فيها الإسلام بخارق العادة وهو القرآن الكريم ، فهو الذي تواتر خبره ، ولم ينقطع أثره ، فهو الكتاب الذي أملى من علم الله المحيط ، وحمله روح القدس جبريل عليه السلام حتى وصل به إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، والدليل على أنه معجزة خارقة للعادة معنوى ولفظي ، فالمعنوى اشتماله على العلم والعرفان والهداية الكاملة لصالح الأمم مع أنه جاء على لسان أمي ، واللفظي بلاغته الفائقة لبلاغة البشر ، وقوة تأثيره على القلوب ، حتى تحببت لربها ، وتستجيب لها ديماً وما كان ذلك إلا بسحر بيانه وفصاحة كلمه ومثانة أسلوبه واتساق عباراته ،

(٢) سورة المؤمنون الآية ٩١ .

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٢

حتى أدلى بعضها إلى بعض ، ونم أولها عن آخرها ، وعاد قاصيها على دانيها ، واشتبكت قوادمها بخوافيها ، فهو سلسلة محكمة كل حلقة لها بأختها صلة وأى صلة ، وهذا إذا دل فلا يدل إلا على أنه وحى من الله وحده وليس من اختراع البشر ، فقد جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتابة ولم يمارس العلوم ، وقد نزل لتأييده في دعوته ، هادياً للضال مقوماً للمعوج كافلاً لنظام عام لحياة من يهتدى به من الأمم ، متقدماً لهم من الحسran الذي كانوا فيه ، والهلاك الذي كانوا مشرفين عليه ، ولقد انتظم من العقائد الصحيحة والآداب الحميدة والأخلاق العالية والأعمال الصالحة ، ما هو كفيل بسعادة البشر في دنياهم الحاضرة ، وحياتهم الآخرة لو أنهم دانوا بما أوجب وتأدبوا بما سن ، وتخلقوا بما بين ، وعملوا بما شرع ، فهو الدواء لعلل البشر النفسية ، وأمراضهم الخلقية ومشاكلهم الاجتماعية لو أنهم تجرعوه ، وما هو بالمر المداق ، ولكنه العذب الفرات ، لمن تناوله بشمية وتقبله بنفس رضية .

قال تعالى :

(ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) (١) .

(أ) ولقد دعا الفصحاء والبلغاء أن يعارضوه بشيء فعجزوا ، ولجأوا إلى المجالدة بالسيوف وسفك دماء المسلمين ، واضطهاد المؤمنين به ، إلى أن ألجأوهم إلى الدفاع عن حقهم ، وكان من أمرهم ما كان من انتصار للحق على الباطل ، وظهور شمس الإسلام تمد عالمها بأضوائهم وتنشر أنوارها في أجوائهم .

(ب) كما دعا الناس جميعاً إلى النظر فيه بعقولهم ، وطولبوا بأن يأتوا في تفنيده بآخر ما تنتهى إليه قوتهم ، فما وجدوا طريقاً لإبطال إعجازه .

قال تعالى :

(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله) (١) .

وقال تعالى :

« أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » (٢) .

و أما أصول الإسلام فتتلخص في الآتي :

١ - الأصل الأول : النظر العقلي لتحصيل الإيمان الصحيح ، فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل لتدعن إلى سلطته .

٢ - الأصل الثاني : تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض واستحالة التوفيق بينهما ، مع الاعتراف بصحة الشرع والعجز عن فهمه ، وتفويض الأمر إلى الله تعالى بشأنه ، وإن كان مثل ذلك نادراً ، فإن الغالب بل المطرد هو إمكان التوفيق ، بتأويل النص ليتفق مع العقل كما في قوله تعالى « يد الله فوق أيديهم » حيث أولت بقدرة الله فوق قدرتهم ، لاستحالة الجارحة على الله تعالى .

وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة مهدت بين يدي العقل كل سبيل وأزيلت من سبيله جميع العقبات واتسع له المجال إلى غير حد فماذا عساذ يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب إلى ما هو أبعد من هذا ، وأى فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم إن لم يسعهم هذا الفضاء .

وهذان الأصلان من أصول الإسلام ضد الأصل الرابع والأصل الخامس من أصول النصرانية .

٣ - الأصل الثالث ، البعد عن التكفير :

فإذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ويحتمل الإيمان

من وجه واحد ، حمل على الإيمان ، ولا يجوز حمله على الكفر ، فهل رأيت أو سمعت تسامحا مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا الحكم . وهل يليق بالحكيم أو الفيلسوف أن يكون من حماقة بحيث يقول قولاً لا يحتمل الإيمان من وجه من مائة حتى يكفره المتزمتون من أهل الأديان ويحكموا عليه بالإعدام كما تقدم بيانه للعبارة والاعتراض .

٤ - الأصل الرابع : أن عهد الاعتماد على المعجزات الكونية لإثبات النبوة قد مضى بنزول القرآن ، وأن الاعتبار بما أنزله الله في أمم الأنبياء السابقين من عقاب بقيت آثاره واجبا للعبارة والاعتراض .

قال تعالى :

« قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين » (١)

وقال تعالى :

« سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنننا تحويلا » (٢) .

وقال تعالى :

« فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » (٣) .

وقال تعالى :

« أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » (٤)

عناية الأولين بفهم القرآن وتفهمه

جاء الإسلام لمحو الوثنية العربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها ، في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ، كما جاء بشرائم الله

(٢) سورة الإسراء ٧٧ .

(٤) سورة الروم ٩ .

(١) سورة آل عمران ١٣٧ .

(٣) سورة فاطر ٤٣ .

السديدة النظيفة ولا يتأتى فهم ذلك منه إلا بمعرفة اللسان العربي ، الملك قام المسلمون الأولون ببذل الأموال وركوب الأسفار وإنفاق الأعمار في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره ، توسلاً بذلك إلى فهم كتابهم المنزل ، وكانوا يعدون ذلك ضرباً من ضروب العبادة ، يرجون من الله فيه حسن المثوبة وهذا باب من التسامح لا يقدر سعته إلا أهل العلم به .

أما المسيحيون الأولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانياً كان أو عبرانياً أو آرامياً ، وكتبوا الإنجيل باللغة اليونانية ، حتى إن اسم الإنجيل نفسه يوناني . كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظهم بلغتهم ، وتخرجاً من النظر في دواوين آدابهم وما توارثوا من عاداتهم (وهذا الأصل من أصول الإسلام ضد الأصل الأول للنصرانية) .

٥ - الأصل الخامس للإسلام ، هدم السلطة الدينية :

لقد محا الإسلام أثر هذه السلطة حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم :

(أ) لم يدع الإسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه . والرسول صلى الله عليه وسلم كان مبالغاً ومذكراً لا مهيمناً ولا مسيطراً .

قال تعالى :

« فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر (١) » .

(ب) ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ويربط ، لا في الأرض ولا في السماء ، بل الإيمان يعتق المؤمن من كل رقيب فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رق إلا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما

علا شأنه ، حق على آخر مهمما انحطت منزلته إلا حق النصيحة والإرشاد .

قال تعالى في وصف المفلحين :

«وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» (١) .

وقال تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » (٢) .

فالمسلمون يتناصحون فيما بينهم ، ثم هم يقيمون أمة ، أى جماعة من العلماء تدعو إلى الخير وتردهم إلى السبيل السوى إذا انحرفت عنه ، وتلك الأمة من العلماء ليس لها عليهم إلا الدعوة والتذكير والإنذار والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس مهما كبر وعظم أن يتتبع عورة أحد ، ولا يسوغ لقوى ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد ، والمسلم ليس عليه أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد إلا عن كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد ، من سلف ولا خالف ، لكن يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من الوسائل ما يؤهله للفهم ، كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها ، وما كان عليه الصحابة زمن النبي صلوات الله وسلامه عليه من حسن الامتثال وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشيء من الناسخ والمنسوخ من الآثار ، فإن لم تسمح له حاله بالوصول إلى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب ، فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما ، وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال في أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الأعمال .

(وهذا الأصل من أصول الإسلام ضد الأصل الثانى من أصول النصرانية)

ولا يفوتنا أن ننوه بأن الإسلام عقيدة وشريعة ودولة فهو قد وضع حدوداً ورسم حقوقاً ؛ وليس كل معتقد في ظاهر أمره يجرى على قواعد الإسلام في عمله ، فقد يغلب الهوى وتتحكم الشهوة فيتعدى حدود الله ، فلا تكمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة لإقامة الحدود ، وتنفيذ القضاء بالحق وصون نظام الجماعة ، وتلك القوة لا بد أن تكون في يد السلطان أو الخليفة عن النبي .

والخليفة عن المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحي ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينبغي أن يكون مجتهداً على علم باللغة العربية وآدابها ، بحيث يتيسر له أن يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج إليه من الأحكام ، حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل ، والصحيح والفساد ، فيسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والأمة معاً .

وبناء على ما تقدم فإن هذا الخليفة أو السلطان لا يخصه الدين في فهم كتاب الله والعلم بأحكامه بمزية ، ولا يرتفع به إلى منزلة فوق البشر ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، يتفاضلون فيما بينهم بصناء العقل ، وكثرة الإصابتة في الحكم ، ثم هو مطاع ما دام على المحجة ، ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فإذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، وإذا اعوج قوموه بالنصيحة فإنه « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

ومعنى ذلك أن الخليفة إن فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب على الناس أن يستبدلوا به غيره ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة فيه ، دون أن يكون للخليفة أى سلطان إلهي . ومفهوم ذلك أن الخليفة أو السلطان ما هو إلا حاكم مدني من جميع الوجوه ، له حق السيطرة ضبطاً لأمر الناس في دنياهم ، ولا حق له في معادهم وكل ذلك في نطاق الكتاب والسنة والإسلام ، ولم يجعل للقاضي أو للمفتي أو لشيخ الإسلام أدنى سلطة على

العقائد وتقرير الأحكام ، وكل سلطة يتولاها واحد من هؤلاء فهي سلطة نظامية قررها الشرع الإسلامي ، ولا يسوغ لواحد منهم أن يدعى حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه ، أو ينازعه في طريق نظره ، فالقاضي مهمته الفصل في الخصومات التي ترفع إليه ، ووظيفة المفتي بيان المسائل التي يسأل عنها ، ولكل عالم بهذا الفن أن يرد عليه إذا أخطأ ، ولقب شيخ الإسلام كان يطلقه العلماء على بعض الممتازين في العلوم ، وأطلقته الدولة العثمانية على أكبر العلماء من الوجهة الرسمية ، وجعلت له حق اختيار قضاة الشرع والمفتين بمقتضى قانون صادر من الدولة .

ولا يتدخل الحاكم الشرعي في عقائد الناس إلا في حالة ارتدادهم عن الإسلام ، بأية صورة من الصور ، فعليه أن يستتيب المرتد ، فإن لم يتب بعد إمهاله أمر بقتله ، وعليه أن يحكمهم بموجب الشريعة ، فإن أساءوا عاقبهم وفق الكتاب والسنة .

٦ - الأصل السادس للإسلام : حماية الدعوة لمنع الفتنة :

يقول أعداء الإسلام إنه دين جهادى شرع فيه القتال في طبيعته روح الشدة على من يخالفه ، وليس فيه ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضى بهما شريعة المسيحية ، التي تقول في وصاياها (من لطمك على خدك الأيمن فحرك له الآخر ومن سخرك ميلا فاذهب معه اثنين) (١) .

ولقد دعت إلى محبة الأعداء كما في قولها (وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم احسنوا إلى مبغضيكم) (٢) .

والرد على ذلك سهل يسير ، فإن دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم الجدوى من سواه ليس خاصا بالدين الإسلامي بل هو عام في

(١) إنجيل متى إصحاح ٥ عدد ٣٩ ، ٤١ .

(٢) إنجيل متى إصحاح ٥ عدد ٤٤ .

جميع الأديان ، وكما أن الإسلام أمر بدفع الشر بمثله عند الضرورة ، فقد أمر بالعفو .

١ - فليس القتل في طبيعة الإسلام بل في طبيعته العفو والتسامح .

قال تعالى :

« خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » (١) .

٢ - والقتال في الإسلام هو لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله ، إلى أن يأمن الناس شرهم وتضمن السلامة من غوائلهم .

٣ - ولم يكن القتال في جميع عصور الإسلام للإكراه على اعتناق دينه ، ولا للانتقام من مخالف عقيدته ، ولهذا لا نسمع في تاريخ الفتوح الإسلامية ما نسمعه في الحروب المسيحية عندما اقتدر هؤلاء المسيحيون على محاربة غيرهم ، فقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال ، ولم تقع حرب إسلامية بقصد الإبادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد ، بأيدي المسيحيين كما حدث في الحروب الصليبية ضد المشرق الإسلامي ، وكما حدث ضد المسلمين في أسبانيا إثر هزيمتهم بيد الأسبان .

١ - والإسلام في فتحه للبلاد والدول كان يكتفي بإدخال الأرض المفتوحة تحت سلطانه ، ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين ، يقيمون شعائرهم كما تشاء لهم عقيدتهم ، وكل ما كلفهم به الإسلام هو دفع جزية تكون عوناً على صيانتهم ، والمحافظة على أمنهم في ديارهم ، وهم في عقائدهم ومعاييدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضايقون في عمل ، وخلفاء المسلمين كانوا يوصون قواد جيوشهم باحترام من انقطعوا في الأديرة والصوامع وعدم التعرض للنساء والأطفال ومن لم يعن على القتال .

(١) سورة الأعراف ١٩٩ .

كما تواترت السنة في النهي عن إيذاء أهل الذمة وتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« من آذى ذمياً فأنا خصمه » .

والإسلام يقول في كتابه القرآن في شأن الوالدين المشركين .

« وإن جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى » (١) .

فهو في اشتداده على من يهددون أمنه لا يقضى بالفرقة بين أب وابن ، ولا بين أم وبنت ، بل يأمر الأولاد المؤمنين أن يصحبوا الوالدين المشركين بالمعروف في الدنيا ، مع محافظتهم على دينهم .

٢ - والمسيحية عكس ذلك فإنها ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها ، تراقب أعمال أهله وتخصم دون الناس بضرور من المعاملة السيئة ، لا يحتملها الصبر مهما عظم ، حتى إذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم عن دينهم ، أجلتهم عن ديارهم ، ولا يمنع غير المسيحي من تعدى المسيحي عليه إلا كثرة العدد أو شدة العضد ، وليس ذلك غريباً عليه لأن اعتقاده مبني على ما ورد في إنجيل متى «لاتظنوا أنى جئت لألقى سلاماً على الأرض ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً» (٢) .

وما ورد في إنجيل لوقا (٣) .

« أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملاك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى » .

(١) سورة لقمان ١٥ .

(٢) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٣٤ .

(٣) الكتاب المقدس - العهد الجديد إنجيل لوقا إصحاح ١٩ عدد ٢٧ .

وأما العهد القديم فقد جاء في سفر التثنية (١) .

« وإذا أغواك سرّاً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنتك أو صاحبك الذى مثل نفسك قائلاً تذهب وتعبد آهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله » .

وجاء في سفر التثنية أيضاً (٢) .

« حين تقرب من مدينة الكنى تحاربها استدعها إلى الصالح ، فإن أجابتك إلى الصالح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك ، وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها ، وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحمد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما فى المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمته أعدائك التى أعطاك الرب إلهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبق نسمة ما » .

وجاء في إنجيل لوقا :

« وكان جموع كثيرة سائرين معه فالتفت وقال لهم إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وأمه وامراته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً » (٣) .

(١) الكتاب المقدس - العهد القديم سفر التثنية إصحاح ١٣ عدد ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٢) الكتاب المقدس - العهد القديم - سفر التثنية - إصحاح ٢٠ عدد ١٠ إلى ١٦ .

(٣) الكتاب المقدس - العهد الجديد - إنجيل لوقا - إصحاح ١٤ عدد ٢٥ ، ٢٦ .

الأصل السابع : الإحسان وأداء الحق لمن يخالفنا في العقيدة :

وهذا الأصل ضد الأصل السادس للنصرانية .

أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها ، والقيام بفروض عبادتها والذهاب إلى كنيستها أو بيعتها رغم أنها قريبة بنفسه وأميرة بيته ، وأم بنيه وبناته . فلم يفرق الإسلام في حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية ، فكلتاها يندرج تحت قوله تعالى :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم « من آذى ذميا فقد آذاني » .

والهدف الذي توخاه الإسلام وأراد أن يعود القلوب على الشعور به هو أن الدين معاملة بين العبد وربّه ، والعقيدة موضعها القلوب ، فيجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب فهو الذي يحاسب عليها ، وأما المخلوق فغاية ما يطلب إليه إن كان عارفاً بالحق أن ينبه الغافل ويعلم الجاهل وينصح الغاوى ويرشد الضال ، ولا يكفر في ذلك نعمة العشير ، ولا يسلك به مسالك التعسير ، ولا يخالف سنة الوفاء ، ولا يحيد عن شرائع الصدق في الجسوار .

ويقول بعض النصارى : إذا كان الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية مع التباين في العقيدة ، فلماذا لم يسمح للكتابي أن يتزوج بالمسلمة ؟ والرد على ذلك أن الرجال بطبيعتهم أقوى من النساء فليس من العدل ولا الرحمة أن يسمح لقوى يحته دينه على كراهة زوجته الضعيفة التي تخالفه

في دينه كما رأينا آنفاً في إنجيل لوقا لإصحاح ١٤ ويأمره ببغضها وبغض أولاده ووالده إذا خالفوا عقيدته . ليس من العدل أن يسمح له بأن يتزوج بامرأة مخالفة له في العقيدة ، فضلاً عن ذلك فإن الكتابي يهودياً أم نصرانياً لا يبيع له دينه التزوج بالمسلمة إلا جحوداً لدينه أو فسوقاً عنه ، وإيثاراً لشهوته عليه فكيف يستقيم أمر أسرة على هذا المنوال ؟

ولهذا لم يبيع للمسلمة أن تتزوج برجل كتابي .

٨ - الأصل الثامن من أصول الإسلام ، الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ، وهذا الأصل من أصول الإسلام ضد الأصل الثالث من أصول المسيحية .

(أ) إن أوامر الإسلام ونواهيه لا تمنع المسلم عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه في ترك اللذات مافوق العادة ، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره فيما يتصدق من ماله (الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس) .

(ب) ولقد فرض الصوم على المؤمنين لكن إذا خشى منه المرض أو زيادته ، أو زادت المشقة فيه جاز تركه ، بل قد يجب إذا غلب على الظن الضرر فيه ، كذلك الحال إن خشى من استعمال الماء في الوضوء والاعتسال بسبب مرض أو ضرر أو مشقة جاز التيمم ، وكذلك الحال في باقي العبادات ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتب الفقه المختلفة .

(ج) ولقد أباح الإسلام لأهله التجميل بأنواع الزينة والتوسع في التمتع بالمشتهيات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية والوقوف عند الحدود الشرعية ، والمحافظة على صفات الرجولة .

قال تعالى :

« يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا

إنه لا يجب المسرفين * قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون « (١) .

(د) وضع الإسلام قانوناً للإنفاق وحفظ المال .

قال تعالى :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً » إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً « (٢) .

وقال أيضاً سبحانه :

« ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً » (٣) .

(هـ) والإسلام طلب من المؤمن ألا يغلو في طلب الآخرة فيهلك دنياه وينسى نصيبه منها ، فذكر في كتابه ، وهو القرآن الكريم ، أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله التي أباحها لنا في الدنيا .

قال تعالى :

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين » (٤) والنتيجة من كل ذلك أن الإسلام جمع بين مصالح الدين والدنيا فجعل المسلم من أهل الدنيا ، كما هو من أهل الآخرة ، واستبقاه من أهل هذا العالم الجسداني كما دعاه إلى أن يطلب مقامه الروحاني .

(١) الآيات من سورة الأعراف ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) سورة الإسراء ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) السورة السابقة ٢٩ .

(٤) سورة القصص ٧٧ .

الفصل الثالث

تخارييف الرهبان والمعجزات التي تزعمها
الكنائس لصحة العقيدة المسيحية - أو النصرانية
وبعض الفضائح عن بعض رؤساء الملة المسيحية

زعم النصارى أن في ديانتهم أموراً تزكي عقيدتهم ولكنها على عكس
ذلك تكشف (١) عن تخارييفهم وإليك بعضاً منها طبقاً للآتي :

١ - زعموا أن الكلمة الأزلية نزلت إلى الأرض فولجت فؤاد
امرأة وسكنت بطنها تسعة أشهر تتغذى بدم حيضها ، ثم تصورت وخرجت
من فرجها إنساناً ، فتردد في الأرض بين الناس ، وناله ماينال الأطفال من
تقلب الأحوال ، إلى أن بلغ بين الأطفال مبلغ الرجال ، لا يظهر له فيها أثر ،
ولا ينقل عنه خبر ، فلما شرع يشهر نفسه ويظهر قدسه ، وثب عليه طائفة
من عبيده فكذبوا فمه ، وسفكوا دمه ، وقتلوه عياناً ، وصلبوه عرياناً ،
وكل ذلك لتخليص البشر من الجحيم ، وتخصيصهم بالنعيم المقيم (٢) .

فكانه على زعمهم عجز عن خلاص عباده وهو معافي ورام سلامتهم
فقتل وصلب .

٢ - ومنها كما يروى لإنجيل لوقاً وإنجيل يوحنا أن إلههم صلب مع
اللصوص ، ودفن بين الأموات لكنه قام في اليوم الثالث ، وصعد إلى

(١) المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الإنجيل تأليف الشيخ أبي الفضل المالكي السعودي

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح الأول والإصحاح ١٩ - وإنجيل لوقا إصحاح ٢٣ .

السء وحل فيها (١) مع أنه لم يرد بهذين الإنجيلين أو لإنجيل مرقص أن المسيح قال قبل قتله أنه سيقوم في اليوم الثالث (٢) .

٣ - وذكروا أن إبليس احتمال المسيح ورفعته إلى جبل عال ، وأراه الدنيا بأسرها وقال . هذا كاه لي وأنا أعطيكه إن خررت لي ساجداً (٣) فكيف يستقيم ذلك مع قولهم إن المسيح رب إبليس ورب كل شيء ، ثم يطمع إبليس أن يكون إلهاً لذلك الإله ويحاول أن يغيره ليسجد له ، إنها لسذاجة دونها سذاجة الأطفال .

٤ - تركوا سنة الختان ، وجعلوه معصية مع أنه شرع لا يسع المكلف خلافة بنص التوراة ، انظر سفر التكوين عما قاله الله لإبراهيم « هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم ، وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر (٤) » .

وبنص الإنجيل يتضح أن المسيح ختن وهو طفل « ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع (٥) » .

حاول النصارى من قديم دعم ديانتهم ببعض الشواهد المفتعلة ، لشد انتباه معتنقيها على أنها خوارق ومعجزات عندهم ، وإليك بعضاً منها فيما يلي .

١ - كانت هناك كنيسة في بعض البلدان تحج إليها بعض فرق النصرانية يزعمون أن يد الله تخرج إليهم من الستر فتصافحهم في يوم من السنة ، فبلغ بعض رؤساء تلك الدولة فذهب إلى الكنيسة في ذلك اليوم المحدد ، وعندما ظهرت اليد المزعومة قربه القسيس إليها ليقبلها ، وعندئذ أمسك بها فصاح

- (١) إنجيل يوحنا إصحاح ٢٠ - وإنجيل لوقا إصحاح ٢٤ .
- (٢) كتاب حديث الأيام في قصة الموت والقيام للأستاذ محي الدين سعيد البغدادي .
- (٣) إنجيل متى - إصحاح ٤ عدد ٨ وما بعده .
- (٤) سفر التكوين - إصحاح ١٧ عدد ١٠ .
- (٥) إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢١ .

عليه القسس والرهبان وقالوا : الساعة تحسف الأرض وتنزل الصواحق على رؤوسهم ، ولكنه أصر على أن يرى وجه صاحبها ولما لم تجتمعه أقوالهم وتهديداتهم كشفوا له عن وجه صاحبها ، فإذا هو أسقف منهم كان يختبئ وراء الستر .

٢ - كانت لبعض فرق النصارى كنيسة في بلاد المغرب ، وجعلوا في قبتها صليباً من حديد وأوقفوه بالهواء بغير علاقة ولا دعامة ، وكانت شعوب النصرانية هناك تحج إليها لتشاهد معجزة الصليب ويتعجبون من تلك الآية ، ولما استحوذ الإعجاب على بعض ملوكهم تباهى بهذه المعجزة على بعض خاصته من اليهود ، فذكروا له أن في جهات الصليب الأربع قطعاً كبيرة من المغناطيس مخبأة في الجدران ، وفي سقف القبة وأرض الكنيسة فهي التي أوجبت قيامه ، ومنعته من السقوط ، فحضر ذلك الملك إلى الكنيسة في وقت كانت نخالية من زوارها ، وأمر بالكشف عن تلك المكعبات الممغنطة ، وبمجرد محاولة العيث بها اضطرب الصليب حتى خشى سقوطه ، فقفل راجعاً ذلك الملك بعد أن تكشفت له خديعتهم .

٣ - كما كانت لهم هناك في بلاد المغرب كنيسة ، توجد بها ثريا معلقة ينزل إليها نور من فوق فتضيء في وقت معين من السنة يعظمونه ويفخمونهم ، ولما علم بها بعض حكامهم توجه إليهم ، فاكشف أنها تشتعل بحيلة أساقفتها ، ذلك أنهم مدوا من أحد الجدران أنبوبة حديد مجوفة ، تنهى إلى الثريا ، فإذا جاء الوقت المحدد أرسلوا نار النفط في تلك القصبية فتخرج بسرعة فتشتعل الثريا في الحال .

٤ - ومنها أنهم كانوا يزعمون أن السيدة مريم أم المسيح تنزل من السماء على دار المطران بطليطلة في يوم معروف في السنة ، بكسوة تلبسه إياها ، وهم لا يشكون في صحة هذه الأسطورة مع أنه كان من المفروض ما دامت في زعمهم أما لابن الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - أن

يصونها عن التبذل لرجل من جذبها أجنبي عنها ، ويرسل إليه الكسوة بمعرفة آية وسيلة أخرى . علماً أن عمليات التمويه والسحر من الأمور التي أتقنها هؤلاء استغفالا لرعاياهم وابتزازاً للأموات .

٥ - في بيت المقدس عندما كان يحل عندهم عيد النور يجتمعون في كنيسة هناك فإذا اكتمل عقدهم ، نزلت نار من تجويف القبة فتتعاق بذبالة القنديل فتشتعل بسرعة ، وهنا تكثر الأصوات وتعج بالدعاء والابتهاج ولا يشكون في أنها آية نزلت من السماء ، مع أن الحقيقة أنها حياة رجل يختبئ في أفرز القبة من الداخل ، فإذا كان الوقت وقرىء الإنجيل أرسل الرجل المذكور قبساً من نار النفط ، فجرت على خيط مدهون بدهن البلسان فيتقد ، ولو كان نوراً كما يزعمون لم تنقد القناديل ، إذ صفة النور الإشراق أما النار فصفتها الاحتراق .

٦ - كانت هناك كنيسة في بعض بلاد الروم مشهورة ، يحجون إليها في أحد أيام السنة ، وهناك يشاهدون صنما بها ، إذا قرىء الإنجيل بين يديه وتديبه خرج منهما اللبن فيشاهده من حضر ويحدث به من غاب ويعدها آية بينة ، ودلالة على صحة دين المسيحية وبالبحث بمعرفة أحد ملوكهم تبين له وجود طاقة لطيفة وراء جدران التمثال ، تصل منها إلى ثدي الصنم أنبوبة من النحاس ، فإذا كان يوم العيد فتحها وصب فيها لبنا فيخرج من ثدي الصنم ويسقط نقطة نقطة على التدرج ، فلا يشك من حضر أنها آية ظهرت عند تلاوة الإنجيل وقد كشف أمر تلك الحيلة أحد رؤساء الدولة النصارى هناك وقتئذ .

٧ - كان يوجد قديماً بالقسطنطينية صنم له عيد في أحد أوقات السنة ، يحج إليه النصارى هناك من كل مكان ، وإذا تلى الإنجيل بين يديه ، يبكي الصنم بدموع غزار ، وعندما يشاهده البسطاء الحاضرون يبكون هم أيضاً بدموع غزار ، ويعججون بالضجيج والدعاء ، وقد كشف أمر هذه الخديعة أحد ملوك الدولة وقتئذ ، إذ وجد حفرة مصنوعة والصنم له تجويف ضيق

أسفله ، فإذا كان يوم العيد المحدد ، وضع أحد الأساقفة قربة ماء في الحفرة وجعل فيها أنبوبة رفيعة مستطيالة تتصل برأس الصنم ، وقد ستر الحفرة سترأ محكماً ، فإذا مسها أحد ضغطها فصعد الماء في الأنبوبة إلى رأس الصنم ، وقد حشى رأسه بقطن وعندما يثرب القطن الماء تسيل منه دمعات وتسقط من عين الصنم على التدرج .

أما عن فضائح بعض رؤساء ملتهم فإليك شرحاً عنها :

رغم أن القديس بولس الرسول يذكر في تعليمه ضرورة الزواج لمن تبوأ الرياسة الدينية إلا أن المسيحيين تركوا تلك التعاليم ، وحرّموا على رؤسائهم الروحانيين الزواج طبقاً لما يلي :

١ - ورد برسالة بولس :

« لذلك أسألمهم الله إلى أهواء الهوان ، لأن إنانهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذى على خلاف الطبيعة ، وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي ، اشتعلوا بشهوتهم بعضهم لبعض فاعلين الفحشاء ذكوراً بذكور ، ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحقق » (١) .

٢ - ويقول بولس أيضاً في رسالته إلى تيموثاوس :

« فيجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعلى امرأة واحدة » (٢) .
ويقول أيضاً بعد ذلك :

« ليكن الشمامسة كل بعلى امرأة واحدة » (٣) .

ولقد كان لمخالفة هذه التعاليم أثر سىء ، فظهر الفجور والفسق بينهم

(١) رسالة بولس إلى أهل رومية - الإصحاح الأول عدد ٢٦ وما بعده .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس - إصحاح ٣ عدد ٢ .

(٣) المرجع السابق - إصحاح ٣ عدد ١٢ .

جما طفحت به المؤلفات ، وقد ذكر مؤلف كتاب الفارياق بعضاً منها
نكتفي هنا بالنز اليسير طبقاً للآتي :

١ - استوزر البابا سرجيوس تاودورة أم ماروزيا التي تزوجت بمركيز
طوسكاني فاتصل البابا بماروزيا فولدت ولدا رباه عنده داخل قصره
بالفاتيكان .

٢ - كان البابا يوحنا الثاني عشر المسمى أكطافيانوس خليعاً ماجناً ،
فانعقد لمحاكمته مجمع حضره كثير من أمراء الألمان والإيطاليين ، وأربعون
أسقفاً وسبعة عشر كردينالا في كنيسة القديس بطرس ، واتهم بأنه فسق
بعده نساء ، ومنهن من تدعى إيتنت التي توفيت وهي نساء ، كما نسب
إليه أنه قلد مطرانية طودي لغلام كان سنه عشر سنين ، فقرر المجمع خلعه
وتنصيب البابا ليو الثامن في مكانه ، وقد قتل البابا يوحنا الثاني عشر وهو
معانق لامرأة ، وكان القاتل هو زوجها .

٣ - اختلف البابا غريغوريوس السابع مع إمبراطور النمسا إترى
الرابع ، فقرر خلعه فذهب إمبراطور النمسا إلى هذا البابا المذكور في روما ،
ولما دخل عليه وجده مختلياً بالكونتيسة ماتيايه أف كانوزا .

٤ - لما عقد البابا إينوصت الرابع المجمع ١٣ على الإمبراطور
فردريك الثاني وحكم عليه بالكفر ، رد على البابا واتهمه بالزنى والرشوة
غير مرة .

٥ - كان البابا كليمنضوس الخامس عشر يجول في فيني وليون
لجمع المال ، ومعه عشيقته دون أي حياء .

٦ - حكى البابا يوحنا الثالث والعشرون بأنه قام بسم سلفه ، وباع
الوظائف الكنسية ، وأنه كان كافراً ولوطياً معاً .

٧ - اختصر مؤلف كتاب الفارياق إحدى الحكايات ، يعف اللسان

عن ذكرها لكنه سماها : قسيس ، وكيس ، وتحليس ، وتلميس . ونحن بدورنا نعف عن ذكرها .

٨ - ذكر الحورى جبرائيل قرقماز فى كتابه (القول الصحيح فى دين المسيح) شيئاً عن مساوىء كنيسته فيما مضى فى روسيا الآتى :

« فكم وكم من أديرة يأويها الذكور والإناث ، وربك أخبر بما وراء ذلك ، فتولد منهم العدميون (أى أولاد الزنا) الذين كثر عديدهم واستفحل أمرهم أو كاد ، فانتشروا فى جميع الأنحاء عاملين على ذلك أركان الحكومة وملاشاة الدين وكل اعتقاد بالله » .

الباب الرابع

- ١ - عقيدة المسلمين في المسيح والنصرانية .
- ٢ - عقيدة اليهود في المسيح والنصرانية .
- ٣ - اختلاف الأناجيل في نسب المسيح حتى إبراهيم عليه السلام .
- ٤ - هل ولد المسيح حقاً في فصل الشتاء كما يقول النصارى الغربيون والشرقيون .

الفصل الأول

عقيدة المسلمين في المسيح والنصرانية

أولا : عقيدة المسلمين في المسيح والديانة التي دعا إليها :

١ - يعتقد المسلمون أن المسيح رسول شأنه شأن باقي الرسل السابقين ، بعثه الله إلى بني إسرائيل مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ، فديانته التي جاء بها هي التوحيد المطلق ، ولم يظالمهم بتعطيل قوة من قواهم التي منحهم الله تعالى إياها ، بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ، ولا يشكر الله تعالى حق الشكر إلا باستعمال تلك القوى جميعها فيما أعدها الله له .

والعقل من أجل القوى ، بل هو قوة القوى الإنسانية وعمادها ، والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه ، وكل ما يقرأ فيه هو هداية إلى الله وسبيل للوصول إليه (١) .

٢ - يعتقد المسلمون أيضا في خلق المسيح بدون أب وأن المسيح روح الله وكلمته ، وإضافة الروح إلى الله من إضافة المملوك للملكه والمخلوق لخالقه ، أي روح صادرة عن الله صدور المخلوق عن الخالق ، وكل أرواح البشر صادرة عن الله تعالى ، واختص عيسى في القرآن بهذه النسبة ، تشريفا له لصفاء روحه ، وأما إطلاق كلمة الله عليه ، فلأنه صادر عن الله بكلمة (كن) على غير سنن التوالد الناشئ عن لقاء الزوجين ، وليس خلقه بدون أب أعجب من خلق آدم الذي خلقه الله دون أب أو أم بكلمة (كن) وبلفظ كن خلق الله السموات والأرض فإنها من إرادة الله ، والله يقول

(١) الإسلام والنصرانية ، مع العلم والمدنية - الشيخ محمد عبده .

« إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (١) فليس عيسى هو المخلوق وحده بكلمة كن ، بل كل ما سواه خلقه الله كذلك ، وإنما خص عيسى بعبارة (كلمة الله) ليرد بها على اليهود الذين وصموا أمه بالسفاح ، فكأنه يقول لهم أنه خلق بكلمة مني فلم يحتاج إلى والد ، كما لم يحتاج خلقى للسموات والأرض إلى أصل تنشأ عنه ، فلا تعجبوا من خلقه بلا أب ، ولا تسبوا أمه من أجل ذلك ، فإن خلقه بلا أب يسير على ، فلا يحتاج إلا إلى مشيئتي وأمرى ، فيكفي في خلقه كلمة مني .

بعد هذا الذى قررناه نقول للذين يؤهلون المسيح لولادته من غير أب : ليس ميلاد المسيح من عذراء مبررا للقول بأوهيته ، وزعمكم أنه ما دام المسيح قد ولد دون أب فلا بد أن الله أبوه ، وأنه ليس من جنس الناس ، وتراهم يستندون فى ذلك إلى ما ورد بإنجيل لوقا على لسان الملاك جبريل عندما بشر السيدة مريم بولادته :

« الروح القدس يحل عليك ، وقوة العلى تظلك فلذلك أيضا القدوس المولود منك يدعى ابن الله » (٢) .

ولا شك أنهم مخطئون فيما زعمود ، فان خلقه بدون أب أمر هين بجانب قدرة الله سبحانه وتعالى ، ولا يرفع من قدر عيسى إلى مقام الألوهية ويسلخه من جنس الآدمية ، ذلك أن المتتبع لدورة الخلق يرى أن الله سبحانه وتعالى قادر على كل شىء .

١ - فأدم أبو البشر عليه السلام خلقه الله رجلا كاملا من تراب الأرض ، ولم يتوسط فى خلقه بشر ودون أن يمر بدور الطفولة .

ويقول سفر التكوين عن خلق آدم « وجبل الرب الإله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية » (٣) .

(١) القرآن الكريم سورة يس ٨٢ .

(٢) إنجيل لوقا - إصحاح ١ عدد ٣٥ .

(٣) سفر التكوين - إصحاح ٢ عدد ٧ .

كما قرر القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى :

« أولاً يذكر الإنسان أننا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً » (١) .

٢ - وكذلك حواء زوجة آدم أبى البشر خلقت من آدم وهو ذكر وذلك بلا أنثى تتوسط هذا الخلق ، امرأة كاملة التكوين نامية الجسم والعقل دون أن تمر بدور الطفولة والمراهقة التى تمر بها سائر الفتيات .

٣ - أما المسيح عليه السلام فقد خلق طفلاً رضيعاً تربى في حجر أمه ، حتى أصبح شاباً ثم كهلاً مع مر الأيام والشهور والسنين ، وقبل ذلك كان جنيناً في بطن أمه ٩ أشهر كاملة ، فإذا كان النصارى يزعمون أنه قد صار إليها لولادته من أم دون أب فأدم وجد دون أب ولا أم وكان خليقاً طبقاً لمنطق النصارى أن يكون أخرى بالألوهية من المسيح الذى خلق من أم فقط ، ولا أحد من الناس ادعى ألوهية آدم عليه السلام لهذا السبب ولا لغيره .

وإلى هذا يشير القرآن الكريم لافتنا الأنظار إلى ذلك بقوله تعالى .

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » (٢) فإذا كان الله سبحانه قادراً على خلق إنسان من غير أب ولا أم ، ومن مادة ليس من شأنها أن يتكون منها إنسان حتى ، فأولى أن يكون قادراً على خلق إنسان من غير أب ومن أم هى إنسان يلد ويحيا ويموت ، وهى وعاء لحياة الإنسان وهو جنين .

٤ - ولقد عاش المسيح منذ ميلاده حتى وقت بعثته في سن ٣٠ سنة ، إنساناً عادياً وخطاً حادثاً ميلاده الفريد ونطقه في المههد لم يحدث له طوال تلك الفترة حادث يرفعه عن مرتبة الآدميين ، أو يشتم منه خروجه عن

(١) سورة مريم - ٦٧ .

(٢) سورة آل عمران - ٥٩ .

فطرة البشر العاديين ، أو حتى بلوغه مرتبة الأنبياء أو الأولياء ، ولو تصورت السيدة مريم أو زوجها يوسف النجار وأقاربها أن في يسوع شيئاً ينأى به عن مرتبة البشر لما أعادت هي وزوجها الاتصال ببعضهما لإنجاب المزيد من الأبناء إخوة يسوع ، ولنفرت من زوجها يوسف ، ولترفعت عنه بوصفها أم إله وليست أم إنسان ، وأم الإله لا تلد الأناسى ولا تعاشر الرجال ولا تنجب الأطفال ، ولكن مريم الإنسانية أم يسوع الإنسان عاودت الحمل والولادة من زوجها ، وأنجبت له بنين وبنات كانوا قررة عين والديهم (١) .

وقد ذكر إنجيل مرقس بياناً عن إخوة المسيح من أمه « ولما كان السبت ابتداءً يعلم في المجمع وكثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين من أين لهذا هذه ، وما هذه الحكمة التي أعطيت له حتى تجرى على يديه قوات مثل هذه ، أليس هذا هو النجار ابن مريم وأخوه يعقوب ، وبوسى ويهوذا وسمعان ، أو ليست أخواته ههنا عندنا فكانوا يعثرون به » (٢) .

٥ - ويقول الأستاذ عوض سمعان وهو من كتاب النصارى الحاليين : (٣)

« إن المتفحص لعلاقة الرسل والحواريين بالمسيح ، يجد أنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه إنسان ، ولم يتصوروا على الإطلاق أنه إله ، ولكن لماذا ؟ لأنهم أى الرسل والحواريين كيهود كانوا يعلمون تمام العلم ، أن الاعتراف بأن إنساناً هو الله يعتبر تجديفاً يستحق الرجم في الحال ، ولأنهم كيهود أيضاً كانوا يستبعدون أن يظهر الله في هيئة إنسان ، نعم كانوا ينتظرون المسيا بالنسبة إلى أفكارهم التي توارثوها عن أجدادهم ، فلم يكن سوى رسول ممتاز يأتيهم من عند الله ، وليس هو ذات الله » .

ومن ذلك يتبين بوضوح هذا المسيحي ، والذي هو من نصارى هذه

(١) كتاب (المسيح إنسان أم إله) للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) إنجيل مرقس - إصحاح ٦ عدد ٢ ، عدد ٣ .

(٣) كتاب (الله . . طرق اعلانه عن ذاته) للأستاذ عوض سمعان .

الأيام القول الفصل في أن الحواريين والتلاميذ لم يؤطوا المسيح ، ولا اعتبروه فوق مرتبة البشر ، لذلك كان من التجوز نسبة أى كلام يتضمن القول بتأليه المسيح إلى أحد من تلاميذه ، أو إلى أحد حواريينه ، وأن مثل هذا الكلام وضع بعد انقراض جيل الحواريين وجيل هؤلاء التلاميذ .

٦ - أما عن الدين فإن دين الله واحد في الأولين والآخرين لا تختلف إلا صورته ومظاهره ، وأما روحه وحقيقته فواحدة ، وهى التى نادى بها الأنبياء والمرسلون جميعا ولا تتغير ولا تتبدل ويمكن تلخيصها فى الآتى :

(أ) إيمان بالله وحده ، وإخلاص له فى العبادة .

(ب) تعاون الناس بعضهم لبعض فى الخير وكف أذاهم عن الشر ما قدروا .

وإن دين الإسلام بوصفه الدين الذى منحه الله للبشرية بعد وصولها إلى مرتبة الكمال الخلقى والعقلى جاء ليجمع البشر كلهم على اختلاف أجناسهم وتباين ألوانهم على هذه الأصول السابق الإشارة إليها .

لذلك قرر الإسلام أول ما قرر فى العقيدة وحدانية الإله المنزه عن صاحبة والولد ، فالله وحده هو الحى الذى لا يدركه الفناء ، القيوم الذى له الهيمنة والتدبير والقيام على شئون الخلق بالإيجاد والتربية الجسمية والعقلية والإعزاز والإذلال ، مع العلم المحيط بكل شئ والتارة النافذة القاهرة . وجميع الأنبياء والمرسلين يشهدون ويقرون بالوحدانية بما فيهم المسيح نفسه ، قال تعالى « وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله

رب وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فلأنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم . قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم . لله ملك السموات والأرض وما فيهن ، وهو على كل شيء قدير «(١)» .

ولقد ورد في إنجيل مرقص ما يؤيد دعوة المسيح إلى الوحدانية صراحة عندما جاءه أحد الكتبة « سأله أحد الكتبة : أية وصية هي أول الكل فأجاب عيسى : إن أول الوصايا هي : اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد ، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك ، هذه هي الوصية الأولى ، وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك ، فقال له الكاتب : جيدا يا معلم بالحق قلت ، لأن الله واحد وليس آخر سواه «(٢)» .

وكان موقف الإسلام من عقائد أهل الكتاب السابقين موقف المصحح لهم في عقيدتهم ، ولم يكن موقف الناقل المستعير ، لذلك كانت دعوته في الألوهية دعوة إلى تنزيه الإله الواحد من لوثة الشرك . وأنه منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب . منزه عن التشبيه الذي تسرب من الوثنية إلى الأديان الكتابية ، وبصفة عامة كان الإله الذي يؤمن به المسلمون ، هو إله واحد أحد ، منزه عن كل نقص ، متصف بكل صفات العزة والكمال ، أما عن المسيح فهو بشر رسول ، أرساه الله مثل باقي الأنبياء السابقين عليه .

(١) سورة المائدة - ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ .

(٢) إنجيل مرقص - إصحاح ١٢ عدد ٢٨ وما بعده .

قال تعالى :

« وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والأرض كل له

قانتون » (١)

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن

فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين » (٢) .

فشأن عيسى عند الله حيث خلقه من غير أب كشأن آدم حيث خلقه

من غير أبوين ، وكما قدمنا آنفا كان شأن آدم أعجب ، حيث خلقه من

تراب يابس ، فمن آمن بقدرته تعالى في خلقه آدم من تراب كيف لا يؤمن

بقدرته تعالى في خلقه عيسى من غير أب؟ ثم انظر إلى قوله تعالى بعد ذلك

في نفس السورة :

« ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس

كونوا عبادي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب

وبما كنتم تدرسون . ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم

بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون » (٣) .

ثم قال بعد ذلك :

« أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها

وإليه يرجعون . قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل

وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم

لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون . ومن يبتغ غير الإسلام ديننا

فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » (٤) .

وفي هذه الآيات الأخيرة يبرز سبحانه وتعالى في كتابه العزيز وحدة

(١) سورة البقرة - ١١٦ .

(٢) سورة آل عمران ٥٩-٦٠ .

(٣) سورة آل عمران ٧٩-٨٠ .

(٤) سورة آل عمران ٨٣-٨٥ .

الدين عند الله وعلى لسان رسله جميعا ، وأن الإسلام هو الدين عند الله وأن من يبتغي غيره ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .

وتأيد ذلك بقوله تعالى في سورة أخرى .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون . وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون . ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين » (١) .

وقد أسرف المسيحيون في شأن المسيح زاعمين أنه أحد الأقانيم من الثالوث المقدس : الأب والابن والروح القدس .

فجاء القرآن مصححاً هذا الخطأ مبيناً أن عيسى لم يكن إلا من آل عمران الذين اصطفاهم الله من بين من اصطفى ، وأن ولادته لم تكن إلا تنفيذاً لإرادة الله الذي يصور الناس في الأرحام كيف يشاء ، الذي له سنن عرف منها ما عرف وجهل منها ما جهل ، والذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . وهذا شأنه في خلق السموات والأرض عامة ، وفي خلق آدم ، وفي خلق يحيى بن زكريا والمسيح بن مريم خاصة .

قال تعالى :

« هو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون ، قوله الحق » (٢) .

وقال تعالى :

« إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين » (٣)

(١) سورة الأنبياء ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) سورة الأنعام ٧٣ .

(٣) سورة آل عمران ٣٣ .

وقال تعالى :

« يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ،
إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ،
فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد
سبحانه أن يكون له ولد . له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله
وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ،
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا . فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفئهم أجورهم ويزيدهم من فضله ، وأما الذين
استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا
ولا نصيرا» (١) .

وما ذكره الله في شأن خلق السموات والأرض وخلق آدم ويحيى
ابن زكريا ، هو عين ما ذكره في شأن خلق عيسى - وجدت السموات
والأرض إنشاء وإبداعا ، ووجد يحيى بن زكريا على كبر من أبيه ويأس
من أمه ، وبشرت الملائكة زكريا بيحيى عليهما السلام وتعجب زكريا
من هذه البشارة مع حالته الضاربة في الشيخوخة ، فرده الله إلى مشيئته
سبحانه وتعالى .

قال تعالى :

« قال كذلك الله يفعل ما يشاء » (٢)

وهكذا كان شأن عيسى ، وجد من غير أب بمشيئة الله وبشرت
الملائكة به أمه بامر الله ، وعجبت مريم لهذه البشارة .

قال تعالى فيما قصه عنها :

« قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر » (٣) .

(١) سورة النساء ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) سورة آل عمران ٤٠ .

(٣) سورة آل عمران ٤٧ .

فردها سبحانه وتعالى إلى مشيئته بقوله :

« قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون » (١)

أما الخوارق التي ظهرت على يد عيسى فلم تكن إلا من الله ، فهي من سنته في تأييد رساله بالمعجزات الدالة على أنهم عباد علمهم الكتاب والحكمة ؛ وأن الله أرسله إلى بني إسرائيل بآيات من ربه .

قال تعالى :

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين . قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ، ورسولاً إلى بنى إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين . ومصداقاً لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون . إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين . ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » (٢) .

ومما تقدم يتضح أن المسلمين يعتقدون أن المسيح رسول من الله أرسل إلى بنى إسرائيل خاصة فقط ، وبعد أن كشف القرآن للذين أسرفوا فى شأن

(١) سورة آل عمران ٤٧ .

(٢) سورة آل عمران ٤٥-٤٤ .

المسيح شبهتهم التي ضلوا بها عن حقيقة التوحيد وعن حقيقة الدين عند الله ، يسلك معهم سبيلاً آخر فيأمر الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم بأن يتقدم إليهم في ثقة بنفسه واطمئنان إلى دعوته ، فيدعوهم إلى المباشرة ، وهي أن يجتمعوا جميعاً مع محمد صلوات الله وسلامه عليه وجماعته في صعيد واحد ويستمطر الكل لعنة الله على الكاذب من الفريقين .

قال تعالى :

« إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون . الحق من ربك فلا تكن من الممترين .. فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين» (١) .

وروى أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم لما أورد الدلائل على نصارى نجران على عبودية عيسى لله وأنه لا يخرج عن كونه من البشر أصروا على جهلهم ، فقال عليه الصلاة والسلام : إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحججة أن أباهلكم فقالوا : يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك . فلما رجعوا قالوا للعاقب - وكان ذا رأيهم : ما ترى ؟ فقال : والله لقد عرفتم نبوته وقد جاءكم بالفصل في أمر صاحبكم ، والله ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا ، وإن أبيتم إلا إلف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضناً الحسين وأخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلى رضى الله عنه خلفهما وهو - أى النبي عليه الصلاة والسلام - يقول « إذا أنا دعوت فأمنوا » .

فقال أسقفهم : يا معشر النصارى إنى لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا ، فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألبي حلة حمراء وثلاثين درعاً من حديد .

فقال عليه الصلاة والسلام « لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر » .
ويقول الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي عن هذه الواقعة أنها دلت على وجهين (١) :

الأول : أنه صلى الله عليه وسلم خوف نصارى نجران بنزول العذاب عليهم ولو لم يكن واثقاً بذلك لكان ذلك منه سعيماً في إظهار كذب نفسه ، لأنه لو باهل ولم ينزل العذاب ظهر كذبه ، ومعلوم بأنه كان أعقل الناس فمن غير المعقول ولا يليق به أن يعمل عملاً يفضي إلى ظهور كذبه ، فلما أصر على ذلك علمنا أنه إنما أصر عليه لكونه واثقاً بوعد الله ، لأنه صادق في دعوته .

ثانياً : أن طائفة النصارى المشار إليها كانت تبذل النفوس والأموال في المنازعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو لم يعرفوا أنه نبي لما تركوا مباهلته . اهـ .

١ - وهكذا كما تحدى القرآن المشركين أن يأتوا بمثله وهم أرباب اللسان والبيان .

٢ - تحدى المسرفين في شأن المسيح بهذه المباهلة السهلة الهينة لو كانوا صادقين فلم يقدرُوا عليها .

٣ - ثم تحدى التاريخ في كل ما قصه في شأن عيسى بقوله في نفس سورة آل عمران « إن هذا هو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله هو العزيز الحكيم . . فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين » (٢) .

وبعد هذا يتجه القرآن إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أمره في السورة المشار إليها بأن يوجه إليهم جميعاً دعوة المنتصر في حقه القوى في برهانه

(١) كتاب إظهار الحق تأليف الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي .

(٢) سورة آل عمران ٦٢، ٦٣ .

الحريص على خير المخالف له وسعادته مناشداً إياهم أن يفعلوا ما يقرهم إلى الله تعالى ويخفف من غطرستهم وغلواهم قال تعالى : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (١) .

ثم حسم الموقف بالنسبة لحاطهم ودعواهم الألوهية للمسيح ، فحكهم في سورة المائدة بكفر من يقول إن الله هو المسيح ، أو من يقول إن الله ثالث ثلاثة . ثم قرر أن المسيح ماهو إلا رسول شأنه شأن الرسل الذين سبقوه يخضع لله بصفة العبودية ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ، أى كانا محتاجين إلى القوت وإلى القوى التى لا بد منها فى هضمه ، وإحاطته إلى ما به قوام الجسم والحياة ، وإلى التخلص من فضلاته لأن من أكل الطعام احتاج إلى إخراج رواسبه ، ومع هذا النقص هل يعقل الاعتقاد بأنه إله أو أنه هو وأمه إلهان .

قال تعالى فى سورة المائدة :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً والله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير . وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير . . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شىء قدير » (٢) .

وقال تعالى بعد ذلك فى نفس السورة :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يابى

(١) سورة آل عمران ٦٤ .

(٢) المائدة ١٧-١٩ .

إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار» (١) .

ثم قال تعالى بعد ذلك في السورة السابقة :

« لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينهوا عما يقولون نيمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم . . أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم . . ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون . . قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم . قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل» (٢) ثم ناقش القضية عقلياً فقال تعالى في سورة (المؤمنون) « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله ، إذاً للذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون» (٣) .

وقال تعالى حاكياً عن المسيح عندما تكلم في المهدي مقررراً أنه عبد الله ونبيه . « قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً » (٤) .

ولقد توعد سبحانه الكافرين من أهل الكتاب والمشركين بنار جهنم يدخلونها خالدين فيها بعد أن غيروا وبدلوا في عيسى حتى جعلوه إلهاً أو جزء إله أى أقنوماً من ثلاثة أقانيم فهم والمشركون سواء في نار جهنم ، والحال كذلك بالنسبة لليهود الذين زعموا أن عزيزاً ابن الله ، فهم والنصارى والمشركون سواء .

(١) سورة المائدة ٧٢ .

(٢) سورة المائدة ٧٣-٧٧ .

(٣) سورة المؤمنون ٩١-٩٢ .

(٤) سورة مريم ٣٠ .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم
ويكافئهم .

وقد حكى القرآن عن المسيح أنه بشر بنى إسرائيل بنى الإسلام (١)

« وإذ قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما
بين يدي من التوراة ومبشراً يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم
بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (٢) .

لذلك يعتقد المسلمون أن اختفاء إنجيل عيسى كان عملاً مقصوداً ،
لأن إنجيل عيسى قريب الصلة بالقرآن ، كما يعتقدون أن اختفاء هذا الإنجيل
مهد للتزويد والحذف والتحريف في تعاليم الديانة المسيحية ، فانهارت أسسها
وضاعت معالمها كديانة سماوية .

ويعتقد المسلمون أن اليهود أرادوا قتل المسيح ، ولكن الله نجاه من القتل
والصلب . قال تعالى حاكياً عن اليهود :

« وقولهم إن قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وماقتلوه وماصلبوه
ولكن شبه لهم » (٣) .

ولكن الخلاف بين المسلمين هو : ماذا كانت نهاية عيسى بعد النجاة من
الصلب والقتل؟ هل رفع إلى السماء حياً بحسبه وروحه ، أم أنه استوفى
أجله على الأرض وهو مختلف ثم مات حيث شاء الله .

(١) كتاب محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن - للمؤلف .

(٢) سورة الصف ٦ .

(٣) سورة النساء ١٥٧ .

- ١ - هناك رأى لبعض العلماء الإسلاميين يقول إن عيسى استوفى أجله على الأرض وهو محتف ثم مات حيث شاء الله ورفعت روحه إلى بارئها .
- ٢ - وهناك رأى آخر لبعض العلماء المسالمين يرى أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه وروحه .

ويدلل أصحاب الرأى الأول بقوله تعالى :

« إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى » (١) فالتوفى هنا الإماتة العادية طبقاً لظاهر الآية ، وأما قوله رافعك إلى فهو رفع الروح ، لأنه يكون بعد الموت .

١ - وقد ذكر ذلك الأستاذ الإمام محمد عبده ، وقد أضاف السيد محمد رشيد رضا دراسة جديدة ، هى أن مسألة الرفع بالجسم والروح هى فى الحقيقة عقيدة النصرارى ، وقد استطاعوا بحيلة أو بأخرى دفعها تجاه الفكر الإسلامى ، كما استطاعوا إدخال كثير من الإسرائيليات والخرافات ، فليس فى القرآن نص صريح على أن عيسى رفع بروحه وجسده إلى السماء ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ويحكم فى الأرض ، وإذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلح العالم فمن السماء أن يصاحبه على يد أى مصلح وفق القرآن الكريم ، ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أى أحد من الأنبياء السابقين .

٢ - كما يقرر فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أن الأحاديث النبوية المتعلقة بنزول عيسى هى أحاديث آحاد وليست متواترة ، ولم تشتمر قط إلا بعد القرون الثلاثة الأولى للهجرة .

كما يقرر بأن أحاديث نزول المسيح إلى الأرض يخشى أن تكون من دس النصرارى وكم دسوا فى الإسلام حيث كان يوحنا الدهشقى فى بلاط

بنى أمية في عصر التابعين يؤلف الجماعات السرية التي تدس الآراء والأفكار التي من شأنها أن تفسد عقائد المسلمين .

وأن نص الآية الكريمة « فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم » صريح في أنه توفي ، وواضح من قوله تعالى أنه غاب عنهم وأن ذلك الغياب كان بالوفاة ، كما أن قوله تعالى « إني متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة » فسرها الفخر الرازي بقوله : إني متوفيك أي منهي أجلك ورافعك أي رافع مرتبتك ورافع روحك إلى .

كما أن الألويسي في كتابه روح المعاني يذكر أن (إني متوفيك) معناها قابض روحك حتف أنفك، وأن الرفع في رافعك هو رفع معنوي، لذلك فإنه يقول إن نصوص القرآن لا تلزم المسلمين بالاعتقاد بأن المسيح رفع إلى السماء بجسده، وأما أخبار عودة المسيح إلى الأرض فما ورد عنها كان أحاديث آحاد يريد أن العقائد لا تثبت إلا بالمتواتر وهذه من العقائد فلهذا لا بد من النص القرآني الذي لا يحتمل التأويل أو الحديث المتواتر الذي لا يحتمل التأويل . وأما واقعنا القتل والصلب فإن القرآن نفاهما عن المسيح (١) في قوله تعالى في سورة النساء « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » وفي قوله تعالى « وما قتلوه يقيناً . بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً » (٢) .

٣ - كما قرر الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر السابق أنه ليس في القرآن نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسده وروحه، وعلى أنه حي الآن بجسده وروحه ، والظاهر من الرفع أنه رفع درجات عند الله ، كما قال تعالى في إدريس عليه السلام « واذكر

(١) ندوة لواء الإسلام في بحث (هل رفع المسيح حيا إلى السماء) العدد الرابع السنة ١٧

ذو الحجة سنة ١٣٨٢ - ٢٥ إبريل سنة ١٩٦٣ .

(٢) سورة النساء ١٥٧-١٥٨ .

فى الكتاب إدرىس إنه كان صديقاً نبياً ، ورفعهناه مكاناً عالياً « (١) فحياة عيسى حياة روحية كحياة الشهداء وحياة غيره من الأنبياء .

وقد ذكر صاحب كتاب (فى ظلال القرآن) عتد تفسير الآية المشار إليها . (لقد أرادوا قتل عيسى وصلبه ، وأراد الله أن يتوفاه وفاة عادية ففعل ، ورفع روحه كما رفع أرواح الصالحين من عباده ، وطهره من مخالطة الذين كفروا ، ومن البقاء بينهم وهم رجس وذنس) .

٤ - ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق :

إن كلمة (توفى) وردت فى القرآن الكريم كثيراً بمعنى الموت حتى صار هذا المعنى هو الغالب عليها المتبادر منها .

قال تعالى :

« إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك » (٢) .

وقال تعالى :

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم » (٣) .

وقال تعالى :

« إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم » (٤) .

« ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » (٥) .

(١) سورة مريم ٥٦ ، ٥٧ .

(٢) سورة آل عمران ٥٥ .

(٣) سورة السجدة ١١ .

(٤) سورة النساء ٩٧ .

(٥) سورة الأنفال ٥٠ .

ولا سبيلي إلى القول بأن الوفاة هنا مراد بها وفاة عيسى بعد نزوله من السماء كما يقول البعض ، إن الآية ظاهرة في تحديد علاقته بقومه هو لا بالقوم الذين يكونون آخر الزمان ، وهم قوم محمد باتفاق (١) . ولم تستعمل كلمة توفي في غير معنى الموت إلا وبجانبها ما يصرفها عن هذا المعنى المتبادر ، مثال ذلك .

قوله تعالى :

« الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها » (٢) .

أما آية سورة النساء في قوله تعالى « بل رفعه الله إليه » فإنها رفع المكانة لارفع الجسد ، وخصوصاً أنه قد جاء بجانب الرفع قوله « ومطهرك من الذين كفروا » مما يدل على أن الأمر أمر تشريف وتكريم ، وقد جاء الرفع في القرآن الكريم كثير أ بهذا المعنى مثل قوله تعالى « في بيوت أذن الله أن ترفع » ومثل قوله « ورفعنا لك ذكرك » ومثل قوله « ورفعناه مكاناً علياً » .

وخلاصة القول :

أنه ليس في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة مستند يصلح لتكوين عقيدة يطمئن إليها القلب بأن عيسى رفع بجسمه إلى السماء ، وأنه حتى إلى الآن فيها وأنه سينزل منها آخر الزمان إلى الأرض ، وأن كل ما تفيد الآيات الواردة في هذا الشأن هو وعد الله عيسى بأنه سيوفيه أجهه ويرفعه إليه ويعصمه من الذين كفروا ، وأن هذا الوعد قد تحقق ، فلم يقتله أعداؤه ولم يصلبوه ، ولكن وفاه الله أجهه ، ورفعته إليه (أى رفع روحه إليه) .

٥ - ويقول الأستاذ محمد الغزالي : إنه خير لنا أن نرى الرأي الذي يقول إن المسيح عيسى ابن مريم مات وأنه انتهى ، وأنه كغيره من الأنبياء لا يحيا إلا بروحه فقط ، حياة الكرامة وحياة رفعة الدرجة . وكما يقول

(١) الفتاوى لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر السابق رحمه الله .

(٢) سورة الزمر ٤٢ .

الإمام ابن حزم الأندلسي وهو من فقهاء الظاهر : إن صرف الظاهر عن حقيقته لا معنى له ، فعبارة الوفاة في الآيات الخاصة بالمسيح بالنسبة إليه وإلى والدته لا تفيد إلا الوفاة وهي الموت ، لأنهما بشر ينطبق عليهما ما ينطبق على سائر البشر ، طبقاً لما حكاه الله عنه وعن والدته في سورة المائدة « ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » . فهو كسائر الأنبياء مات ورفع بروحه فقط ، وإن جسمه في مصيره كأجساد الرسل والأنبياء كلها ، تنطبق عليه الآيات الكريمة « إنك ميت وإلهم ميتون » .

وأما عودة المسيح فكما يقول ابن حزم أيضاً ، أنه سيعود . وإن هذه العودة إلى الأرض هي خلق جديد ، وعلّة عودته أنه يكذب بنفسه الشائعات التي دارت حول مقتله وحول أنه كفارة للخطايا التي يقترفها الخلق .

٦ - ويقول الأستاذ عبد الرحيم فودة إن مسألة الرفع لا ثمرة من النقاش والجدل فيها ، لأن المسيح إن كان قد مات أو أنه سيموت فلا دخل لشيء من هذا في عقيدة المسلم ، وعيسى أولاً وأخيراً لم يكن إلا عبداً لله « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون »

٧ - ويقول الأستاذ حسني الزمزمي : إنه يميل إلى القول بأنه ليس في القرآن نص يثبت أن عيسى ينزل من السماء ويحكم في الأرض ، لأن عيسى إذا نزل من السماء ليحكم على شريعة محمد فهل معنى ذلك أنه نسخ كرسول وألغيت رسالته ؟ وإذا نزل بشريعته هو فهل يمكن أن يعقل هذا بعد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ، إذ لا شريعة بعدها . وما ورد في الرفع إنما هو أحاديث آحاد ، وهي لا تفيد العقيدة ، ومسألة صلاح العالم إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يصلحه فمن السهل أن يصلحه على يد أي مصلح ولا ضرورة إطلاقاً لنزول عيسى أو أحد من الأنبياء .

٨ - ويقول الأستاذ أمين عز العرب أنه لا يستطيع أن يفهم الحكمة في نزول عيسى مرة أخرى ، وإن أحاديث النزول أحاديث آحاد لأنه ليس ثمة نص صريح وجازم في ذلك (١) .

أما أصحاب الرأي الثاني : فهم يرون أن عيسى رفع إلى السماء بجسمه وروحه وأنه ينزل آخر الزمان قبل فناء العالم ، حاكماً بالشريعة الإسلامية ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويقتل الدجال ، ولا يقبل من أحد ديناً سوى دين الإسلام ، ويمكن في الأرض ما شاء الله أن يمكن ، ثم يموت فيصلب عليه المسلمون ويدفنونه ، ويستدلون على ذلك بالأحاديث الآتية :

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه :

(والذي نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقباه أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة : (واقرأوا إن شئتم : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً) (٢) .

٢ - روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) .

٣ - روى أبو هريرة رضي الله عنه حديثاً ثالثاً عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لينزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير

(١) ندوة لواء الإسلام في بحث هل رفع المسيح حياً إلى السماء - العدد الرابع السنة السابعة عشرة ذو الحجة سنة ١٣٨٢ ، ٢٥ أبريل سنة ١٩٦٣ .

(٢) سورة النساء ١٥٩ .

وليضعن الجزية ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد ، وليدعون إلى المال فلا يقباه أحد .

٤ - قال أبو هريرة رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليهن عيسى بن مريم بفتح الروحاء بالحج أو العمرة أو ليشيهما جميعا » .

٥ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وإنى أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى ، وإنه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربع إلى الحمرة والبياض ، عليه ثوبان ممصران ، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك فى زمانه المسيح الذجال ثم تقع الأمانة على الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل والنمور مع البقر ، والذئب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم ، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفى ، ويصلى عليه المسلمون ويدفونوه » (١).

٦ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا ينزل الذجال المدينة ولكنه بين الخندق : وعلى كل نقب منها ملائكة يحرسونها ، فأول من يتبعه النساء فيؤذينه فيرجع غضبان حتى ينزل الخندق ، فعند ذلك ينزل عيسى بن مريم » (٢) .

٧ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه أحمد وابن حبان وقال عنه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى إسناده صحيح .
(٢) أخرجه الطبرانى فى الأوسط .

« ليهبطن ابن مریم حکماً عادلاً وإماماً مقسطاً ، وليساكن فجاً حاجباً أو معتمراً ، وليأتين قبرى حتى يسلم على ولأردن عليه » يقول أبو هريرة : (أى بنى أخى إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام) (١) .

٨ - ويروى أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إني لأرجو إن طال بي عمر أن ألقى عيسى ابن مریم صلى الله عليه وسلم فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرئه السلام مني » (٢) .

٩ - عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا إن عيسى ابن مریم ليس بيني وبينه نبي ولا رسول ، إلا أنه خليفتي في أمتي من بعدى ، ألا إنه يقتل الدجال ويكسر الصليب ، ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها ، ألا من أدركه منكم فليقرأ عليه السلام » (٣) .

١٠ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ينزل ابن مریم إماماً عادلاً أو حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل ، وتذهب حمة كل ذى حمة ، وتنزل السماء رزقها ، وتخرج الأرض بركاتها ، حتى يلعب الصبي بالثعبان ولا يضره ، ويراعى الغنم الذئب ولا يضرها ، ويراعى الأسد البقر ولا يضرها » (٤) .

١١ - وعن أبي هريرة رضى الله عنه أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) أخرجه الحاكم وصححه .

(٢) أخرجه الإمام أحمد .

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير .

(٤) أخرجه أحمد .

« لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين ضبوأ منا نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا والله لا نخلى بينكم وبين إخواننا . فيقاتلونهم فيزيم ثلث لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند الله ويفتح الثلث لا يفتنون أبداً ، فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان أن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاءوا الشام خرج فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فيؤمهم فإذ عدو الله ذاب كما يذوب الملح فلو تركه لذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته » (١) .

وأصحاب الرأي الثاني في التوفى لا يكتفون بالاستشهاد بالسنة وإيراد الأحاديث التي تؤيد وجهة نظرهم بل إنهم يعززون رأيهم بالتفسير لبعض الآيات الواردة في القرآن الكريم طبقاً للآتي :

١ - قوله سبحانه وتعالى في البشارة بعيسى :

« ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين » (٢) .

(أ) قال ابن جرير في تفسيره عن يونس عن ابن وهب وعن زيد يقول في هذه الآية قد كلمهم عيسى في المهد ، وسيكلمهم إذا قتل الدجال وهو يومئذ كهلاً ، فلقد رفعه الله إليه قبل أن يكون كهلاً ، قال : وينزل كهلاً .

(ب) ويقول الحسين بن الفضل البجلي إن المراد بقوله وكهلاً أن يكون كهلاً بعد أن ينزل من السماء في آخر الزمان ويكلم الناس ويقتل الدجال .

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه .

(٢) سورة آل عمران ٤٦ .

(ج) وقال العلامة الألوسي في الكلام عن هذه الآية :

إن المراد أنه يكلمهم حال كونه طفلاً وكهلاً ، والمقصود التسوية بين الكلام في حال الطفولية وحال الكهولة ، وكان كلامه في المهدي ساعة واحدة بما قص الله تعالى لنا ثم لم يتكلم حتى بلغ أوان الكلام .

ويقول الجبائي إن الكهولة هي ما بين الأربعين إلى الستين وتأتي بعد مرحلة الشباب التي بين الثلاثين والأربعين .

والكهولة مأخوذة من قولهم اكتهل النبات إذا تم طوله وظهر نوره ، كما يقول الأعشى :

يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبات . كتهل

أى متناه في الحسن والتام ، ولا شك أن سن الأربعين هو نهاية أشد الإنسان ، ووقت استواء قوته وكمال عقله طبقاً لما ذكره سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :

« حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين » (١) .

١ - وقال تعالى :

« إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهدي وكهلاً » (٢) .

ويقول الحافظ السيوطي في تكملة تفسير الجلال المحلي عقب قوله وكهلاً : إن ذلك يفيد نزوله قبل الساعة لأنه رفع قبل الكهولة . ١ هـ .

وهذه الآية تتضمن الإخبار بأن عيسى عليه السلام يكلم الناس كهلاً ،

(١) سورة الأحقاف ١٥ .

(٢) سورة المائدة ١١٠ .

ويأتى ذلك على خلاف المعتاد المعهود ، فإن الناس يتكلمون كهولا وشبابا وليس فى ذلك ما يدعو إلى العجب ، ولكن فى شأن عيسى عليه السلام أنه يرفع شابا ويغيب مئات السنين فى عالم لا تجرى عليه الأغيار الجسمانية ثم ينزل ويكلم الناس بعد ذلك كهلا مما يعد أمراً غريباً استحق لغرابته أن يشار إليه فى محكم التنزيل تارة بطريق البشارة ، وتارة بطريق الامتنان ، ولذا قوبل فى كلتا الآيتين بأمر لا يقل عنه غرابة وهو كلامه فى المهدي فاشتملتا بذلك على معجزتين عظيمتين . وإلى هذا أشار أحمد بن يحيى فى قوله : ذكر الله لعيسى آيتين تكلم الناس فى المهدي فهذه معجزة ، والأخرى نزوله إلى الأرض عند اقتراب الساعة كهلا يكلم أمة محمد صلى الله عليه وسلم فهذه آية ثانية .

ثم إن التعبير حيث قال تعالى (ويكلم الناس) ولم يقل ويكلم بنى إسرائيل أو قومه كما هو المعهود فى كل رسول أنه يكلم قومه الذين أرسل إليهم خاصة ، للإشارة إلى أن الذين يكلمهم عيسى ليسوا قومه فحسب ، بل هم وغيرهم ممن ينزل عليهم آخر الزمان ، فانظر إلى قوله تعالى فى سورة آل عمران فى شأن البشارة بعيسى «ورسولا إلى بنى إسرائيل» وانظر كيف خص رسالته بقومه فقط لأنه لم يكن مرسلًا إلى غيرهم ، ثم قاباه بقوله تعالى «ويكلم الناس فى المهدي وكهلا» تجدد بينهما تخالفاً فى الخصوص والعموم مع أنهما فى سياق البشارة والتنويه بعيسى عليه السلام ، فما هذا التخالف إلا للإشارة إلى أن كلامه فى حالتي طفولته وكهولته ليس بوصفه كونه رسولا (١) .

٢ - وقال تعالى :

« وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً » (٢) ويفسر هذه الآية أبو هريرة وابن عباس وقتادة وابن زيد وابن

(١) إقامة البرهان على نزول عيسى فى آخر الزمان للمحدث عبد الله بن محمد بن الصديق الغمارى الحسنى الإدريسي خريج جامعة القرويين بفاس .
(٢) سورة النساء ١٥٩ .

مالك والحسن رضوان الله عليهم أن ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى عليه السلام وذلك عند نزوله آخر الزمان حاكماً بهذه الشريعة المحمدية داعياً إليها فلا يبقى يهودى ولا نصرانى إذ ذاك إلا آمن به أنه عبد الله ورسوله ، وتصير الملل كلها واحدة هي ملة الإسلام ، ويوم القيامة يكون عليهم أى على اليهود والنصارى شهيداً يشهد على من كفر به منهم وكذبه وافترى عليه فالضميران فى به وفى موته عائذان على عيسى عليه السلام وراجعان إليه .

٣ - وقال تعالى :

« وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها » (١) .

ويقول ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن والسدى والضحاك وابن زيد : إن خروجه لعلم للساعة يدل على قرب قيامها ، إذ خروج عيسى شرط من أشراطها ، وهو نزوله من السماء فى آخر الزمان .

ويقول الألوسى فى روح المعانى أنه بنزول عيسى شرطاً من أشراطها أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة .

والنتيجة التى نراها من هذه المناقشة :

أنه مهما كان من خلاف بين أصحاب رأى الأول وأصحاب رأى الثانى ، فإننا نرى أن كل رأى له وجاهته وله دليله وحجته ، وهذا يدل على الحرية الفكرية التى يتمتع بها علماء الإسلام فى مثل هذه المسائل الفرعية التى لا تدخل فى مسائل العقيدة حيث إن بعضهم أول النصوص بما يشهد لنزول عيسى آخر الزمان ، وبعضهم أولها بما يصرفها عن ذلك ، لأنه يرى أن لا حاجة لنزول عيسى ، فإن فى القرآن الكفاية .

واستكمالاً لمسألة التوفى والرفع المذكورة فى الآيات من سورة آل

عمران يتطرق البحث إلى الآيات التالية للآيات السابقة وهي قوله تعالى :

« ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ، فأما الذين كفروا فأعدنهم عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين» (١) .

فالتطهير يعنى إزالة الأدران والخبائث ، فالله سبحانه وتعالى طهر عيسى عليه السلام من الآثام التي حاول أن يلصقها اليهود به وبأمه ، فطهره سبحانه وتعالى مما رماه به اليهود وما رموا به أمه ، وقرر سبحانه في القرآن عفتها ونزاهتها كما قرر سلامته مما ادعوه عليه من قتل وصلب ، كما طهره سبحانه ممن جاءوا بعد ذهابه من هذا العالم وادعوا اتباعه وهم لم يتبعوه ، إذ أفرطوا في محبته حتى حسبوا أنه إله أو ابن إله ، فتطهير الله لعيسى كان من كل رجس معنوى يأتي من الذين كفروا ، على أية صورة كان كفرهم .

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، لكن من هم أولئك الذين اتبعوه ومن هم الذين كفروا به ، وما هذه الفوقية التي تكون للذين اتبعوه ؟ .

ليس الذين اتبعوه هم الذين قالوا إنا نصارى ويزعمون أنهم أتباع المسيح ، ويؤمنون بأنه ثالث ثلاثة وأنه ابن الله ، لأنه ما قال بالأقانيم وما ادعى بنوة الله على زعمهم ، ولكنه جاء بالتوحيد والإيمان بالله سبحانه وحده ، ولكن الذين اتبعوه هم الذين آمنوا به وبأنه رسول من رب العالمين وبأنه بشر كسائر البشر ، وأن تعامله هي العدالة والرحمة والسماحة والإخلاص في طلب الحق وعبادة الله كما أمر الله ، وآمنوا أيضاً بما آمن به عيسى من وحدانية الله ، ورسالة سيدنا محمد الذي بشرهم به ودعاهم إلى العمل برسالاته ، فهذا يكونون متبعين لعيسى ، ومتفوقين على الذين كفروا إلى يوم القيامة ، لأنهم في هذه الحالة مسلمون ، والمسلمون جميعاً فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة عقيدة ومنزلة في الدنيا ، ما داموا متحدين عاملين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وليس بلازم أن تكون الفوقية فوقية

سيف و سنان ، بل فوقية حجة وبرهان ، وهذه الحجة قائمة في الدنيا إلى يوم القيامة ، حتى إذا انتهوا إلى ذلك اليوم المعلوم المقطوع بأنه سيقع لا محالة ، يكون الاحتكام بها إلى الحكم العدل العليم ، فيحكم فيما كانوا يختلفون فيه ، فمن كفر يعذبه عذاباً شديداً ، فعذاب الآخرة الأمر فيه إلى الله سبحانه وتعالى ، وأما عذاب الدنيا ففيه تفصيل بالنسبة لمن كذبوا المسيح طبقاً للآتي :

فبالنسبة لليهود عذابهم الذلة والتفرق في الأرض مهما حاول أعوانهم من الكافرين أمثالهم مد يد المساعدة والمعونة لهم ، فإن حبلها مقطوع يوماً ما طبقاً لوعيد الله لهم .

وأما النصارى فإنهم في عذاب مستمر باختلافهم فيما بينهم وتفرقهم شيعاً وفرقا ، عداوتهم فيما بينهم شديدة ، فضلا عن الحرب التي تشعل فيما بينهم بصفة مستمرة تراق فيها الدماء وتفنى الذراري وتخرب الدور والبلاد .

* * *

الفصل الثاني

عقيدة اليهود في المسيح والنصرانية والمخلص

اعتقاد اليهود في أنفسهم وفي بقية الأمم :

يعتقد اليهود اعتقاداً جازماً بأنهم شعب الله المختار ، اختارهم وحدهم شعباً خالصاً له دون سائر الشعوب ، افتراء على الله بما تراءى لخياهم في مواضع كثيرة من كتبهم بأنه خلق العالم من أجلهم وخلق باقى الأمم لخدمتهم ، هم وحدهم الناس ، وباقى الشعوب عبيد لهم وخدم ، بل كلاب وخنازير طبقاً للآتى :

١ - ورد في سفر الخروج على لسان يهوه إله إسرائيل :

« وأنتم تكونون لى مملكة أحرار وشعباً مقدساً » (١) وفي طبعة أخرى « وأنتم تكونون لى مملكة كهنة وأمة مقدسة » .

٢ - ورد في سفر التثنية على لسان إله شعب إسرائيل موصياً لهم :

« مباركاً تكون فوق جميع الشعوب ، وتأكل كل الشعوب الذين الرب إلهك يدفع إليك لاتشفق عينك عليهم » (٢) .

٣ - كما ورد في سفر الخروج وصيته لشعب إسرائيل بالقضاء على الشعوب المجاورة .

« فإن ملاكى يسير أمامك ويجىء بك إلى الأموريين والحثيين والفرزيين والكنعانيين والجوبين واليبوسيين فأبيدهم » .

(١) سفر الخروج ص ١٩ عدد ٦ .

(٢) سفر التثنية ص ٧ عدد ١٤ ، ١٦ .

« أرسل هيبتي أمامك وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم ، وأعطيك جميع أعدائك مدبرين ، وأرسل أمامك الزنابير فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك ، قليلا قليلا أطردهم من أمامك إلى أن تثمر وتملك الأرض ، وأجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين ومن البرية إلى النهر ، فإني أدفع إلى أيديكم سكان الأرض فتطردهم من أمامك ، لا يسكنوا في أرضك لئلا يجعلوك تخطىء إلى » (١) .

٤ - وفي سفر العدد نفس هذا المعنى :

فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر ، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم ، أوى وراقم وصور وحوور ورابع ، خمسة ملوك مديان ، وبلغام بن يعور قتلوه بالسيف (مع أنه نبي بنص التوراة) ، وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ، ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم ، وأحرقوا جميع مدنهم بمسكنهم وجميع حصونهم بالنار ، وأخذوا كل الغنيمة وكل النهب من الناس والبهائم (٢) .

مدلول كلمة المسيح عند اليهود :

إن الشعب الفلسطيني المغلوب على أمره لم يسكت على ما أصابه من اليهود ، بل راح مع بقية الشعوب المغلوبة يرفع نير الظلم والاضطهاد فاستردت أوطانها وأرضها وأذاقوا اليهود شيئا مما أذاقهم اليهود من قبل ، وعندئذ يعلو صراخ اليهود إلى إلههم يهوه أن يرسل إليهم مسيحا أو مخلصا يخلصهم من أيدي الفلسطينيين وتلك الشعوب ، لذلك كان كل مخلص لهم يدعى مسيحا طبقا للآتي :

١ - ابتداء أمر الله سبحانه وتعالى نبيه موسى بأن يمسح بالزيت

(١) سفر الخروج ص ٢٣ عدد ٢٣ ، عدد ٢٧ ، عدد ٢٨ ، عدد ٣٠ ، عدد ٣١ ، عدد ٣٣ .

(٢) سفر العدد ص ٣١ عدد ٧ ، عدد ٨ ، عدد ٩ ، عدد ١٠ ، عدد ١١ ، عدد ١٢ .

المقدس الهيكل والمذبح لتقديسها ، ثم أمره بأن يمسح به شقيقه هارون مسيحا مقدسا للرب ، وفعل موسى طبقا لما أمره الله لما ورد عنه في سفر لاويين .

« ثم أخذ موسى دهن المسحة ومسح المسكن وكل ما فيه وقدهه ، ونضح منه على المذبح سبع مرات ، ومسح المذبح وجميع آنيته والمرحضة وقاعدتها لتقديسها ، وصب من دهن المسحة على رأس هارون ومسحه لتقديسه ، ثم قدم موسى بني هارون وألبسهم أقمصا ونطقهم بمناطق ، وشدهم قلانس كما أمر الرب موسى (١) .

٢ - ورد في سفر صموئيل الأول قول إلههم يهوه لصموئيل طالبا منه مسح شاول ليكون مسيحا ومخلصا لشعب إسرائيل :

« غدا في مثل الآن أرسل إليك رجلا من أرض بنيامين ، فامسحه رئيسا لشعبي إسرائيل فيخلص شعبي من يد الفلسطينيين ، لأنني نظرت إلى شعبي لأن صراخهم قد جاء إلى ، فلما رأى صموئيل شاول أجابه الرب هو ذا الرجل الذي كأمتهك عنه هذا يضبط شعبي ، فتقدم شاول إلى صموئيل في وسط الباب وقال اطلب إليك أخبرني أين بيت الرائي» (٢) .

فأخذ صموئيل قنينة الدهن وصب على رأسه ، وقبله وقال : البس لأن الرب قد مسحك على ميراثه رئيسا (٣) .

٣ - والنبي إيليا يأمره ربه بأن يمسح بعض الأشخاص ملوكا ، اللهم إلا اليسع فيمسحه نبيا على بني إسرائيل طبقا لما ورد في سفر الملوك الأول .

«وبعد النار صوت منخفض خفيف ، فلما سمع إيليا لف وجهه بردائه

(١) سفر لاويين ص ٨ عدد ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

(٢) سفر صموئيل الأول ص ٩ عدد ١٦ ، ١٧ ، ١٨ .

(٣) سفر صموئيل الأول ص ١٠ عدد ١ .

وخرج ووقف في باب المغارة ، وإذا بصوت إليه يقول مالك ههنا يا إيليا ، فقال غرت غيرة للرب إله الجنود ، لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا ميثاقك وقتلوا أنبياءك بالسيف فبقيت أنا وحدي ، وهم يطلبون نفسي ليأخذوها ، فقال له الرب : اذهب راجعا في طريقك إلى بركة دمشق وادخل وامسح حزائيل ملكا على أرام وامسح باهوين نمشى ملكا على إسرائيل وامسح الإشع بن شاقاط من آبل محولة نبيا عوضا عنك» (١) .

٤ - ونبي الله داوود صار مسيحا وتحدث عن ذلك سفر صموئيل الثاني فيقول :

« وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون ، فقطع الملك داود معهم عهدا في حبرون أمام الرب ، ومسحوا داوود ملكا على إسرائيل ، وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك . ملك أربعين سنة ، في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر وفي أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا» (٢) .

ويأتي ذكر المسيح داوود في المزمور ٢٨ « الرب عزلهم وحصن خلاصى مسيحه هو خاص شعبك وبارك ميراثك وارعمهم واحملهم إلى الأبد» (٣) .

ويذكر ذلك المسح عن نفسه في المزمور ٤٥ :

« أحببت البر وأبغضت الإثم من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (٤) .

(١) سفر الملوك الأول ص ١٩ عدد ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

(٢) سفر صموئيل الثاني ص ٥ عدد ٣ ، ٤ ، ٥ .

(٣) مزمور ٢٨ عدد ٨ ، ٩ .

(٤) مزمور ٤٥ عدد ٧ .

كما ينادى ربه لينصره فى الحروب :

« يارب إله الجنود اسمع صلاتى واصغ يا إله يعقوب ، سلاه يا مجننا
انظر يا الله والتفت إلى وجه مسيحك ، لأن يوما واحدا فى ديارك خير
من ألف (١) » .

وفى الشدة يدعو داوود ربه ألا يرد وجهه كما فى سفر أخبار الأيام الثانى :

« أيها الرب الإله لا ترد وجه مسيحك اذكر مراحم داوود عبدك » (٢) .

٥ - ثم تولى ملك إسرائيل بعد وفاة داوود عليه السلام ابنه سليمان
ابن داوود وصار مسيحا أيضا ، ويذكر ذلك سفر الملوك الأول « فأخذ
صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان ، وخرجوا بالبوق
وقال جميع الشعب ليحيا الملك سليمان » (٣) .

وهكذا اشترك فى لقب المسيح عدد غير قليل من أبناء وملوك بنى
إسرائيل قبل أن يصير علما على المسيح عيسى بن مريم بعد ذلك .

التسمية بالمسيح ومن أين جاءت ؟

١ - يرجع هذا اللقب إلى الشعائر التى درجت عليها الأمة اليهودية
منذ أجيالها الأولى أى منذ أبيهم الأول يعقوب عليه السلام والذى سمي
إسرائيل ومن أولاده الاثنى عشر تناسل الشعب الإسرائيلى أو الشعب
اليهودى كما يقولون .

ومنذ عهد يعقوب عليه السلام اعتبر المسح بالزيت المقدس من أعظم
الشعائر لتقديس وتكريم الناس أو الأماكن ، فكل ما يمسح بالزيت يصير

(١) مزمو ٨٤ عدد ٨ ، ٩ ، ١٠ .

(٢) أخبار الأيام الثانى ص ٦ عدد ٤٢ .

(٣) الملوك الأول ص ١ عدد ٣٩ .

مقدساً لله، ولا يسمح بهذا الزيت المقدس من الناس سوى الكهنة والملوك والأنبياء ، لذلك سمي هؤلاء مسحاء الله أى المختارين والمباركين من الله .

يروى سفر التكوين عن يعقوب الآتى :

« وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عموداً وصب زيتاً على رأسه ودعا اسم ذلك المكان بيت ليل» (١) .

٢ - وكانت عقيدة اليهود فى المسيح المختار من الله والمبارك من السماء منقذ إسرائيل والمخلص له أنه لا يمسه أحد بضر ولا يقربه أى شخص بأذى طبقاً لما أوصاهم به يهوه .

« لا تمسوا مسحاءى ولا تؤذوا أنبيائى» (٢) .

(أ) فهذا شاول أحد المسحاء كما قدمنا آنفاً يسمى مسيح الرب فهو المسيح المخلص الذى خلص شعب إسرائيل من أيدي الفاسطينيين ، فهو مبارك لا يمسه أحد بسوء ولا يتجرأ شخص على إلحاق الأذى به لذلك يقول عنه داوود فى سفر صموئيل الأول وهو وصيا رجاله به ، ومحاراً إياهم من إبنائه :

« وكان بعد ذلك أن قلب داوود ضربه على قطعه طرف جبة شاول فقال لرجالها حاشا لى من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدى بمسيح الرب فأمد يدي إليه لأنه مسيح الرب هو ، فوبخ داوود رجاله بالكلام ولم يدعهم يقومون على شاول» (٣) .

(ب) وحين تمكن أحد رجال داوود عليه السلام من رقبة المسيح شاول

(١) سفر التكوين ص ٢٨ عدد ١٨ .

(٢) أخبار الأيام الأول ص ١٦ عدد ٢٢ .

(٣) صموئيل الأول ص ٢٤ عدد ٥ ، ٦ ، ٧ .

وأراد قتله منعه داوود قائلاً له « فقال داوود لابشاي لا تهلكه ، فمن الذى يمد يده إلى مسيح الرب ويتبرأ » (١) .

عقيدة المخلص :

١ - بعد أن دالت دولة بنى إسرائيل بندهاب الملك داوود والملك سليمان حل باليهود الذل والهوان ، فلقد انقسمت دولتهم إلى مملكتين مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا ، وهاجم بختنصر ملك بابل مملكة يهوذا في عام ٥٨٦ قبل الميلاد، ودخل مدينة أورشليم عاصمتها وأحرق هيكل عبادة اليهود وجمع التوراة وأشعل فيها النيران ، ثم زحف بجيشه على مملكة إسرائيل حيث دار القتال بينه وبينهم فانتصر عليهم ، ودخل مدينة السامرة عاصمتها وكانت تدعى شكيم . والى أصبحت تسمى نابلس فيما بعد، وأما بخصوص ما أسره من اليهود فقد أمر بتقسيمهم ثلاث فرق فأقر ثلثا بأرض الشام وثلثا أخذه معه أسرى إلى بلاده وثلثا أعمل فيهم القتل .

وبعد الهزيمة الكبيرة راودت اليهود أحلامهم في مسيح يرسله إلههم يهوه ليخلصهم من هذه الحنة القاسية ومن ربة العبودية والأسر ويعيدهم إلى أورشليم المدينة المقدسة ليستعيدوا مجدهم الغابر ، وكثرت الأقاويل والتنبؤات والأساطير والأشعار حول ذلك المسيح المخلص : شكله وأوصافه، سلالته وأعماله ، وقت مجيئه وطريقة عماله وكيفية انتصاره .

٢ - ولما أتى قورش المجوسى مؤسس الامبراطورية الساسانية في بلاد الفرس حارب البابليين ، وهزمهم وفك أسرى اليهود في بابل وسمح لهم بالعودة إلى أورشليم وإعادة بناء الهيكل ، ففرح اليهود بذلك فرحا شديدا ، حتى أن البعض منهم لقبه بالمسيح رغم كونه غير مؤمن بالله . يقول أشعيا « هكذا يقول الرب لمسيحه ليكورش الذى أمسكت بيمينه لأدوس

أمامه أمما واحتماء ملوك ، أحل لأفنتح أمامه المصراعين والأبواب لاتغلق (١) .

٣ - ولم يهنا اليهود بفترة الهدوء والراحة والحرية طويلا ، إذ نهضت الإمبراطورية الرومانية وقامت بشتى الحروب على الشعوب المجاورة بقصد التوسع ، فضمت بلاد اليهودية ضمن ما ضمت من مستعمرات ، وأذاقوا اليهود من العسف الكثير ، كما قتلوا الرجال واستحيوا النساء ، وحرموا عليهم أى نقاش فى السياسة وشئون الحكم .

٤ - فعادت باليهود أفكارهم وسرحت بهم أحلامهم إلى ظهور شخص مخلص ، أى مسيح من سلالة ملوكهم يخلصهم من ظلم الرومان واستعبادهم ، ويعيد إليهم مجدهم وحريتهم ، ويعود بهم شعبا ممتازا وعنصرا ميمزا بين شعوب الأرض ، حتى يعيدوا مملكة داوود وعرش سليمان التى قاعدتها فى أورشليم مدينة القدس والسلام .

(أ) تصور بعض الواهين أن المسيح المنتظر يكون ماكا من كبار الملوك الغابرين فى مملكة إسرائيل ، قام من بين الأموات ليخلصهم من الرومان مثل الملك داوود أو حزقيا أو يهوه شافاط .

(ب) وتصوره البعض فى أحلامه نبيا من الأنبياء كالنبي إيليا أو الإشع ، بعث بعد موته ليخلص شعب يهوه .

(ج) وفريق ثالث تصور ذلك المسيح المخلص أميرا من سلالة داوود فيأتى بالنصر المبين على الرومان ويحرر اليهود ، ويضم جميع الناس تحت لواء ملكه ليؤمنوا بهوه إله اليهود ، وبالشرعية اليهودية ، وكانت هذه أكثر الأحلام شيوعا وانتشارا بين اليهود ، وهذا رجوع منهم إلى ما هو وارد عن داوود ، ووعد الإله له بتثبيت كرسى مملكته إلى الأبد مبقيا سلالة ملوكا على عرش إسرائيل كما فى سفر صموئيل الثانى (٢) .

(١) سفر أشعيا ص ٤٥ عدد ١ .

(٢) سفر صموئيل الثانى إصالح ٧ عدد ١٢ ، ١٣ .

« أقيم بعدك نسلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته ، هوبينى بيتا لاسمى ، وأنا أثبت كرسى مملكته إلى الأبد (١) مع أنه لم يثبت ولم تقم لهم قائمة ، وأما ما هم عليه الآن ، فيزول بعد حين قريب إن شاء الله .

وورد ما يماثل ذلك فى سفر الملوك الأول للنبي سليمان على لسان يهوه :

« فىنى أقيم كرسى ممالكك على إسرائيل إلى الأبد ، كما كلمت داوود أباك قائلا لا يعدم لك رجل عن كرسى إسرائيل (٢) . ونحن نقول: أين كرسى سليمان بن داود على إسرائيل ، وهكذا أكاذيبهم التى دسوها فى كتبهم تجليها الأيام .

والواقع أن هذه الأحلام والآمال التى كانت تراود مخيلة اليهود فى أوقات محنتهم كانت تراود معظم الشعوب القديمة فى أوقات ضيقها وهزيمتها ، حتى تخفف وتلطف من قسوة الحقيقة والآمها .

٥ - ولقد علق الأستاذ عباس محمود العقاد على ذلك بقوله (٣) .

يدل علم المقارنة بين الأديان على شيوع الإيمان بالخلاص ، وظهور الرسول المخلص فى زمن مقبل ، وظهور من عقائد قبائل الهنود الحمر فى القارة الأمريكية أن القبائل التى تؤمن بهذه العقيدة غير قليلة فى الأمريكتين ، - وليس فى هذا عجب - لأن الرجاء فى الخير أصل من أصول الديانة ، والأمل فى الصلاح مادة من مواد الحياة الإنسانية فى طاب الكمال والخلاص من العيوب ، وقد يشتد هذا الأمل حين تشتد الحاجة إليه ، فكان المصريون الأوائل يترقبون المخلص المنقذ بعد زوال الدولة القديمة ، وكان البابليون

(١) محمد نبي الإسلام فى التوراة والإنجيل والقرآن ، للمؤلف ، باب مناقشة بعض المفاهيم فى الديانة اليهودية والمسيحية .

(٢) سفر الملوك الأول لإصحاح ٩ عدد ٥ .

(٣) حياة المسيح للأستاذ عباس محمود العقاد .

يؤمنون بعودة مردخ إلى الأرض فترة بعد فترة لتمتع الفتنة وتطهيرها من الفساد ، وكان المجوس يؤمنون بظهور رسول من إله النور كل ألف سنة ينبعث في جسد إنسان .

٦ - ويقرر الكاتب الأمريكي فالنتون أورسلر أن فكرة المسيح المخلص ما هي إلا أسطورة يهودية ترددها معظم الشعوب القديمة ، رويت بكل اللغات . وقصة إيمان بحرافة عالمية (١) .

والنتيجة من كل ذلك :

أن فكرة المسيح عند اليهود بدأت بمسح الكهنة والملوك والأنبياء بالزيت المقدس ، ثم تطورت في زمان المحن والضيق والهزيمة إلى فكرة المخلص الذى يرساه يهوه إلههم لتحريرهم وإخضاع باقى شعوب الأرض لهم .

٢ - فهى بعد تطورها لم تكن إلا نوعا من التنفيس عن الكرب الذى يحس به شعب مستعبد ينتظر يوم الخلاص على يد بطل من أبطاله .

٣ - ولا يخلو تاريخ شعب من شعوب الأرض أو دين من الأديان القديمة من الروايات والأساطير التى حيكت وألفت حول الأبطال المخلصين والمسحاء المختارين يصورونهم ملوكا أو آلهة أو أنصاف آلهة أو أبناء آلهة قد ينزلون من السماء أو يخرجون من باطن الأرض وقد تلدهم عذارى أو تلقى بهم عروس البحر ، المهم أنهم أشخاص غير عاديين سيبدلون الحال إلى أحسن منه ، وسيحيلون العذاب هناة ، والذل عزا والضيق فرجا والحزن فرحا (٢) .

(١) كتاب الإنسان الخالد للكاتب الأمريكى فالنتون أورسلر .

(٢) كتاب المسيح إنسان أم إله للأستاذ محمد مجدى مرجان .

هل يوجد في تاريخ اليهود إشارة إلى المسيح عيسى بن مريم :

لا يوجد في التاريخ الديني ولا في كتبهم أى إشارة للمسيح عيسى ابن مريم ولا لدعوته ولا لأحداث القبض عليه وصلبه ، مما حدا ببعض الغربيين إلى اعتبار عيسى أو يسوع شخصية خرافية فرضية لا أساس لها من الواقع .

ويقول الدكتور إسرائيل ولفنستون : إن مسألة قتل المسيح كانت موجودة في التلمود ولكن اليهود أخرجوها حتى لا يعثر عليها أحد من الأمم التي تعتنق المسيحية التي كان يقيم اليهود بين ظهرانيهم .

ويعلل الدكتور أحمد شلبي إهمال اليهود شأن عيسى وعدم ذكره في كتبهم بقوله أن عيسى عندهم إن صح وجوده كان رجلاً عادياً كفر بدعوتهم (العنصرية) فقتلوه فهو رجل انشق عليهم فعاقبوه بالقتل ولا يستحق بعد ذلك أى ذكر في كتبهم (١) .

واليهود وإن أنكروا عيسى ابن مريم إلا أنهم ينتظرون المسيح الذي وردت الإشارة عنه في التوراة ، وهم يرون له شروطاً في اعتقادهم طبقاً لما أشرنا إليه فيما سبق وهي :-

- ١ - أنه سيكون مانكا عظيماً .
- ٢ - سيجعل لهم السلطان على جميع مناطق الأرض والسيادة على العالم .
- ٣ - سيجعل من جنس اليهود الجنس الأعظم بين أجناس الناس جميعاً .

(١) كتاب مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبي .

القرآن كتاب المسلمين يكشف بعض مزاعم اليهود المعاصرين للمسيح :

زعم أكثر اليهود أنهم قتلوا عيسى ابن مريم وصلبوه ، فكذبهم الله تعالى في ذلك وقال أنه شبه لهم ، أى شبه لهم المقتول بأن ألقى عليه شبه عيسى ، فلما دخلوا ليقتلوا عيسى وجدوا الشبيه فقتلوه وصلبوه يظنونهم عيسى ، وما هو بعيسى في الواقع لأن عيسى نجاه الله من أعدائه .

ولما كانت دعوة عيسى عليه السلام لليهود دعوة إلى الأخلاق الفاضلة وتوجيهاً روحياً تدعوهم إلى أن يقللوا من تكاليفهم على المال ، فلم تجد قلباً سميعاً ولا تأييداً من اليهود ، لذلك ثاروا عليه وتأمروا على قتله ، بل إنهم ذكروا أمه بالقبیح من القول فبرأها الله مما وصفها به اليهود .

قال تعالى :

« وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (١) .

وما زالت قصة ميلاد يسوع من عذراء محل استهزاء اليهود وتهكمهم ، فهم يعتقدون أنه ولد نتيجة للدنس ومن الفحشاء ، وقد حكى إنجيل يوحنا شيئاً من ذلك إذ أراد اليهود أن يجرحوه فقالوا وهم يقصدون أن يلمزوه :

« إننا لم نولد من زنا » (٢) .

إلا أن الإسلام أزال ذلك الدنس عن السيدة مريم وقرر طهارتها وعفتها ، ورفعها إلى درجة الصديقين وهي درجة عالية في الاصطفاء .

(١) سورة النساء ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٢) إنجيل يوحنا إصحاح ٨ عدد ٤١ .

قال تعالى :

« وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » (١) .

وقال تعالى أيضاً :

« ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام » (٢) .

(١) سورة آل عمران ٤٢ .

(٢) سورة المائدة ٧٥ .

الفصل الثالث

اختلاف الأناجيل

في نسب المسيح حتى إبراهيم

نسب السيد المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام (من إنجيل متى) يختلف عما ورد بإنجيل لوقا، فبينما يصل في إنجيل متى إلى ٤٠ طبقة حتى يصل إلى إبراهيم عليه السلام نجده في إنجيل لوقا يصل إلى ٥٥ طبقة حتى يصل إلى إبراهيم عليه السلام وإليك هذا البيان .

نسب السيد المسيح إلى إبراهيم في إنجيل

متى في الإصحاح (الأول)

عمينا داب	٣٣	إبراهيم	٤٠
تحشون	٣٢	إسحق	٣٩
سلمون	٣١	يعقوب	٣٨
بوعاز	٣٠	يهوذا	٣٧
عوبيد	٢٩	فارص - أخو ذارح	٣٦
يسى	٢٨	حصرون	٣٥
داوود	٢٧	أرام	٣٤

تابع نسب السيد المسيح عيسى بن مريم (عليه السلام) من إنجيل متى

يكتيا	١٣	سليمان	٢٦
شالتييل	١٢	رجعام	٢٥
زربابل	١١	أبيا	٢٤
أيهود	١٠	آسا	٢٣
الياقيم	٩	يهوشافاط	٢٢
عازور	٨	يورام	٢١
صادوق	٧	عزبا	٢٠
أنحيم	٦	يوثام	١٩
اليود	٥	أحاز	١٨
اليعازر	٤	حزقيا	١٧
متان	٣	منسى	١٦
يعقوب	٢	آمون	١٥
يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع	١	يوشيا	١٤

نسب المسيح المسيد إلى إبراهيم في (إنجيل لوقا آخر الاصحاح الثالث)

مثنات	۳۱	إبراهيم	۵۵
بوريم	۳۰	إسحق	۵۴
أليعازر	۲۹	يعقوب	۵۳
يوسي	۲۸	يهوذا	۵۲
عبر	۲۷	فارص	۵۱
المودام	۲۶	حصرون	۵۰
قصم	۲۵	أرام	۴۹
ادى	۲۴	عميناداب	۴۸
ملكى	۲۳	نحشون	۴۷
نبرى	۲۲	سلمون	۴۶
شالشييل	۲۱	بوعز	۴۵
زر بابل	۲۰	عوبيد	۴۴
ريسا	۱۹	يسى	۴۳
يوحنا	۱۸	داوود	۴۲
يهوذا	۱۷	ناثان	۴۱
يوسف	۱۶	مثنان	۴۰
شمعى	۱۵	مينان	۳۹
مثنيا	۱۴	مليا	۳۸
مآث	۱۳	إلياقم	۳۷
نجاي	۱۲	يونان	۳۶
حسلى	۱۱	يوسف	۳۵
ناحوم	۱۰	يهوذا	۳۴
عاموص	۹	شمعون	۳۳
مثنيا	۸	لاوى	۳۲

تابع نسب السيد المسيح إلى إبراهيم في (إنجيل لوقا آخر الاصحاح الثالث)

٧	يوسف	٣	منثات
٦	ينا	٢	هالى
٥	ملكى	١	يوسف رجل مريم
٤	لاوى		

وبلاحظ الآتى :

١ - أن ما ورد من نسب المسيح بإنجيل متى وإنجيل لوقا ليس نسباً للمسيح بل هو نسب يوسف النجار ولا ارتباط نسبى بين المسيح ويوسف النجار هذا ، اللهم إلا إذا طعن في شرف أوه بأنه جاء نتيجة اتصال غير شرعى قبل الزواج من خطيبها يوسف النجار ، كما تزعم اليهود ذلك .

٢ - ورد عن النسب بإنجيل متى أن المولود (يدعى اسمه عمانوئيل) رغم أنه ذكر عنه فيما سبق أن اسمه (يسوع المسيح) وما سماه أحد بعمانوئيل أصلاً لا أمه ولا يوسف النجار ، ولا الملك قال ذلك في رؤيا يوسف النجار بل قال : تدعو اسمه يسوع .

٣ - وإذا نظرت إلى سلسلة النسب سالفة الذكر ، تجد أن من بينها اسم فارص بوصفه جدًا من جلود السيد المسيح . وقد ورد عنه في سفر التكوين الإصحاح ٣٨ عدد ٢٩ - ٣٠ أنه توأم لشقيقه زارح ولدتها أمهما تامار عن طريق الزنا من يهوذا بن يعقوب فهل يعقل أن من تقدسه النصارى يكون أحد جلوده من الزنى ، ثم يرفعونه بعد ذلك إلى مقام الألوهية .

٤ - رغم الخلاف في العدد بين النسب في إنجيل لوقا عنه في إنجيل

متى تجد خلافا في الأشخاص أيضا ، ففي إنجيل متى أن يوسف بن يعقوب إلخ .
وفي لوقا أنه ابن هالي (١) .

٥ - وفي إنجيل متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داوود وفي لوقا
أنه من أولاد ناتان ابن داوود .

٦ - في إنجيل متى أن جميع آباء المسيح من داوود إلى جلاء بابل
سلاطين مشهورون، وفي لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير
داوود وناتان .

٧ - يعلم من متى أن سلتيثيل بن يكيئا ، وهن لوقا أن سلتيثيل ابن
نيرى .

٨ - يعلم من متى أن اسم ابن زربابل أبيهود ، وهن لوقا إن اسمه
ريسا ، والعجب أن أسماء بني زربابل مكتوبة في الإصحاح الثالث من
السفر الأول من أخبار الأيام من كتب العهد القديم (٢) ، وليس فيها أبيهود
ولا ريسا فكل منهما خطأ .

٩ - في متى من داوود إلى المسيح ستة وعشرون جيلا ، وفي لوقا
واحد وأربعون جيلا .

١٠ - المتدبر للتوراة يجد أنها تنص على أن عيسى ليس هو الموعود
طبقا لتنبؤاتهم إذ المتتبع لسفر أرميا يجد أنه يتضمن أن إلياقيم بن بوشيا
لما أحرق الصحيفة التي كتبها ياروخ . فم أرميا نزل الوحي إلى أرميا
يقول (لذلك هكذا قال الرب عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس
على كرسي داوود) (٣) .

(١) كتاب إظهار الحق للإمام رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي .

(٢) أخبار الأيام الأول - الإصحاح الثالث عدد ١٩ .

(٣) سفر أرميا إصحاح ٣٦ عدد ٣٠ .

١١ - فكيف بعد ذلك يقول عنه إنجيل لوقا حاكيا عن الملاك جبريل ، (ويعطيه الرب الإله كرسي داوود أبيه) (١) .

١٢ - لأن من المسلم به طبقا لما ورد في إنجيل متى أن عيسى من ولد ألياقيم ملك يهوذا (٢) .

١٣ - أن ميلاد المسيح من عذراء لم يشر إليه من كتاب الأناجيل سوى متى ولوقا ، أما الباقون فقد سكتوا عن ذكره ، ولا يعلم سبب ذلك أكان خشية منهم في الخوض فيه خوف السخرية أو التهمك أو مخافة الظن والشك عند إيرادهم لقصة مولده من عذراء دون أن يمسه رجل .

١٤ - حاول كتاب الأناجيل أن يلقوا في روع الناس أن يسوع هو المسيح المنتظر ، المسيح الجديد الذي أتى ليخلصهم من عبودية الرومان المستعمرين لأرض اليهودية ويعيد إليهم مجدهم الضائع ، وتهافت كتاب الأناجيل على استدعاء آيات العهد القديم واستنطاق أنبيائه قسرا وتحوير الكلمات والروايات التي تحدثت عن المسيح المنتظر ، ليكون المقصود بها عيسى وتعديل الأوصاف والأشكال التي قيلت عن المسيح لتصدق على يسوع ، بل شكلوا يسوع نفسه ليوضع في قالب المسيح المخلص .

١٥ - ولما كانت أكثر التنبؤات شيوعا عن المخلص الذي سيرسله الله لتحرير إسرائيل أنه سيكون من سلالة داوود ، من أجل ذلك قرر كتاب الأناجيل أن يسوع من سلالة داوود ، ولهذا زعموا أنها تركت بلدها الناصرة وذهبت إلى مدينة بيت لحم التي كانت منبت داوود لتلد فيها يسوع .

١٦ - إن كتاب الأناجيل الذين ذكروا واقعة نسب يسوع من داوود وقعوا في مأزق عجيب ، كل ذلك جريا وراء أسطورة المسيح المخلص

(١) إنجيل لوقا - الإصحاح الأول عدد ٣٢ .

(٢) إنجيل متى - الإصحاح الأول عدد ١٣ .

وذلك بزعمهم أن يسوع من نسل داوود ، ولو كان يسوع ينسب إلى داوود من جهة أمه مريم لكانت نسبته إلى داوود أمرا مفهوما ولكن من المدهش بل من المدهل أن نراهم يربطون بين يسوع وداوود عن طريق يوسف النجار خطيب أمه . وجعلوا داوود جدآ له مع أن يوسف النجار لم يمس السيدة مريم العذراء وقتئذ ، لقد أرادوا أن يلبسوا يسوع ثوب المسيح المنتظر ، فخلعوا عليه كل أوصافه ، ولم يبق إلا أن يكون من نسل داوود ، ولما كانت السيدة مريم والدة يسوع ليست من سلالة داوود فلم يكن بد من أن يربطوا بينها وبين رجل من سلالة داود هو يوسف ، وجعلوا منه خطيبا لمريم وأبا ليسوع ، كل ذلك ليكون من نسل داوود ، فكان جرى هؤلاء الكتاب وراء أسطورة المسيح المخلص ومحاولتهم خلع قناع المسيح على يسوع ، هو تجريد له من ميزته الكبرى ومعجزته العظمى في ولادته دون زرع رجل ، بل لأنهم بفعلهم هذا يصمونهم هو وأمهم بأشنع الأوصاف وأحط الاتهامات ، بتدنيس ميلاده وإلصاق الفاحشة بأمه ، فقالوا إلى تأكيد الزعم الشائع والكذب الذي كان رائجا في اليهودية بأن يوسف النجار قطف الثمرة قبل الأوان ، وضاجع مريم قبل الزواج فولدت بيسوع ونسبته إليه فصاعت وسط الأيام والأزمان والأكاذيب والشائعات معجزة ميلاد يسوع الفريدة في بابها دون أب إلى أن نزل القرآن الكريم على رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فأعلن الحقيقة وقطع دابر الشكوك وأعاد للسيدة مريم العذراء عفافها وطهارتها ، وأعاد ليسوع قدره واحترامه . ولولا القرآن لاندثرت رواية الميلاد الفريد للسيد المسيح عيسى بن مريم ، ولعدت من الأباطيل والخرافات التي ترددها الأديان الوثنية القديمة ، ولما صدقها أحد (١).

قال تعالى في محكم آياته في القرآن الكريم :

« واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقياً . فاتخذت

(١) كتاب (المسيح إنسان أم إله) - للأستاذ محمد مجدى بدجان .

من دونهم حججاً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً . قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً . قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ولم أك بغياً . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً» (١).

ولكن هل حقق المسيح عيسى كل هذه الآمال لمن أرادوا له كل هذه الصفات فى المسيح المخلص ؟

— إن المتتبع لحال اليهود من خلال قراءة الأناجيل المعترف بها بين النصارى يرى أن اليهود فرحوا أولاً بالمسيح عيسى ، لأنه كان فى اعتقادهم أنى ليخلصهم من عبودية الرومان ، وليخضع الأمم والشعوب لسلطانهم ، فأخذوا يعدون العدة للمناداة به قائداً لهم وزعيماً ، وتنصيبه ملكاً عليهم ليقوم بتنظيم صفوفهم وقيادتهم فى حربهم التحريرية ضد الرومان ، وكانوا ينادونه كثيراً ملك اليهود ، حتى أنه عند استقباله فى مدينة القدس (أورشليم) عند دخوله إليها قبل الفصح اليهودى ، فرشوا له ملابسهم فى طريق موكبهم وأخذوا يلوحون له بالرياحين والأغصان مرددين : السلام يا ملك اليهود ، تبارك الآتى باسم الرب .

٢ — ولما عزم اليهود على تنصيب المسيح رسمياً ملكاً عليهم رفض العرض ، وإلى العجل هرب من الاحتفال ، لأنهم كانوا مزعمين اختطافه ليجعلوه ملكاً عليهم (٢) .

٣ — وعندئذ تحطمت آمال اليهود فى المسيح وتبخرت أحلامهم فى الخلاص على يديه ، وفى استعادة مجدهم الضائع ، وكانت هذه الصدمة الكبيرة فيه كافية لتحويل الحب إلى كراهية ، فكان ما كان من أمر تفكيرهم فى قتله ، وصلبه على ما يبدو .

(١) الآيات من سورة مريم من ١٦ إلى ٢١ .

(٢) إنجيل يوحنا ص ٦ عدد ١٥ .

الفصل الرابع

هل ولد المسيح

حقاً في فصل الشتاء

في ٢٥ ديسمبر كما يقول النصارى الغربيون

وفي يناير كما يقول النصارى الشرقيون

ورد في إنجيل لوقا حكاية عن ميلاد المسيح عليه السلام :

وكان في تلك الكورة رعاة متبدين يجرسون حراسات الليل على رعيتهم ،
وإذا ملاك الرب وقف بهم ومجد الرب حولهم ، فخافوا خوفاً عظيماً ، فقال
لهم الملاك : لا تخافوا فيها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ، إنه
ولد لكم اليوم في مدينة داوود ، مخاض هو المسيح (١) .

ومعنى ذلك أن يكون الميلاد في وقت يكون الرعى فيه ممكناً في الحقول
القريبة من بيت لحم المدينة التي ولد فيها المسيح عليه السلام ، وهذا الوقت
يستحيل أن يكون في الشتاء لأنه فصل تنخفض فيه درجة الحرارة وخصوصاً
بالليل ، بل وتغطي الثلوج تلال أرض فلسطين وجعل عيد الميلاد للسيد
المسيح في فصل الشتاء لا أساس له إذا ، بل هو من مخترعات الوضع يجعله
في فصل الشتاء وفي هذه التواريخ المذكورة آنفاً .

ولندلل على ذلك بالآتي :

١ - يقول الأسقف بارنز :

غالباً لا يوجد أساس للعقيدة القائلة بأن يوم ٢٥ ديسمبر كان بالفعل

(١) إنجيل لوقا - إصحاح ٢ عدد ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

(م ١٦ - النصرانية والاسلام)

يوم ميلاد المسيح ، وإذا ما كان في مقدرورنا أن نضع موضع الإيمان قصة لوقا عن الميلاد مع ترقب الرعاة بالليل في الحقول ، قريباً من بيت لحم ، فإن ميلاد المسيح لم يكن ليحدث في الشتاء حينما تنخفض درجة الحرارة ليلاً ، وتغطي الثلوج تلال أرض اليهودية ، ويبدو أن عيد ميلادنا قد اتفق عليه بعد جدل كثير ومناقشات طويلة حوالى عام ٣٠٠ بعد الميلاد (١)

٢ - وهذا الرأى الذى ذهب إليه الأسقف بارنز قد استمده الذين كتبوا بيانات عن عيد الميلاد في دائرة المعارف البريطانية ودائرة معارف شاميرز ، فقد ورد في الطبعة الخامسة عشرة من المجلد الخامس في الصفحة ٦٤٢ ، ٦٤٣ أ من دائرة المعارف البريطانية ما يلى : لم يمتنع أحد مطلقاً بتعيين يوم أو سنة لميلاد المسيح - ولكن حينما صمم آباء الكنيسة في عام ٣٤٠ بعد الميلاد على تحديد تاريخ للاحتفال بالعيد - اختاروا بحكمه يوم الانقلاب الشمسى في الشتاء الذى استقر في أذهان الناس - وكان أعظم أعيادهم أهمية ، ونظراً إلى التغييرات التى حدثت في التقويم - تغير وقت الانقلاب الشمسى وتاريخ عيد الميلاد بأيام قليلة .

٣ - ورد في دائرة معارف شاميرز الآتى :

كان الناس في كثير من البلاد يعتبرون الانقلاب الشمسى في الشتاء يوم ميلاد الشمس - وفي روما كان يوم ٢٥ ديسمبر ، يحتفل فيه بعيد وثنى قومي - ولم تستطع الكنيسة أن تلغى هذا العيد الشعبى - بل باركته كعيد قومي لشمس البر .

٤ - يقول بيك من علماء تفسير الكتاب المقدس :

لم يكن ميقات ولادة المسيح شهر ديسمبر على الإطلاق ، فعيد الميلاد عندنا قد بدأ التعارف عليه أخيراً في الغرب (٢) .

٥ - هناك دليل تاريخي ثابت موثوق به يوضح أن المسيح ولد في شهر

(١) كتاب ظهور المسيحية للأسقف بارنز .

(٢) تفسير الكتاب المقدس للدكتور بيك ص ٧٢٧ .

أغسطس أو سبتمبر ، فقد كتب الدكتور جون د . أفيز في كتابه (قاموس الكتاب المقدس) تحت كلمة سنة أن البلح ينضج في الشهر اليهودي أيلول . كما ورد في صفحة ١١٧ من كتاب تفسير الكتاب المقدس لبيك العبارة الآتية : « إن شهر أيلول يطابق عندنا شهر أغسطس وسبتمبر » .

٦ - ويقول الدكتور بيك في مناقشة جون ستوارت لدونة من معبد انجوراً : وعبارة وردت في مصنف صيني قديم ، يتحدث عن رواية وصول الإنجيل للصين سنة ٢٥ - ٢٨ ميلادية حيث حدد ميلاد المسيح في عام ٨ قبل الميلاد في شهر سبتمبر أو أكتوبر ، وحدد وقت الصلب في يوم الأربعاء عام ٢٤ ميلادية (١) .

النتائج التي تستخلص مما تقدم :

١ - ونخلص من كل ذلك طبقاً للبحوث السابقة التي أجريت حالياً على أصول المسيحية أن المسيح لم يولد في ديسمبر أو يناير ولكن في أغسطس أو سبتمبر . ويكون حمل السيدة مريم لم يبدأ في مارس أو أبريل كما يريد مؤرخو الكنيسة أن يلزموا الناس باعتقاده بل بدأ حملها في نوفمبر أو ديسمبر .

٢ - إن القرآن الكريم يستخلص من تفسيره أن المسيح مولود في أغسطس أو سبتمبر وهذا يتفق مع الحقائق التاريخية ، ومع رواية إنجيل لوقا وإن كان ذلك دون قصد وأنه يظهر مما حكاه القرآن عن السيدة مريم أنها كانت ترقد عند ولادتها في سقيفة على مكان مرتفع من التل حيث تقف نخلة على منحدر منه ، وكان من الميسور لها أن تصل إلى جذعها وتهزه ، وكثرة النخيل في منطقة بيت لحم واضحة في الكتاب المقدس في الإصحاح الأول من سفر القضاة . وكذلك قاموس الكتاب المقدس المؤلف بمعرفة

(١) مستخلص من ترجمة من الإنجليزية من مجلة الأديان الشهرية العدد الخامس - أكتوبر سنة ١٩٦١ الصادر في الباكستان الغربية بمعرفة الأستاذ أحمد فتحى ناصف بالشئون القانونية بوزارة الداخلية ومنشور له بمجلة لواء الإسلام السنة السادسة عشرة العدد الأول غرة رمضان سنة ١٣٨١ - ٦ فبراير سنة ١٩٦٢ .

الدكتور جون ريفنز . كما أن حقيقة إرشاد السيدة مريم إلى نبع كما ورد في القرآن الكريم لتشرب منه تشير إلى أن ميلاد المسيح قد حدث فعلاً في شهر أغسطس أو سبتمبر وليس في ديسمبر حيث يكون الجو بارداً كالثلج في كورة اليهودية وحيث لا رطب فوق النخيل حتى تهز جذع النخلة فتساقط عليها رطباً جنياً .

قال تعالى :

« فناداها من تحتها ألا تخزني قد جعل ربك تحت سرياً » .

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً . فكلى واشربى وقرى عيناً » (١) .

والمعنى :

أى أنه جعل قربها جدولاً صغيراً كان قد انقطع ماؤه ثم جرى وامتلاً وسمى سرياً لأن الماء يسرى فيه ، وأنه في إماكنها أن تتناول من الرطب الصالحة للاجتماع إذا أرادت أن تأكل ، وإذا أرادت أن تشرب أهكنها ذلك من جدول الماء الصغير الذي كان يسرى بجانبها (٢) .

(١) الآيات من سورة مريم ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) صفوة البيان لمعانى القرآن - لفضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف .

الباب الخامس

بولس الرسول

١ - تاريخ بولس وأثره في النصرانية .

٢ - أقوال كتاب النصرانية عنه .

الفصل الأول

تاريخ بولس وأثره في النصرانية

بولس الرسول

من هو بولس الرسول :

ورد في سفر أعمال الرسل تفصيل لحياة بولس، ويتضح منه أن مولده كان في طرسوس وتربي في أورشليم ، وأن اسمه الأصلي شاول (١) .

وأنه من الفريسيين الذين يقولون أن هناك قيامة يشاركون فيها ملك المسيح في الدنيا (٢) . ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخرون فريسيون صرخ في الجمع : أيها الرجال الإخوة . . . أنا فريسي على رجاء قيامة الأموات .

ولكن من العجب العجاب ما جاء في آخر إصحاح ٢٢ من سفر الأعمال قوله أنه روماني . انظر إلى قوله « فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف : أيجوز لكم أن تجلدوا إنساناً رومانياً غير مقضى عليه . . » إلخ .

ولوقت تنحى عنه الذين كانوا مزعمين أن يفحصوه ، واختشى الأمير لما علم أنه روماني لأنه قيده . فهل ياترى كان بولس حقيقة رومانياً ولم يكن يهودياً ، أم أن هذا كان حيلة من بولس فرعم أنه روماني ليفلت من عقابه بالسياط ، وأصر على ذلك عندما روجع فيها فتم له الإفلات من العقاب بتلونه في جنسيته .

(١) انظر سفر الأعمال إصحاح ٢٢ عدد ٣ .

(٢) انظر إصحاح ٢٣ من سفر الأعمال عدد ٦ .

هل كان بولس من تلاميذ المسيح أو حواريه .

لم يكن من تلامذة المسيح أو حواريه ، بل لم ير المسيح في حياته ولم يسمع منه أية موعظة من مواعظه ، بل كان عدواً للمسيحيين واضطهاده مستمر لهم ، وقد حكى ذلك عن نفسه في سفر أعمال الرسل بأنه سافر من أورشليم إلى دهشق ليأتى بالمسيحيين ليعاقبوهم اليشقي غليابه بالكيد وإيصال الأذى إليهم .

١ - في الإصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل نجد الآتي - « وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في أورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء استفانوس ، وعملوا عليه مناحة عظيمة ، وأما شاول فكان يسطو على الكنيسة وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساءً ويسامهم إلى السجن » (١) .

٢ - وفي رسالة بولس إلى أهل غلاطية عن نفسه « فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي » (٢) .

٣ - وجاء في الإصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل .

« أما شاول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطالب منه رسائل إلى دهشق إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً أو نساء يسوقهم إلى أورشليم » (٣) .

(١) أعمال الرسل إصحاح ٨ من عدد ١ إلى عدد ٣ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ١ عدد ١٣ ، ١٤ .

(٣) أعمال الرسل إصحاح ٩ عدد ١ وما بعده .

٤ - وجاء في الإصحاح ٢٢ من سفر الأعمال عن بولس مخاطب اليهود قوله :

« كنت غيوراً لله كما أنتم جميعكم اليوم . واضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيداً ومسلماً إلى السجون رجالاً ونساء . كما يشهد أيضاً رئيس الكهنة ، وجميع المشيخة الذين إذا أخذت منهم رسائل للإخوة إلى دمشق ، ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيدين لكي يعاقبوا » (١) :

كيف دخل بولس المسيحية أو النصرانية ؟

١ - لقد انتقل من حاله التي كان عليها في عدوانه للمسيحية فجأة إلى المسيحية من غير مقدمات ولا تمهيدات مهدت إلى ذلك ، اللهم ما حكاه عن نفسه في سفر الأعمال في الإصحاح التاسع بأن ذلك جاء نتيجة ما شاهده من نور خلال رحلته إلى دمشق ، وبعد هذه المشاهدة أخذ على عاتقه أن يبشر يسوع المسيح ابن الله الحي الذي بعثه الله ليكون فداء للبشر وكفارة عن ذنوبهم وخطاياهم منذ زلة آدم أبي البشر . وهذه التعاليم غريبة عن المسيحية الأصيلة تبناها بولس في دعواه للمسيحية .

انظر ما ورد في الإصحاح التاسع من سفر الأعمال .

وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق فبغته أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي أنت تضطهده ! صعب عليك أن ترفس مناخس . فقال وهو مرتعد ومتحير يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له الرب : قم وادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي أن تفعل ... ثم ورد الآتي :

(١) المرجع السابق إصحاح ٢٢ عدد ٣ ، ٤ ، ٥ .

وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله (١) .

كما ورد في الإصحاح السادس من رسالة بولس إلى أهل رومية عدد ٦ ، ٥ .

« لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صاب معه ليبطل جسد الخطية كي لا تعود تستعيد أيضاً للخطية (٢) .

٢ - ومن الطبيعي بعد دخول بولس (الذي كان يسمى شاول) في المسيحية أن يحاول الاتصال بحواريي المسيح وتلاميذه ، ولكنهم خافوا منه ولم يصدقوا إيمانه ولكن شهد له برنابا تلميذ المسيح طبقاً لما جاء في الإصحاح التاسع فاطمأنوا إليه طبقاً للآتي : (٣) .

« ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ . فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل وحدثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلمه ، وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع » ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة في الدعاية للمسيحية بصحبة برنابا في رحلاته الكثيرة حتى اختلفا فافترقا كل منهما عن الآخر .

على من تلقى بولس مبادئ المسيحية :

١ - لم يبين سفر الأعمال على من تلقى بولس مبادئ المسيحية التي أخذ يبشر بها والتي دونها في رسائله الأربع عشرة ، والتي يضيف إليها بعض الكتاب المسيحيين سفر الأعمال وينسبه إليه لا إلى لوقا . ومع أن رسائل بولس هي الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادئ في العقيدة وفي

(١) المرجع السابق إصحاح ٩ عدد ٣ وما بعده ثم عدد ٢٠ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٦ عدد ٥ ، ٦ .

(٣) سفر أعمال الرسل إصحاح ٩ عدد ٢٦ وما بعده .

الشعائر ، فإن الكتب المسيحية لم تبين أيضاً على من تلقى بولس تلك المبادئ المسيحية التي تضمنتها رسائله .

٢ - ويبدو من واقع الحال لدى المسيحيين أنهم يعتقدون أن بولس لم يكن في حاجة إلى تلقى تلك المبادئ ، لأنه انتقل من مرتبة الكافر المناوئ للمسيحية إلى مرتبة الرسل المبشرين بها فصار ملهماً ينطق بالوحي في اعتقادهم ، لذلك لم يكن في حاجة إلى التعليم والدراسة ، لأن الوحي كفاه مؤونة الدرس والتحصيل .

وقد ذكر بولس عن نفسه ذلك في رسالته إلى أهل غلاطية الإصحاح الأول :

« وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقباه من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » (١) .

وبدعوى بولس هذه التى يزعم فيها أن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح صادر حق التلاميذ والحواريين في أن يناضلوه فيما ينشره من تعاليم ، ولو كانت مخالفة للتعاليم التى تلقوها مباشرة من المسيح وقت وجوده معهم وقبل ذهابه عنهم .

٣ - ولقد استطاع بولس بنشاطه وذكائه وحيلته البارعة ، وقوة تأثيره في نفوس الجماهير ، وسيطرته على مشاعرهم ، أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية ، وأن يفرض ما ارتآه على المسيحيين فيعتنقوه ديناً ويتخذوا قوله حجة واهمين أنه وحي أرسل به ورسالة قام بتبليغها ، فخدع التلاميذ المخلصين للمسيح وحملهم على نسيان ماضيهم ، وأضعف ذواتهم بجانب شخصيته القوية ، التى كان تأثيرها شديداً على الجماهير ، مع أن دعواه مرفوضة بحكم المنطق والعقل ، إذ كيف يمكن التصديق بنزول المسيح من

(١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية عدد ١١ ، ١٢ .

السماء على حداعتقادهم وظهوره إلى هذا اليهودى الذى كان عدواً له ولتلاميذه فيجعلهم رسولاً ومؤتمناً على تعاليمه بعد ذهابه من الأرض بأعوام، مع أن بطرس كان حياً ويكرز فى اليهودية، وهو الوصى عنه بنص الإنجيل، فنفت تعاليمه المنحرفة على العامة دون أن يستطيع التلاميذ رد قوله، وحتى لقد صارت المسيحية الحاضرة مطبوعة بطابعه منسوبة إليه، وإن كان قد اشتق كلمة المسيحية من المسيح وأسبغها على النصرانية التى دونها فى تعاليمه ودعا الناس إليها.

٤ - لما رأى بولس خضوع العامة من المسيحيين له، وتمكن حبه فيهم انتهز تلك الفرصة ومكر بأمة المسيح وتعاليم المسيح، فأشار فى تعاليمه بإبطال شريعة التوراة، وأدخل فى عقيدة المسيحية الخرافات وعقائد الكفر ففسد لهم التثليث، وحلل لهم لحم الخنزير، وأباح كافة المحرمات، وأبطل الهيكل والسبت والختان.

ولهذا قامت ضده طوائف المسيحيين فى آسيا، ورفضت تعاليمه وإنجيله، ووضح كل ذلك فى رسالته الثانية إلى تيموثاوس إذ يقول: أنت تعلم هذا أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى (١).

٥ - ولما يشس من قبول الشرقيين فى عصره لتعاليمه الغربية، التجأ إلى الشعوب الأوربية، وصار يبث بينهم تعاليمه شيئاً فشيئاً، حتى تمكن منهم، فأباح لهم كافة المحرمات، ورفع عنهم جميع التكاليف، فوافق مذهبه مشارب الوثنيين فى أوروبا، فكثرت تابعوه ومقلدوه فى حياته وبعد مماته، وخالفوا فى عقائدهم المسيحيين الحقيقيين أتباع المسيح، مما أدى إلى وقوع المنازعات والخلافات، ثم الاضطرابات بينهم، فأريق دم الألوفاً مما لا يعلم عددها إلا الله سبحانه وتعالى.

انظر رسالة بولس إلى أهالى رومية، عن إبطال الناموس وهو التوراة، (إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس) (٢).

(١) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس إصحاح ١ عدد ١٥ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٣ عدد ٢٨ .

وأما الآن فقد تحررنا من الناموس إذ مات الذى كنا ممسكين فيه حتى
نعبد بجدة الروح لا بعتق الحرف (١) .

مع أن المسيح حسب تعاليمه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمل .

٦ - ولقد كانت الشعوب الأوربية تحت سيطرة الإمبراطورية
الرومانية ، حيث كانوا أرقاء فى غالبيتهم يعيشون فى ألم الذل وعذاب
العمل ، وقد وجدوا فى القضية التى انتحلها لهم بولس الرسول من أن الله
أرسل ابنه الحبيب ليتألم ويتعذب على الأرض كفارة عن ذنوب الخاطئين
عزاء لآلامهم وأحزانهم ، وأن فى اقتراب ملكوت السماء وقرب قدوم
المسيح لإنقاذهم أملا فى التحرر من ربة الاستعباد الذى هم فيه .

٧ - ولكى يضمن بولس عدم اعتراض السلطات الرومانية على
دعوته لم يفته أن يوصى العبيد بخدمة أسيادهم بأمانة وإخلاص مهما قسوا
عليهم وعذبوهم وأعتوهم ، حتى يمكن القول أنه مبدع نظرية السلطان
الإلهى فهو يقول فى رسالته إلى أهل أفسس : (٢) « أيها العبيد . أطيعوا
سادتكم حسب الجسد بخوف ورعدة فى بساطة قلوبكم كما للمسيح »
ويقول فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس « جميع الذين هم عبيد تحت نير
فليحسبوا سادتهم مستحقين كل إكرام لئلا يفترى على اسم الله وتعليمه .
والذين لهم سادة مؤمنون لا يستهينوا بهم ، لأنهم إخوة بل يخدموهم أكثر
لأن الذين يشاركون فى الفائدة هم مؤمنون ومحبوبون » كما يقول فى رسالته
إلى تيطس « والعبيد أن يخضعوا لسادتهم ويرضوهم فى كل شئ غير
منافضين ، غير مختلسين ، بل مقدمين كل أمانة صالحة » (٣) .

(١) المرجع السابق إصحاح ٧ عدد ٦ .

(٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس . إصحاح ٦ عدد ٥ ورسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس

إصحاح ٦ عدد ١ وما بعده .

(٣) رسالة بولس إلى تيطس إصحاح ٢ عدد ٩ وما بعده .

ولذلك فقد تركته السلطات الرومانية يبشر بدعوته التي لا حرج منها ولا خطر ، ما دامت تقضى بمضاعفة العبيد لجهودهم في خدمة أسيادهم وخضوع الرعية لحكامهم .

٨ - إن الأفكار التي بشر بها بولس لم تكن غريبة عن دنيا الرومان وقتئذ ، فقد كانت عبادة الإله ميترًا من الديانات المنتشرة ، والمسيح الإله هو صورة طبق الأصل من خصائص الإله ميترًا، وهذا ما جاء تفصيلاً في المقارنة بين المسيحية والأديان الوثنية قبل ذلك .

ولما تولى قسطنطين حكم الدولة الرومانية وشاء أن يدخل في المسيحية ورأى الخلافات في العقيدة بين طوائف المسيحية خصوصاً بين الموحدين لله من أنصار آريوس ، وبين أنصار عقيدة التثليث ، كذلك الخلافات في الأناجيل المنسوبة للمسيح ، لذلك دعا إلى عقد مجمع نيقية في أوائل القرن الرابع الميلادي سنة ٣٢٥ ذلك المجمع الذي انتهى إلى اختيار أربعة من الأناجيل التي تؤيد العقيدة التي أقرها ذلك المجمع في ألوهية المسيح طبقاً لآراء بولس . وأمر بإعدام باقي نسخ الأناجيل التي تعارض عقيدة بولس في المسيح وتشهد بالوحدانية لله وللرسالة والنبوة فقط للمسيح .

٩ - ولقد نعى القديس برنابا في مقدمة إنجيله التي عثر عليها في أواخر القرن (الثامن عشر) في بيئة مسيحية خالصة نعى على « عديمي التقوى والإيمان الذين قاموا بدعوى التبشير بتعاليم المسيح ببث تعاليم أخرى شديدة الكفر ، داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائماً مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم أيضاً بولس » (١) .

١٠ - نعى بطرس رئيس الحواريين في آخر رسالته الثانية على بولس بأنه حرر برسالته أشياء عسرة الفهم ، وتحرفت بواسطة أناس غير ثابتين ، كما حرفوا باقي الكتب طبقاً لما هو مذكور في رسالة بطرس الثانية (٢) .

(١) إنجيل برنابا ترجمة الدكتور خليل سعادة .

(٢) رسالة بطرس الثانية عدد ١٥ ، ١٦ ، وما بعده . الإصحاح الثالث .

« كما كتب إليكم أخونا الحبيب بولس أيضاً بحسب الكلمة المعطاة له
كما في الرسائل كلها أيضاً متكلماً فيها عن هذه الأمور التي فيها أشياء عسرة
الفهم يحرفها غير العلماء وغير الثابتين كباقي الكتب أيضاً لهلاك أنفسهم » .

ومعنى ذلك أن بولس أدخل في تعاليم المسيح ما ليس منها فلاها
بالخرافات التي لا تفيد إلا معنى الشرك ، ويقول صاحب كتاب الفارق
بين المخلوق والخالق ، ناعياً على بولس ما اقترفه في حق المسيحية مصداقاً
لقول السيد المسيح :

« ويقوم أنبياء كذبة ويضلون كثيرين » .

مما يقتضى الحكم بدون تردد بأن بولس هذا أحد هؤلاء الأنبياء الكذبة ،
إن تلونه في الأقوال وتردده في الأعمال كما هو واضح في رسائله دليل
واضح على أنه لم يرد إلا غش أتباع المسيح المخلصين ، إذ أخرجهم من سلك
الكتابيين إلى عقيدة باطلة في الألوهية طبقاً للآتي : -

(أ) أخذ من عقيدة المجوسية في تعاليمه فترى النصراني يشبهونهم في
السجود لمطلع الشمس .

(ب) وأخذ جزءاً من عقيدة المشركين وعبدة الأصنام ، لأنهم يسجدون
للخمر والخميرة ، والصليب .

(ج) وأخذ الجزء الثالث من عقيدة البراهمة الهنود فإنهم يزعمون
مثلهم أن الإله ثلاثة أقانيم (١) .

١١ - والحق أبلج ولو تكاثفت على حججه دياجير الظلم والظلمات
لذلك فإنه وجد في العصور المسيحية من كانوا يثيرون مناقشات قوية حول
أقوال بولس منكرين لها مبطلين إياها ، ومن هؤلاء الناس القس عبد الأحد
داوود ، فتراه يقول الآتي :-

(١) الفارق بين المخلوق والخالق للأستاذ محمد أفندي باجى جى زادة .

« إن بولس يبجل ويعظم رجلا اسمه عيسى أميت ومات ثم أحيى (على زعمه بعد ذلك) وإن خمس عشرة رسالة من كتب العهد الجديد تحمل اسم الرسول المشار إليه ، فلا محل للحيرة إذا قلت إن المؤسس الحقيقي للمسيحية الحاضرة هو بولس ، فإن شاؤل الشاب الطرسوسي من سبط بنيامين ومن مذهب الفريسيين ، وتلميذ أحد علماء الدهر عضو مجلس صافهدرين المدعو عمائيل . . الذي كان يجتهد في محو اسم عيسى وأتباعه من الأرض والذي رأى أخيراً عدوه الناصري في السماء لامعا ، داخل الأنوار وقت الظهر أمام دمشق ، اهتدى وتسمى باسم بولس ، وهو الذي وضع أساس العيسوية (الحالية) (١) .

ويقول الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة أن لبولس شأنًا كبيرًا في المسيحية ، فهي تنسب إليه أكثر مما تنسب لأحد سواه ، فرسانائه هي التي شرحتها ، وترحاله وتطوافه في الأقاليم التي كانت خاضعة للدولة الرومانية شرقًا وغربًا للدعوة إليها .

وقد تأثر المسيحيون خطاه ، وتعرفوا أخباره وأتواله ما دونه منها في رسائله ، وما ألقاه في الجموع وتناقلوه وإن لم يدونوه ، وقد احتذوه في أعمالهم وسلكوا مسلكه واعتبروه القدوة الأولى ، فهل كانت منزلته في المسيحية الأولى كمنزلته في المسيحية الحاضرة حتى يصلح أن يكون بولس هذا حلقة الاتصال بينهما (٢) (لترك الإجابة على ذلك إلى كل عاقل لبيب) .

(١) الإنجيل والصليب للأستاذ عبد الأحد داوود .

(٢) محاضرات في النصرانية للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

تاريخ بولس ومبادئه من واقع رسائله المعتمدة لدى الكنائس

١ - يقول بولس عن نفسه في رسالة أعمال الرسل الآتي .. وذلك في إصحاح ٢٣ عدد ٦ وفي رسالة بولس إلى غلاطية الإصحاح الأول عدد ١٣ - ١٤ .

« أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات » فإنكم سمعتم بسيرتي قبلا في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها ، وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي ، إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي .

٢ - ويقول لوقا عنه في أعمال الرسل إصحاح ٧ عدد ٦٠ ، إصحاح ٨ عدد ٣ ، إصحاح ٩ عدد ١ ، ٢ : « وكان شاول راضياً بقتله والمقتول من المسيحيين ، وكان يسطو على الكنيسة ، ويدخل البيوت ، ويجر رجالاً ونساء ويسلمهم إلى السجن ، ولم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب ، فتقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ، إلى الجماعات ، حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالاً ونساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم . »

٣ - وأورد لوقا قصة دخول شاول هذا المسيحية في إصحاح ٩ عدد ٣ إلى ٢٠ من أعمال الرسل :

« وعندما كان بولس قريباً من دمشق » فبغتة أبرق حوله نور من السماء ، فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً : شاول شاول ، لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير : يارب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : قم وكرز بالمسيحية . ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيرت وجه التاريخ (١) هي « وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح ، إن هذا هو ابن الله » .

(١) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبي .
(١٧ م - النصرانية والإسلام)

ولم تكن هذه الفكرة عرفت من قبل ، فأصبحت نقطة التحول في الدراسات المسيحية .

وقد حدث هذا التطور لشاول أو حدث في تفكيره وهو في الطريق من أورشليم إلى دمشق، وكان ذلك حوالى سنة ٣٨ ميلادية ، وبذلك دخل بولس أو شاول المسيحية وأصبح معلماً لها (١) .

كيف تعلم شاول المسيحية ومن هم أساتذته وقتئذ :

إن شاول قد أعد لهذا السؤال إجابة شبيهة بقضية دخوله المسيحية عرضها حتى لا تناقش فقال : « وأعرفكم أيها الإخوة : الإنجيل الذى بشرت به أنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبه من عند إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع المسيح » .

وواضح كل ذلك فى رسالة غلاطية لإصحاح ١ عدد ١١ ، وعدد ١٢ .

وهكذا أخذ شاول الذى أصبح يدعى بولس بعد دخوله المسيحية الزمام فى يده ، فهو لم ير المسيح قط ، ولا سمعه يتكلم ، ولكنه قال بصلة مباشرة بينه وبين المسيح ، صلة أدخلته المسيحية وسكبت فى نفسه تعاليمها ، بهانه الدعوى لم يصير لأحد حق فى أن يناضله فيما ينشره من تعاليم ، ما دام يقول أن هذه التعاليم تلقاها مباشرة من السيد المسيح ، فلم يقيد نفسه بما تلقاه سواه من عيسى ، بل راح يقول فى صراحة أنه الوحيد الذى أوثمن على المسيحية وعلى إنجيل مجد الله المبارك . وعلى هذا لم يكن لبولس أسانذة تلقى عنهم المسيحية (٢) .

(١) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبى .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى تيطس ص ١ عدد ٣ ورسالة بولس الرسول إلى تيموثاوس

الأولى ص ١ عدد ١١ .

موقف زملاء بولس منه وكذا تلاميذه وأنصاره :

١ - لقد تشكك بعض حوارى السيد المسيح فى بولس وخصوصا أنه كان أكبر أعدائهم ، ولكن يتضح من الاطلاع على رسالة أعمال الرسل ، أن الحوارى برنابا دافع عنه وأحسن تقديمه إلى هؤلاء (١) ، ثم حدث أن انفض أكثر أنصار بولس عنه ولم يبق معه سوى تيموثاوس والطيب لوقا . أما أنصاره الباقون فقد تركوه وقد عددهم فى رسالته إلى تيموثاوس الثانية (٢) إذ يقول لتلاميذه المذكور « أنت تعلم أن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى » . ويقول فى نفس الرسالة إلى تلميذه سالف الذكر « بادر أن تجيء إلى سريةا ، لأن ديماس قد تركنى ، إذ أحب العالم الحاضر وذهب إلى تسالونيكي ، وكريسكيوس إلى غلاطية ، وتيطس إلى دلماطية ، لوقا وحده معى . اسكندر النحاس أظهر لى شرورا كثيرة ليجازاه الرب حسب أعماله فاحتط منه أنت أيضا ، لأنه قاوم أقوالنا جدا فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى » (٣) .

٢ - بل إن برنابا الذى أيد بولس ودافع عنه وقدمه لأنصار المسيح ، ترك بولس بعد أن ظهرت اتجاهاته ، وفى ذلك يقول بولس فى رسالة غلاطية « حتى أن برنابا أيضا انقاد إلى ربائهم » أى رياء الآخرين « (٤)

٣ - ولقد نعى يوحنا فى رسالة يوحنا الأولى على معارضية وهى نفس أفكار بولس إذ يقول :

« وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى ، قد صار أضداد للمسيح كثيرون ، مناخر جوا لكنهم لم يكونوا منا ، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا . . . من هو الكذاب إلا الذى ينكر أن يسوع هو المسيح ، هذا هو ضد المسيح الذى ينكر الآب

(١) أعمال الرسل إصحاح ٩ عدد ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) رسالة بولس الرسول إلى تيموثاوس الثانية إصحاح ١ عدد ١٥ .

(٣) المرجع السابق إصحاح ٤ من عدد ٩ إلى عدد ١٦ .

(٤) رسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ٢ عدد ١٣ .

والابن ، كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضا ، ومن يعترف بالابن
فله الآب أيضا ، كتبت إليكم هذا عن الذين يضلونكم « فهو هنا ينمى
على من ينكرون الابن ولا يعترفون بألوهيته (١) .

أما موقف أنصار المسيح وأولئك الذين نعى عليهم بولس أنهم ينكرون
الابن ولا يعترفون بألوهيته . فمن المقطوع به أن هؤلاء كتبوا وتكلموا
وناضلوا وقاوم البعض أقوال بولس مثل اسكندر النحاس وبرنابا الذى
يقول عنه إنه انقاد إلى رياء الآخرين ، وكان ما كتبوه ودونوه دفاعا عن
آرائهم التى آمنوا بها فى التوحيد ، وهؤلاء منهم من كان من الحواريين
الذين رأوا المسيح وصاحبوه ولكن ما كتبوه لا يوجد والأمر لا يعدو
واحدا من احتمالين اثنين (٢) .

أولهما : أن ما كتبه هؤلاء إما أن يكون قد ضاع ودمرته يد الطغيان
والغوغاء فى العصور المظلمة كما دمرت إنجيل عيسى نفسه .

ثانيهما : أن بعض ما كتبه هؤلاء ربما استطاع أن ينجو من التدمير
وأخفاه ذوهه ، وتوارثه الأبناء والأحفاد حتى انعقاد مجمع نيقية الذى كان
من صلاحياته اختيار كتاب مقدس للمسيحيين ، فقدمه هؤلاء الأبناء
والأحفاد للمجتمعين ، ولكن القائلين بالتوحيد وهم الأغلبية الساحقة بهذا
المجمع غلبوا على أمرهم ، وانعقد المجمع بدونهم فى أقلية تقول بألوهية
المسيح ، واتخذت قرارا بذلك ، وهؤلاء الأقلية هم أنفسهم الذين اختاروا من
بين الأناجيل والرسائل الموجودة والمعروضة على المؤتمر مالا يعارض هذا
القرار ، وقضوا على سواهما بالفناء ، ولم يظهر من الثروة التى قضى عليها
بالدمار إلا إنجيل برنابا الذى اكتشف أمره فى أوربا فى القرن الثامن عشر
فى بيئة مسيحية خالصة ، ويتبين من الاطلاع عليه أن برنابا يذكر فيه أنه ألف

(١) رسالة يوحنا الأولى إصحاح ٢ عدد ١٨ وما بعده .

(٢) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبى .

هذا الإنجيل ليرد به على الضلالات التي يذيعها بعض الناس ، ومنهم بولس ، ضد السيد المسيح وضد تعاليمه ، مما يترجح معه القول بصحة نسبة إنجيل برنابا إلى هذا الحوارى الجليل ، والذي يقول عنه بولس في رسالته إلى أهل غلاطية « حتى أن برنابا أيضا انقاد إلى رياء الآخرين » (١) .

وماريا الآخريين في نظر بولس إلا الدعوة وكتابة تعاليم تفند تعاليم بولس .

ما أحدثه بولس في تشريع المسيحية :

أولا : لقد كتب بولس عدد ١٤ رسالة وهي وحدها تمثل في حجمها الرسائل جميعاً ، حتى ليتمكن القول دون تردد أن رسائل بولس هي وحدها مصدر التشريع في المسيحية ، وأن التشريعات التي وردت في الرسائل الأخرى كانت تكراراً وصدى لآراء بولس وتشريعاته .

ثانياً : لم يكتف بولس بما وضعه من مبادئ في المسيحية وشعائر لها ، بل شرع قوانين للمسيحيين يتبعونها في حياتهم العامة كالآتي :

١ - فهو الذي أوصى بما نراه اليوم في الكنائس من الأغاني والمزامير والتراتيل ، ويتبين ذلك من الاطلاع على رسالته إلى أهل أفسس (٢) .

٢ - قرر عدم وجوب الختان كما هو موضح في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ٧ « ليس الختان شيئاً ، وليست الغرلة شيئاً ، بل حفظ وصايا الله » (٣) بل طالما صرح في رسالته بقوله « ما هو نفع الختان » كما هو مذكور في رسالته إلى أهل رومية (٤)

-
- (١) رسالة بولس إلى أهل غلاطية إصحاح ٢ عدد ١٣ .
 - (٢) رسالة بولس إلى أهل أفسس إصحاح ٥ عدد ١٩ .
 - (٣) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ٧ عدد ١٩ .
 - (٤) رسالة بولس إلى أهل رومية إصحاح ٣ عدد ١ .

٣ - أجاز الزواج للأساقفة ، وظاهر كل ذلك في رسالة تيموثاوس الأولى، إذ يقول « فبجب أن يكون الأسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة، وليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة » (١) .

٤ - تكلم في رسالة كورنثوس الأولى عن العلاقة بين الزوج والزوجة وعن واجب الزوجة فيقول « أريد أن تعلموا أن رأس كل رجل هو المسيح، وأما رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله ، الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده ، وأما المرأة فهي مجد الرجل ، لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل ولأن الرجل لم يخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل » (٢) .

وفي رسالة أفسس يقول « أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة ، أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » (٣) .

وفي رسالة كورنثوس الأولى يقول :

لتصمت نساؤكم في الكنائس ، لأنه ليس مآذونا لمن أن يتكلمن بل يخضعن كما يقول الناموس أيضاً ، ولكن إن كن يردن أن يتعلمن شيئاً فليساألن رجالهن في البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلمن في كنيسة (٤) .

٥ - وفي رسالة إفسوس ينهى بولس عن السرقة والزنا والكذب والسب والسفاهة والطمع والهزل وعبادة الأوثان (٥) .

(١) رسالة بولس إلى تيموثاوس الأولى إصحاح ٣ عدد ٢ ، عدد ١٢ .

(٢) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ١١ من عدد ٣ إلى عدد ٩ .

(٣) رسالة بولس إلى أهل أفسس إصحاح ٥ عدد ٢٢ ، ٢٥ .

(٤) رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس إصحاح ١٤ عدد ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) رسالة بولس إلى أهل أفسس الإصحاح ٤ من عدد ٣٥ إلى ٣٩ والإصحاح ٥

ما أحدثه بولس في المسيحية :

يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته لالتظاهر بالدخول فيها ، ليستمر في حربها بسلاح جديد ، سلاح التهديم من الداخل ، بإفساد معالمها ومسحها ، فدخلها في الظاهر ليأخذ من ذلك سلاحاً يطعن بها ، فلقد أحدث بولس في المسيحية أحداثاً خطيرة ، بحيث يمكن القول بأنه طمس الديانة المسيحية الحقيقية التي جاء بها عيسى عليه السلام ، وخلق ديناً جديداً سلب له كلمة المسيحية فوضعها عليه وذلك طبقاً للآتي :

- ١ - نقلها من ديانة إلى بني إسرائيل إلى ديانة عالمية .
- ٢ - نقلها من التوحيد إلى التثليث .
- ٣ - قال بألوهية المسيح وألوهية الروح القدس .
- ٤ - اخترع قصة الفداء للتكفير عن خطيئة البشر .
- ٥ - أغنى المعالم الهامة التي نادى بها عيسى نفسه كالأختان وعدم أكل الخنزير .

٦ - أهمل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود ، وجعل عطلة الأسبوع يوم الأحد ، وبمعنى آخر أن المسيحية الحالية لا تمثل المسيحية الحقيقية بحال ، بل إن هذه الديانة هي وضع بولس . وليست الوحي الذي نزل من الله إلى المسيح عيسى أو يسوع بن مريم .

والتشريع في المسيحية لم يتوقف عند حد الرسل الذين كان من جملتهم بولس على ما سبق الإشارة إليه ، بل انتقل إلى الرؤساء الروحانيين وظلوا يباشرونه حتى أصبحت المسيحية ديناً رسمياً للدولة الرومانية فانتقل حق التشريع إلى المجامع المسكونية أو المليية أو الإقليمية .

وقد بلغ عدد المجامع المسكونية أو المجامع العامة عشرين مجعاً منذ القرون الأولى للمسيحية حتى سنة ١٨٦٩ ، وكان أخطر تلك المجامع مجمع

نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ ميلادية والذي انتهى بتقرير التثليث وألوهية المسيح ،
والمجمع القسطنطيني الأول سنة ٣٨١ ميلادية والذي انتهى إلى تقرير ألوهية
روح القدس استكمالاً لعقيدة التثليث ، ولذلك يقول ابن البطريق المؤرخ
المسيحي في ذلك :

« زادوا في الأمانة التي وضعها (٣١٨) أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية
الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن
مسجود له وممجد ، وثبتوا أن الآب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة
وجوه ، وثلاث خواص وحدية في تثليث وتثليث في وحدية ، كيان واحد
في ثلاثة أقانيم ، إله واحد ، جوهر واحد ، وطبيعة واحدة .

ومن المجمع الخطيرة أيضاً مجمع روما سنة ١٨٦٩ وهو المجمع رقم ٢٠
ففي هذا المجمع تقرر عصمة البابا فانتقل حق التشريع إليه كرأس للكنيسة ،
قياساً على ما ورد عن المسيح عندما قال لتلاميذه « كما أرسلني الآب ،
أرسلكم أنا » انظر إنجيل يوحنا إصحاح ٢٠ عدد ٢١ ، مع أن ذلك
لا ينصرف إلا إلى إبلاغ الرسالة الخاصة بالمسيح إلى الأمم إن صح ذلك ،
وليس إلى التشريع الذي هو من اختصاص الألوهية فقط وإبلاغ ذلك بمعرفة
المسيح ، وهكذا بفعل المجمع رقم ٢٠ انتقل التشريع وسلطان إصدار
القرارات المتعلقة بالعقيدة والأحكام إلى بابا الكنيسة في روما الجالس على
كرسي بطرس ، وأصبح حكمه قطعياً ، ومن القرارات الهامة التي اتخذتها
كنيسة روما حديثاً تبرئة اليهودية من دم المسيح (١) .

(١) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبي .

الفصل الثاني

أقوال كتاب النصرانية في بولس الرسول

ويلاز وما ذكره عن بولس وفكرة ألوهية المسيح .

يقول ويلز H. G. Wiles من كبار كتاب المسيحية في أوروبا عن هذا الاعتقاد :

١ - كان القديس بولس من أعظم من أنشأوا المسيحية الحديثة . وهو لم ير عيسى قط ولا سمعه يبشر الناس ، وكان اسم بولس في الأصل شاول - وكان في بادئ الأمر أبرز وأنشط المضطهدين لفئة الحواريين القليلة العدد . (وهم أصحاب وتلاميذ عيسى) ثم اعتنق المسيحية فجأة - وغير اسمه فجعله بولس - وقد أوتى ذلك الرجل قوة عقلية عظيمة ، كما كان شديد الاهتمام بحركات زمانه الدينية ، فتراه على علم عظيم باليهودية والميتراسية ، وديانة ذلك الزمان التي تعتنقها الإسكندرية . فنقل إلى المسيحية كثيراً من أفكارهم ومصطلح تعبيراتهم ، ولم يهتم بتوسيع فكرة عيسى الأصلية وتنسيبها وهي فكرة (ملكوت السموات) ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح الموعود فحسب ، ولا زعيم اليهود الموعود فقط بل ذكر الآتي عنه :

١ - إن المسيح هو ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصالب عن خطيئة البشر .

٢ - موته كان تضحية مثل مئات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية .

٣ - وقد استعارت المسيحية أشياء كثيرة من هذه الديانات كالتقيس

الحليق ، وتقديم النذور والهياكل والشموع والتراتيل التي كانت لعقائد متراس والإسكندرية، بل تبنت أيضاً حتى عباراتها في عباداتها وأفكارها اللاهوتية .

٤ - وراح القديس بولس يقرب إلى عقول تلاميذه الفكرة الزاهية إلى أن شأن عيسى كشأن أوزوريس ، كان رباً تم مات ليعث حياً ولينبع الناس الخلود .

وهكذا وضع بولس فكرة ألوهية المسيح ، وصادفت البذرة أرضاً خصبة في عقول أولئك الذين لهم معرفة بالفلسفات والاتجاهات التي سبقت المسيحية ، وساعد على نمو هذه الأفكار ، مصادفه المسيحيون الأول من الاضطهادات المدمرة التي التهمت كثيراً من مراجعهم وقضت على أتباع المسيحية الحقيقيين أو كادت ، وقد استمرت تلك الاضطهادات أكثر من ثلاثة قرون حتى سنة ٣١٣ ميلادية .

٥ - وفي خلال هذه القرون فقدت المسيحية طابعها من كثرة ما تأثرت بالثقافات المختلفة بل بالخرافات المتعددة ، وخرجت إلى الناس بعد هذه المدة وبعد تلك الأجيال ، وفيها تناقض ظاهر في كل تعاليمها ، وأشد أنواع التناقض هو ما اتصل بالسيد المسيح نفسه :

(أ) فقد كان بعضهم يراه رسولا ككل الرسل .

(ب) وراه آخرون إلهاً .

٦ - ولما اشتدت الاضطرابات بين الجماعات المسيحية بشأن العقيدة في المسيح ، جمع قسطنطين إمبراطور الروم البطارقة والأساقفة فيما يسمى بمجمع نيقية سنة ٣٢٥ م ، ليضع حداً لهذه الاختلافات وليقرر حقيقة المسيح ، وكان عدد المجتمعين ٢٠٤٨ ، وفي هذا الاجتماع صاح عالم مصري اسمه أريوس صيحته التي كان يرددتها دائماً : إن الآب وحده الله والابن مخلوق مصنوع ، وقد كان الآب إذ لم يكن الإبن .

٧ - أما كنيسة الإسكندرية فقد كانت عريقة التأثر بالتفكير المصرى القديم وبالفلسفة الإغريقية وبالأفلاطونية الحديثة التى تقول بالتثليث ، فقد قاومت آريوس ، وانضم إلى كنيسة الإسكندرية كنيسة روما ، واختلف المجتمعون وتضاربوا ، ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى قرار . فقرر الإمبراطور أن يفصل فى الأمر بالتدابير الشديدة ، بعد أن تبين رأى صديقه الممثل الدينى للغرب كاهن روما ، فأصدر أمره بإخراج الرؤساء الروحانيين الموحدين ، ونفى الكثير منهم ، وقتل آريوس مع بعض من أيدوا رأيه ، واجتمع الأعضاء القائلون بالتثليث وبألوهية المسيح وعددهم ٣١٨ ، فاتخذوا قراراً بذلك .

٨ - وعند كتابة نص القرار اعترض أكثرهم على عبارات المساواة بين الآب والابن ولكنهم خافوا أن ينزل بهم ما نزل بمعارضى التثليث ، فوضعوا إمضاءهم على هذه الوثيقة .

وفىما يلى نص هذا القرار :

« نؤمن بالله الواحد الآب ، مالك كل شىء ، وصانع ما يرى وما لا يرى ، وبالابن الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد ، بكر الخلائق كلها ، الذى ولد من أبية قبل العوالم كلها ، وليس بمصنوع إله حق من إله حق ، من جوهر أبية الذى بيده أتقنت العوالم ، وخلق كل شىء ، من أجلنا ومن أجل معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتجسد من روح القدس وحبل به ، وولد من مريم البتول . . و صلب أيام بيلاطوس ، ودفن ، ثم قام فى اليوم الثالث وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبية . »

ويضيف القرار للتخويف والتحذير :

« والجامعة المقدسة الكنيسة الرسولية تحرم كل قائل بوجود من لم يكن ابن الله موجوداً فيه ، وأنه لم يوجد قبل أن يولد ، وأنه وجد من لا شىء ، أو من يقول أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير جوهر الآب ، وكل من يؤمن أنه خلق ، أو من يقول أنه قابل للتغير . »

وهكذا تدخلت القوة فخلقت هذا القرار الذي اتخذته أقلية المجتمعين ، ولم تكنف القوة بذلك ، بل فرضت هذا القرار فرضاً على الناس ، وحرمت كل ما سواه ، وحرمت على الناس الحديث بما يخالفه ، وصادرت وأفتت كل ما كتب متجهاً غير ذلك الاتجاه ، وتعدت ذلك إلى اضطهاد من يقولون بالتوحيد وعزلهم عن مكان الرياسة ، ومعاقبتهم بالنفي والتشريد عند اللزوم .

وكان هذا العام ٣٢٥ أول تاريخ يتخذ فيه قرار ضد التوحيد ويحكم بألوهية المسيح :

ولكن القائلين بالتوحيد لم يهدءوا على الرغم مما لا قوا من عنت ، فنجدهم كما يروى ذلك ابن البطريق ، يعتقدون مجعاً إقليمياً في صور وقد حضره بطريق الإسكندرية ، ووجد نفسه الوحيد بين المجتمعين الذي يعتقد ألوهية المسيح ويدافع عنها ، وقد اشتد الخلاف بينه وبين الحاضرين وانتقل الخلاف من القول إلى الفعل ، فاعتدوا عليه بالضرب الشديد على رأسه وكادوا يقتلونه .

من كل ما تقدم يتضح الآتي :

١ - أن بطارقة الإسكندرية كما يقرر الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة (١) كانوا يمثلون فلسفة مدرسة الإسكندرية في مذهبها الإسكندراني أكثر من تمثيلهم المسيحية المسيح .

٢ - وأن القوة كما يقرر الدكتور أحمد شلبي (٢) أبدت كنيسة الإسكندرية وعصفت بأعدائها فضعفوا بمرور الزمن وكثرة التضحيات .

أما الكاتب المسيحي وليم باتون فيقول ما نصه : « ولم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ، ولكن عبقرية بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية ، وعرف أنها لليهودى

(١) محاضرات في النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبي .

والأممي والبربرى واليونانى والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تمييز .
ومن الواضح للذى يقرأ رسائل بولس أن بولس لم يورد دليلاً واحداً ولا
كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية ، وإنما كان تدليله على
هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره ، شأنه فى ذلك شأن التدليل على
عدم ضرورة الختان ، وعلى كثير من التعاليم التى ذكرها فى رسالته إلى
أهل رومية .

فبولس هو أول من قال بعالمية المسيحية :

ويورد على ذلك الدكتور أحمد شلبى نقداً وجيهاً هو الآتى :

١ - أن المسيحية الحالية لا تمثل المسيحية الحقيقية بحال ، فهى ليست
الوحي الذى نزل من الله على المسيح بل هى من وضع بولس .

٢ - أن المسيحية جاءت أصلاً لبني إسرائيل لتكسر حدة جشعهم
وتكالبهم على المال ، لذلك دعت إلى الزهد ، وجاءت لتقضى على روح
العداوة والانتقام الذى كان طابع العلاقة بين طوائف اليهود ، من كهنة
وفريسيين وآسيين ونذيرين وغيرهم ، لذلك دعت المسيحية إلى التسامح .

ولكن بولس نقلها إلى ديانة عالمية بالتبشير بتعاليمه عنها بين الأمم ،
وبقيت فى أناجيلها تعاليم الزهد والتسامح فلم يستقم أمرها بين تلك الأمم ،
لذلك اضطرت وتعثرت ، لأنه لم يكن من الممكن أن يعيش الزهد ومحاربة
المال فى الأحوال الاقتصادية العادية ، كذلك من غير المعقول أن يقدم المعتدى
عليه خده الأيسر للمعتدى ، ليصفعه كما صفع خده الأيمن ، ولهذا لا تجد
شعوباً مسيحية أو دولا مسيحية تدين بهذه التعاليم ، وإن كانوا لا يزالون
يحملون اسم المسيحية (١) .

(١) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبى .

ويقول جيرالد . ل. بيري أحد كبار مفكرى الغرب فى كتابه ديانات العالم ، عن المسيحية : (١) .

فى رأى الكنيسة أن المسيح الإله انقلب فأصبح إنساناً وعاش مع الناس كواحد منهم ليعلمهم طريقة مثل للعيش ، وقتل هذا الإله بمؤامرة دبرها أعداؤه ، ودفن ثم خرج من قبره وصعد للسماء ، وقد احتتمل هذه الآلام لينقذ المؤمنين به من الخطيئة ، فالذى يدرس المسيحية يجدها اقتباساً من الوثنية واليهودية ، والحياة الشرقية والرومانية ، ويجد بها عناصر أجنبية كثيرة بارزة بها كاملة أو محرفة .

١ - فمن الأفكار الفلسفية الإغريقية ، وهى وثنية ، التى اقتبسها المسيحية (الكلمة) وهى ترادف «الإله» عند الإغريق لأن الكلمات لاتفنى بالاستعمال كما لا يفنى الإله .

٢ - ومن اليهودية اقتبست المسيحية فكرة الأبوة بين الله والناس أى فكرة أبوة الإله للمخلوق وفكرة الأخوة بين الناس ، كما اقتبست المثالية التى تكلمت عنها اليهودية وإن لم يتبعها اليهود وهى الحب والرحمة والعدالة .

٣ - ومن الحياة الشرقية اقتبست المسيحية الفنون والرسوم التى ازدانت بها الكنائس ، واستعمال الفيسفساء ، والصور والبخور والأنغام .

٤ - وأخذت المسيحية من الحياة الرومانية النظم التى اتبعتها الكنائس فى توزيع السلطات بين الأقاليم الثلاثة .

ومسيحية المسيح الأصلية أوشكت أن تفنى بعد موته ، وأوشكت أن تدخل عالم النسيان ، لكن جاء شاءول الذى تسمى فيما بعد ببولس وهو يهودى رومانى من الفريسيين إحدى طبقات اليهود العليا ، لم ير عيسى ولا

سمعه يبشر الناس ، بل كان من أكبر أعداء المسيحيين في أول عهده ، فأنزله بهم ألواناً من الاضطهاد والقتل والتعذيب ، ولكنه فجأة تحول إلى المسيحية ، وكان صاحب دراية في السياسة والابتكار حيث عمل الآتي :

١ - أدخل على المسيحية التي كونها على حساب عيسى بعض تعاليم اليهود ، ليجذب له أتباعاً من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشري بواسطته أن ينال النجاة ، وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق وبخاصة في فرق ميترافزيوس فانجاز أتباع هذه الفرق إلى ديانة بولس .

٢ - ويرضى بولس المثقفين اليونان استعمار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف فيلو فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الإله أو الروح القدس .

٣ - والأنجيل الأربعة التي تنسب إلى أربعة من الحواريين لكنها في الحقيقة ليست من إنتاج هؤلاء الحواريين لأنه مما لا شك فيه أن تاريخ حياة المسيح ودعوته كانت قد كتبت بلغته الأرامية ، ولكن هذا الأصل فقد ، ولعل هذه الأنجيل قد أخذت عنه ، لكن هذه الأنجيل الأربعة كتبت باليونانية بعد وفاة عيسى بمجمل أو جيلين ، وأقدمها هو إنجيل مرقس سنة ٦٥ وآخرها إنجيل يوحنا سنة ١٠٠ م .

٤ - طور بولس فكرة المسيح من الناحية اللاهوتية والناحية الإنسانية وجعلها تتناسب مع فكرة الإنقاذ القديمة ، فقدم آداباً مستحدثة في طابع قديم مألوف ، وبهذا فصل دعوة عيسى عن اليهودية :

(أ) فلم ينفر بولس من الطقوس الوثنية ، بل على العكس اقتبس من هذه الطقوس ليضمن نشر ديانته دون أن ينفروا منها ، وليبعد ديانته بذلك أيضاً عن أن تدوب في اليهودية .

(ب) جعل عطلة الأسبوع يوم الأحد ، متبعاً في ذلك تقاليد ميتر ،
وأهمّل يوم السبت وهو اليوم المقدس عند اليهود .

(ج) وهو وإن كان قد اقتبس من اليهودية أعياد رأس السنة وعيد
القيامة وعيد الغطاس ، لكنه أطلق عليها أسماء جديدة مقتبسة من الوثنية .

فعيد الربيع أصبح عيداً لخروج عيسى من القبر ، وطقوس السر
المقدس أخذت مكان عيد التضحية عند اليهود ، وعيسى أصبح ابن الله
حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي .

واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا
حوروس وأوزوريس ، ووضعنا في كل الكنائس .

٥ - لما لاحظ أباطرة الرومان في ابتداء القرن الرابع الميلادي اهتزاز
كيان الدولة فكروا في مدى التأييد الضخم الذي يمكن أن يحصلوا عليه
من المسيحيين ، ليسندوا به تداعي الدولة الرومانية لذلك :

١ - فإنه في سنة ٣١٣ ميلادية صدر منشور أو فرمان يعترف
بالمسيحية ويساويها بالأديان الأخرى .

٢ - ثم جاء الإمبراطور قسطنطين فأعفى القسس من الضرائب
وبنى الكنائس على حساب الدولة ، وترك للكنيسة شئونها القضائية ، وجعل
الأحد إجازة رسمية .

٣ - واستمرت الدولة الرومانية في محاباة المسيحية بعد ذلك ، حتى
قضى على الوثنية نهائياً بقانون تيودوس الذي صدر سنة ٤٣٨ ، وبمقتضاه
أصبح جميع المواطنين الرومانيين أعضاء الكنيسة ، وانتشرت الديانة
الجديدة كذلك بسرعة بين برايرة الجرمان على حدود الإمبراطورية .

ومما جعل الكثير من الناس يتدفق على دخول المسيحية الآتي :

- (أ) كثرة الآنية المرصعة بالأحجار الكريمة بالكنيسة .
(ب) ادعاء الكنيسة أن النجاة تتوقف عليها .
(ج) أعلنت الكنيسة أن التعميد يغسل الماضي ويزيل الذنوب الأساسية ،
وأن مداومة الاتصال بالكنيسة تمحو ما يجد من سيئات .
هـ - أذاعت الكنيسة معجزات نسبتها إلى القديسين ، لتثبت بذلك
حقها اللاهوتي وقوتها السامية الإلهية .

وقد اشتغل الرهبان بجمع المخطوطات ونسخها ، وتقديم نسخ منها إلى
المكتبات التي تطلبها ، وبذلك حفظت التراث العلمي اليوناني واللاتيني
الذي كان على وشك أن يضيع في ظلام العصور الوسطى .

ولما كانت الكنيسة قد استعارت من الرومان أوضاع رجال الدين
وتوزيع السلطات ، فقد نظمتها طبقا للآتي :

أولا : في خلال القرون الأولى للمسيحية كانت هناك تنظيمات قليلة
في الكنيسة ، لأن المسيحيين كانوا ينتظرون عودة المسيح ليقود حياتهم ،
ومن هنا كانت كل كنيسة لها رئيس مؤقت كان يلاحظ فيه كبر السن ،
واسمه مستعار من الإغريقية ، وهو الرجل الشيخ the old man .

ثانيا : فلما لم يعد المسيح وكانت الكنيسة قد عظمت وكثر أتباعها بدأ
المسيحيون يعملون نظما أكثر دقة ودواما وهي الآتي :

١ - أصبح للكنيسة رجال منقطعون لها ولا عمل لهم سواها وكل
منهم يسمى قسيسا أو رجل دين .

٢ - أطلق على هؤلاء رجال الدين لتمييز بينهم وبين العلمانيين ،
وهم غير المنقطعين لخدمة الدين .

٣ - كبير القسس في كل مدينة أطلق عليه أسقف أو مطران .
(١٨ م - النصرانية والإسلام)

٤ - الأساقفة في المدن الرئيسية أطلق على كل منهم رئيس الأساقفة في دائرته .

٥ - من بين رؤساء الأساقفة ارتفع خمسة إلى مكان أسمى ، وأصبح لهم نفوذ كبير ، وأخذ كل منهم لقب بطريك أو بطريق ، وهؤلاء هم رؤساء الأساقفة في المدن التالية : إنطاكية ، وبيت المقدس ، والإسكندرية ، والقسطنطينية ، وروما ، وأربعة من هؤلاء في الشرق وواحد فقط في الغرب .

٦ - قبل القرن الحادي عشر كان كل من الأساقفة ورؤساء الأساقفة يطلق عليه لقب pope بابا ، ولكن في القرن الحادي عشر في عهد جريجوري السابع اختص بهذا اللقب أساقفة روما .

٧ - وقد استطاع رئيس الأساقفة في روما أن ينال نفوذا أكبر ، لعدة عوامل ، فروما كانت العاصمة وكان رئيس الأساقفة بها يطمع في نفوذ يعادل مكانة البلدة التي يشغل منصبه بها . كما كان هناك اعتقاد أن كنيسة روما قد أسسها القديس بطرس بتفويض من عيسى المسيح نفسه ، فضلا عن ذلك فإن روما كان لها أثر واضح في الدعوة للمسيحية ، وفي سنة ٤٤٥ أصدر الإمبراطور الروماني قرارا يجعل رئيس أساقفة روما رئيسا عاما للكنائس المسيحية ، ثم تمكن جريجوري رئيس أساقفة روما من الاستيلاء على السطة السياسية هناك ، وظل السلطان السياسي في يد البابوات مدة اثني عشر قرنا فكونت الكنيسة بذلك من نفسها دولة ، ومما ساعد الكنيسة في ذلك قوتها وغناها .

(أ) فأذاعت الكنيسة أن مكانتها أسمى من مكانة الملوك والأباطرة .

(ب) وأن البابا له السيادة العليا في القضاء والإدارة .

(ج) وأنه المشرع والمفسر النهائي للكتاب المقدس .

٥ - وأنه مالك مفتاح الرحمة وباب السماء .

فجبت الكنيسة الضرائب ، وسيطرت على القضاء ، واستعملت حق الحرمان كأكبر عقوبة تنزلها بمخالفها ، واستصدرت قانونا جديدا عكف على إعداده عدد كبير من القسس ، وأصبح يعاقب بمقتضاه القسس إذا أخطأوا ، كما يعاقب بمقتضاه جميع المذنبين في حق الكنيسة كالمُنشقين والممارقين والفساق والذين يمسون الأشياء المقدسة بدنس .

وأصبحت الكنيسة تمثل الغنى والترف ، وكان غناها من إيراد الممتلكات الواسعة التي كانت تمتلكها ومن جمع الزكاة ، ومن الوصايا التي طالما كان يدونها الناس للكنيسة قبل موتهم لتضمن لهم نعيما في الحياة الآخرة .

وبالتالي أصبحت الكنيسة مركز نشاط اجتماعي ، فأشرفت على المدارس والمستشفيات ووزعت الصدقات وسيطرت على الجامعات ودور النشر .

واجتمع في الكنيسة جميع شئون الأسرة كالزواج والطلاق وتقييد المواليد ، والوراثة والوصايا ، وأصبح للكنيسة سعاة يجمعون لها الأخبار ويبلغون عنها التعليمات ، وعد رجال الكنيسة أنفسهم ممثلين لله ، فأخذوا حق قيادة أفكار الناس وأعمالهم ، وأعلنت الكنيسة بقوة أنها تسيطر على باب الله وأنها منفذ الرحمة ، وبهذا أبرزت خطر الحرمان الذي هو حاجز بين المحروم وباب السماء .

وجذبت هذه المكانة التي استمتع بها رجال الدين كثيرا من الناس ليدخلوا الكنائس ، ولينصتوا إلى رجالها لينعموا بهذا النفوذ ، وقد استطاع كثير من هؤلاء أن يحققوا أملهم وأن يصيروا من رجال الكنيسة . وتسبب عن ذلك أن أصبح هناك عدد كبير من الجهالة ورجال الأطماع وعبدة الدنيا محسوسين في عداد رجال الدين (١) .

ولما ازدادت قوة الكنيسة وأهميتها ازدادت طقوسها المقدسة عددا ، وتنوعت هذه الطقوس ، وامتدت لها يد الحبك والزخرفة ، وتدخلت

(١) كتاب مقارنة الأديان المسيحية تأليف الدكتور أحمد شلبي .

هذه الطقوس وهذه الأسرار في كل شيء في حياة الإنسان وبعد موته ،
ثم أنقصت الكنيسة تلك الطقوس إلى سبعة أهمها :

١ - تعميده الأطفال عقب ولادتهم لتمحي عنهم آثار الخطيئة الأصلية ،
وليُعطي الطفل شيئاً من الحرية والقدرة لعمل الخير .

٢ - العشاء الرباني وهو يكون بالماء أو الخمر ومعه الخبز الجاف ،
وقد ارتبط هذا القديس بنجر خرفاني ، وهو تحول هذا الماء أو الخمر إلى
دم عيسى ، وتحول الخبز إلى عظامه . ويجرى هذا القديس مرتبطاً بالأنوار
والعطور والزهور .

٣ - الاعتراف ، ويتبع الاعتراف الغفران ، وكان الاعتراف يتكرر
عدة مرات مدى الحياة ، ولكنه منذ سنة ١٢١٥ أصبح لازماً مرة واحدة
على الأقل .

٤ - حضور القسيس عند الموت ليمسح المريض المشرف على الموت
بالبزيت ، وبخاصة أعضاء الحواس والصلب والأقدام .

٥ - حضور القسيس عند الزواج ليقم وحدة بين الرجل والمرأة .

ثم الميرون والكهنوت ، وقد سبق لنا الكلام عنهما في الفصل الثاني
من الباب الأول .

أرست دي يونس :

ويقول أرست دي يونس الألماني في كتابه (الإسلام) إن روايات
الصلب والنداء من مختبرات بولس ومن شابهه من المنافقين .

الأستاذ محمد زكي الدين النجار بطهطا :

كان مسيحياً قبل إسلامه الذي جاء بعد بحث طويل وتنقيب ونتيجة
دراساته الواسعة في التوراة والإنجيل ، وبعد اطلاعه على القرآن الكريم ،

يقول في كتابه : إن من عجيب ما صنعه اليهود أن أثبا منهم اسمه شاول (شالوم) حارب المسيحية فقتل المؤمنين وآذى الحواريين ولما لم يقض على النصرانية بهذا الاضطهاد ، ولم يفلح في رد المؤمنين عن الحق الذي آمنوا به ، عمد إلى حيلة تمكنه من هدم الدين من أساسه والقضاء عليه ، فتظاهر بأنه من أتباع المسيح وتسمى باسم بولس ، وجعل يضل الناس في عقائدهم كما جاء في سفر الأعمال إصحاح ٩ عدد ٢٠ « ولوقت جعل يكرز (أى يعظ) في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله » (١) .

وزيادة في إغواء الناس وتضليلهم ادعى أن ما يحدث به تلقاه عن المسيح برؤيا ذكرها في سفر الأعمال ثلاث مرات في إصحاح ٩ وفي إصحاح ٢٢ وإصحاح ٢٦ وذكرها في كثير من رسائله مفتخراً بها ، كما قال في رسالة غلاطية إصحاح ١ عدد ١١ « وأعرفكم أيها الإخوة أن الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان ، لأني لم أقبله عن إنسان ولا علمته ، بل بإعلان يسوع » .

١ - فوصف السيد المسيح عليه السلام بأنه ابن الله أولاً .

٢ - ثم نفى عنه كونه إنساناً ثانياً .

٣ - وكلامه يشهد عليه بالكذب لأنه لم يجتمع بالسيد المسيح حتى يتلقى عنه ، بل ولم يجتمع بالحواريين إلا بعد ثلاث سنين ليتعرف بهم ، ومكث خمسة عشر يوماً اتصل فيها ببطرس والحواري يعقوب فقط ، وبعد أربعة عشر سنة لما ذاعت تعاليمه المغايرة لتعاليم السيد المسيح عليه السلام ، دعوه ليحاجوه ليقضوا على الفتنة في مهدها (٢) .

٤ - فحضر مع برنابا ، ثم تشاجر مع برنابا (٣) .

(١) الإسلام نور الأكوان - المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا الخالكة - مؤلفه الأستاذ محمد زكي الدين النجار بطهطا .

(٢) ذكر ذلك في رسالة غلاطية إصحاح ١ وإصحاح ٢ .

(٣) سفر الأعمال إصحاح ١٥ عدد ٣٩ .

٥ - وفي رسالة بولس إلى غلاطية لإصحاح ٢ عدد ٢ يقول « إنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ، ولكن بالانفراد على المعتبرين » والمعتبرون هم الحواريون تلاميذ المسيح عليه السلام ، ولكن بولس ندد بهم وكذبهم في عدد ٤ وعدد ٥ قال « الذين لم تدعن لهم بالخضوع ولا ساعة » ثم تابع ترجمه على الحواريين في عدد ٦ فقال « وأما المعتبرون أنهم شيء ، أى أنهم تلاميذ المسيح ، مهما كانوا لا فرق عندي ، الله لا يأخذ بوجه إنسان » .

٦ - وجهر بمعادة خليفة السيد المسيح (بطرس) في إنطاكية لما حصل بينها من خلاف اجتماع أورشليم ، ففي عدد ١١ قال « ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومه لأنه كان ملوماً » .

٧ - وفي عددى ١٣ و ١٤ من رسالة غلاطية أيضاً رمي بطرس ومن معه من الحواريين بالرياء والزيف فقال « وراعى معه باقى اليهود أيضاً حتى إن برنابا أيضاً انقاد إلى رباهم ، لكن لما رأيت أنهم لا يساكون باستقامة حسب حق الإنجيل قلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً فلماذا تنزم الأمم أن يهودوا » .

٨ - ثم عمد بولس إلى تشكيك الناس في كل ما اعتقدوه من الإيمان بالمسيح عليه السلام واتباع خليفته بطرس المدعو بالعبرية (صفا) .

٩ - تهكم بولس باتباع (إيلوس) تلميذ يوحنا المعمدان : الذى قال عنه سفر الأعمال في إصحاح ١٨ عدد ٢٥ « كان هذا خبيراً في طريق الرب » إلى أن قال « ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفاً معمودية يوحنا فقط » .

١٠ - وتهكم بولس بمن ورد ذكرهم فيما سبق فيقول في رسالته الأولى لأهل كورنتس إصحاح ١ عدد ١٢ ، ١٣ « فأنا أعنى هذا أن كل

واحد منكم يقول أنا لبولس وأنا لإيلوس وأنا لصفا وأنا للمسيح هل انقسم
المسيح؟ أعل بولس صلب لأجلكم أم باسم بولس اعتمدتم؟»

١١ - ويهذي بولس في عدد ١٨ من رسالته الأولى لأهل كورنتوس
فيقول: «فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، وأما عندنا نحن المخلصين
فهى قوة الله». مع أن الحوارين (بطرس، ويوحنا، ويعقوب، ويهوذا)
لم يذكروا أبداً في رسائلهم كلمة صليب.

١٢ - لم يكتف بولس بهذا ولكنه ادعى الرسالة لنفسه - يقول في رسالته
الأولى لأهل كورنتس لإصحاح ٩ عدد ١ «أأست أنا رسولا؟ أأست
أنا حراً؟ أما رأيت يسوع المسيح ربنا؟ أأستم أنتم عملي في الرب؟»

١٣ - وقارن بولس نفسه بخواري السيد المسيح في رسالته الثانية
لأهل كورنتس لإصحاح ١١ عدد ٥، ٦ فيقول «لأني أحسب أنني لم أنقص
شيئاً عن فائقي الرسل وإن كنت عامياً في الكلام فلست في العلم بل نحن في
كل شيء ظاهرون».

١٤ - ثم تهجم على تلاميذ المسيح فقال في عدد ١٢، ١٣ من الرسالة
السابقة «ولكن ما أفعاه سأفعاه لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة كي
يوجدوا كما نحن أيضاً في ما يفتخرون به لأن مثل هؤلاء هم رسل كذبة
فعلت ما كرون مغبرون شكلهم إلى شبه رسل المسيح».

١٥ - ولم يكتف بولس بهذا النيل من تلاميذ المسيح ولكنه فضل
نفسه عليهم فقال في عدد ٢١، ٢٢، ٢٣، من الرسالة المشار إليها «على
سبيل الهوان أقول كيف أننا كنا ضعفاء، ولكن الذي يجترىء فيه أحد
أقول في غباوة أنا أيضاً أجترىء فيه، أهم عبرانيون؟ فأنا أيضاً، أهم
إسرائيليون؟ فأنا أيضاً، أهم نسل إبراهيم؟ فأنا أيضاً. أهم خدام المسيح؟
أقول كمختل العقل: فأنا أفضل في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر،
في السجن أكثر، في الميتات مراراً كثيرة».

١٦ - ثم تغالى بولس بعد ذلك حتى فضل نفسه على السيد المسيح ،
فبينما يقرر أن المسيح عليه السلام رسول خاص يدعى عن نفسه أنه هو
قد بعث رسولا عاما ، فيقول في رسالته لأهل غلاطية لإصحاح ٢ عدد ٨
« فإن الذى عمل فى بطرس لرسالة الختان عمل فى أيضاً للأمم » يعنى أن بطرس
خليفة المسيح ، رسالته لليهود - أهل الختان - أما هو فرسالته إلى الأمم
جميعا ، مع أن المسيح نفسه قرر أنه لم يرسل إلا لخراف بيت إسرائيل الضالة .

١٧ - ثم انقلب بولس يحارب الحواريين والمؤمنين فقال فى رسالته
لنيطس لإصحاح ١ عدد ١٠ ، ١١ « يوجد كثيرون متمردون يتكلمون بالباطل
ويتخذون العقول ولا سيما الذين من الختان الذين يجب سد أفواههم فإنهم
يقبلون بيوتنا بجملتها معلمين مالا يجب » .

١٨ - والعجيب أن يتنكر بولس للختان وأهل الختان ولرسالته ،
مع أن سفر التكوين جعله عهداً أبدياً ، جاء ذلك فى إصحاح ١٧ عدد ١٠ إلى ١٤
« هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك يتحن
منكم كل ذكر فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهدى بينى وبينكم
فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً ، وأما الذكر الأغاف الذى لا يتحن
فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها أنه قد نكث عهدى » والمخاطب
هنا هو سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

١٩ - ولما رأى الناس يومذاك ، من بولس هذا التناقض والتطاول
والزيف كفروا به وارتدوا عنه ، وقرر بولس نفسه أن أهل آسيا جميعا
كذبوه ولم يتبعه أحد من أهل البلاد الشرقية ، ونص على ذلك فى رسالته
الثانية لتيموثاوس ، أحد أتباعه لإصحاح ١ عدد ١٥ قال « أنت تعلم هذا
إن جميع الذين فى آسيا ارتدوا عنى » .

٢٠ - ولكن البلاد الغربية خدعت بزخرف قوله ، ومن هنا نستطيع
أن نفهم سر العدا بين الكنيسة الغربية والكنيسة الشرقية ، وأن نفهم كذلك

سبب اضطهاد الرومان للأقباط وحرقتهم الأديرة والمخطوطات وقتلهم البطارقة والأساقفة والرهبان ، حتى سمى عصرهم بعصر الشهداء ، واستمر الحال كذلك حتى انتهى الأمر بأن عمّت تعاليم بولس الشرق والغرب .

تولوستوى :

أديب روسيا العظيم وكاتبها الكبير لما رأى الحملة الظالمة على الإسلام كتب رأيه في هذا الدين الذى أعجب به وتحدث عن المسيح عليه السلام فأذكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهيته ، وخاص في أبحاثه إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح بالنسبة للعقيدة غموضاً وخفاء .

ومن أقواله أنه ينبغي لفهم تعاليم يسوع المسيح الحقيقي كما كان يفهمه ، هو أن تبحث في تلك التفسيرات والشروح الطويلة الكاذبة التى شوهدت وجه التعليم المسيحى حتى أخفته عن الأبصار ، تحت طبقة كثيفة من الظلام ، ويرجع بحثنا إلى أيام بولس الذى لم يفهم تعاليم المسيح ، بل حمله على محمل آخر ثم مزجه بكنيز من تقاليد الفريسيين وتعاليم العهد القديم .

وبولس كما لا يخفى كان رسولا للأمم أو رسول الجدل والمنازعات الدينية ، وكان يميل إلى المظاهر الخارجية الدينية ، فأدخل ميوله هذه على الدين المسيحى فأفسده ، ومن عهد بولس ظهر التلمود المعروف بتعاليم الكنائس ، وأما تعليم المسيح الأصيل الحقيقى فحضر صفته الإلهية الكمالية ، بل أصبح إحدى حلقات سلسلة الوحي التى أولها منذ ابتداء العالم وآخرها فى عصرنا الحالى والمستمسكة بها جميع الكنائس ، وأن أولئك الشراح والمفسرين يدعون يسوع إلها دون أن يقيموا على ذلك الحجة ، ويستندون فى دعواهم على أقوال وردت فى خمسة أسفار : موسى والزبور ، وأعمال الرسل ورسائلهم وتآليف آباء الكنيسة . مع أن تلك الأقوال لا تدل أقل دلالة على أن المسيح هو الله .

كما أن تولوستوى ينكر أوهية روح القدس، ويعتقد أن الله واحد فرد صمد، وينكر أن تكون كتب النصارى كتبت بلهام، ويعان في شجاعة أنها حرفت وعراها التغيير والتبديل، فيقول في صراحة: إن الكنيسة تسير الآن بموجب تأليف الآباء الذين يدعون بأن ما كتبوه هو من الروح القدس، فكان الأخرى بالمسيحيين أن يسموا كنيستهم بالروحية القدسية أولى من تسميتها بالمسيحية.

الكاتب أميل لودفيج في كتابه ابن الإنسان : (١) .

يقول أميل لودفيج أن يسوع لم يفكر في أنه أكثر من نبي، وليس بقليل أن يرى نفسه في بعض الأحيان دون النبي، ولم يحدث أبدا من يسوع ما يخيل به إلى السامع أن له خواطر وآمالا فوق خواطر البشر وآمالهم، وما كان يسوع لينذهب إلى أبعد من ذلك فيدعى أنه المنقذ المنتظر، فإذا ما قال الناس أنه أحد قدماء الأنبياء راقه ذلك موجها أفكارهم إلى ملكوت السموات، والآن يجد يسوع كلمة جديدة صالحة للتعبير عن وضعه بقوله عن نفسه أنه (ابن الإنسان) وقديما أراد الأنبياء أن يلفتوا الأنظار إلى الهوة الواسعة التي تفصلهم عن الله، فكانوا يسمون أنفسهم بأبناء الإنسان، ومن هؤلاء دانيال وحزقيال اللذان أظهرتا الرب مخاطبا كل واحد منهما «بابن الإنسان» أي بآدمي ضعيف هالك ولد ليفنى، ولكن مع استعداد لنيل عفو الرب.

الأستاذ مجدى مرجان : وهو مسيحي من أقباط مصر ويحكي عن نفسه أنه كان شماسا في إحدى الكنائس المسيحية قبل اعتناقه الإسلام، يقول: إن القديس بولس ولد في مدينة طرسوس مركز الديانة المترية، وتقبل الكثير من عادات ومصطلحات تلك الديانة ليتمكن من إقناع أتباعها بالمسيحية، انظر إليه في سفر كورنثوس الأول يقول «استعبدت نفسى للجميع لكي

أربح الأكثرين ، صرت لليهودى كيهودى لكى أربح اليهودى ، وللناموسيين كالناموسيين ، ولغيرهم كأبنى بغير ناموس .. صرت لكل شىء على أستخاص من كل حال قوماً (١) .

هكذا يتحدث القديس بولس رسول المسيحية عن نظريته بكل صراحة ووضوح أنه يتغير ويتلون ، ويتحول مع كل اتجاه ، إنه يدعى لليهودى أنه يهودى ، وللوثنين أنه وثنى وللملحدين أنه ملحد ، إنه يمثل لكل جماعة ولكل فرد ما يتفق مع هواهم ومشيتهم ، كل ذلك ليربح الكل للمسيحية ، يربحهم اسماً ولبس فعلاً ، إنه بدلاً من أن يغيرهم هو يتغير من أجلهم ، بل ويغير التعاليم السماوية فى سبيل إرضائهم ، وتورد الأناجيل وقائع ومواقف ادعى فيها بولس تارة أنه يهودى ، وتارة أنه فريسي ، وتارة ثالثة أنه روماني وهكذا ، (طبقاً لما هو مفصل فى رسالة أعمال الرسل) .

ولقد عارض بعض التلاميذ والحواريين بولس فى تعاليمه وتركوه :

١ - يتحدث بولس لصديقة تيموثاوس فى رسالته إليه أن معظم أصحابه قد تركوه وقاوموا أقواله ورفضوا آراءه لبعدها فى نظرهم عن الصواب ، وهذه كلماته « اسكندر النحاس أظهر لى شرورا كثيرة ليحازه الرب حسب أعماله ، فاحتط منه أنت أيضاً لأنه قاوم أقوالنا جدا ، فى احتجاجى الأول لم يحضر أحد معى بل الجميع تركونى » (٢) .

٢ - ومن الذين خالفوا القديس بولس وقاوموا تعاليمه وآراءه القديس برنابا الذى كان أحد الحواريين الاثني عشر الذين عاصروا المسيح عليه السلام وعاشروه بالجسد ، وذلك بعكس القديس بولس الذى لم ير السيد المسيح فى حياته على الإطلاق ، فقد حدث أن التقى بولس وبرنابا وسارا فترة من الوقت يعظان ويبشران معا ، ولكن القديس برنابا الذى شاهد

(١) الله واحد أم ثالث - للأستاذ محمد مجدى مرجان .

(٢) رسالة بولس الثانية إلى تيموثاوس إصحاح ٤ عدد ٩ وما بعده .

ورافق المسيح الإنسان رفض القول بتأليهه ، ورفض دعوة الثالوث والأقانيم (التي كان يبشر بها بولس) ، فانفصل عن بولس وكتب رسالة يشرح فيها الحقيقة للناس محذرا إياهم من قبول التعاليم المخالفة ، يقول برنابا في مقدمة إنجيله « أيها الأعزاء إن الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبية يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر به الله دائما ، مجوزين كل لحم نجس ، الذين ضل في عدادهم أيضا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى ، وهو السبب الذي من أجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع لكي تخلصوا ولا يضلحكم الشيطان فتهلكوا في دينونة الله ، وعليه فاحذروا كل أحد يبشركم بتعليم مضاد لما أكتبه لتخلصوا خلاصا أبديا» (١)

وقد تأخذنا الدهشة كيف بثالوث الشعوب الوثنية يتسرب إلى الديانة المسيحية ؟ كيف بوثنية الأرض تتسلل إلى ديانة السماء ؟ إن المسيحية رسالة سماوية كلف بها عيسى عليه السلام من عند الله ، مناديا بوحدانية الله وداعيا الناس إلى صالح الأعمال ، فكيف بالوثنية تشوه تلك الصور والحلوة لهذه الرسالة العظيمة ؟ إن الأمر يدعونا إلى تتبع تاريخ نزول المسيحية ومعرفة كيفية انتشارها ، حتى يمكننا أن نتفهم هذا الأمر الغريب :

١ - تحدثنا الكتب السماوية أن السيد المسيح عاياه السلام قد بعثه الله إلى قومه بني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإلى ترك ما انغمسوا فيه من شرور وآثام ، يقول السيد المسيح « لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » وهذا ما حكاه عنه متى في إنجيله (٢) وقد دعا المسيح تلاميذه الاثني عشر إلى تبشير بني إسرائيل فقط ، مانعا إياهم من تبشير الأمم الأخرى . يقول القديس متى في إنجيله « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم

(١) انظر إنجيل القديس برنابا .

(٢) إنجيل متى إصحاح ١٥ عدد ٢٤ .

يسوع وأوصاهم قائلاً « إلى طريق أمم لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١) .

٢ - ورغم ما بذله السيد المسيح عليه السلام من جهود في نشر دعوته بين اليهود، وما أجراه الله على يديه من معجزات لحملهم على الإيمان به ، فإن دعوته لم تجد بين اليهود أرضاً خصبة ولم يؤمن بها سوى أفراد قلائل ، أما معظم الشعب اليهودي فقد أنكروا نبوته ورسالته ونسبوا معجزاته إلى رئيس الشياطين وليس إلى الله (٢) ثم تعدوا ذلك إلى الطعن في نسب السيد المسيح في شخصه ورموه وأمه بأقذع الصفات ، ثم دبروا مؤامرة لصلبه .

٣ - وقد مضى السيد المسيح إلى ربه غاضباً حزيناً على شعبه الذي لم يؤمن برسالته ، وكان يردد دائماً « جئت لخاصتي وخاصتي لم تقبلني » وعند تركه أورشليم هرباً من مطاردية وطالبي نفسه بكى على المدينة قائلاً « يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا » (٣) .

٤ - وبعد السيد المسيح اضطر تلاميذه وحواريوه من أجل إحياء دعوته إلى نقلها من أرض اليهود إلى الشعوب الوثنية المحيطة بها كالرومان واليونانيين وغيرهم ، ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة المسيحية بين تلك الشعوب الوثنية، وخوفاً من أن تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود ، اضطر المبشرون المسيحيون إلى تطعيم المسيحية ببعض الطقوس والعادات والشعائر التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية ، وأغاب الظن أن هؤلاء المبشرين كانوا حسنى النية ، فقد رأوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة المسيحية إلى أذهان الوثنيين ، وظنوا أنه مع مرور الوقت فإن المسيحية ستنتظر من تلك العادات والطقوس ، وستعود إلى صفائها ،

(١) إنجيل متى إصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ .

(٢) إنجيل متى إصحاح ٩ عدد ٣٤ .

(٣) المرجع السابق إصحاح ٢٣ عدد ٣٧ .

ولقد تحول فعلا كثير من الوثنيين إلى المسيحية ، ولكنهم نقلوا إليها أيضاً مزيداً من العادات والشعائر الوثنية ، واضطر الحواريون والمبشرون المسيحيون كذلك إلى السكوت وغض الطرف والمجاملة ، وذلك لإبقاء هؤلاء على المسيحية وعدم تنفيرهم منها ، ولعلمهم يستقيمون بعد ذلك على المنهج الصحيح ، ولكن الواقع الأليم أن الذى حدث فعلا هو عكس ما توقعه أولئك المبشرون البسطاء ، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التى أتى بها السيد المسيح عليه السلام .

ومن الإخوة المبشرين ، القديس بولس ، فلقد كان كما سبق الإشارة إليه يتغير ويتلون مع كل اتجاه ، وكم ألغى بولس وغيره من المبشرين تعاليم سواوية وأحكاما إلهية من أجل اسمالة الوثنيين وكسبهم أنصاراً للدين الجديد، وذلك كلما اصطدمت تلك التعاليم بأى من عادات وتقاليد الشعوب الوثنية .

٥ - تحدثنا الأناجيل أن القديس بولس وأصحابه قد ألغوا الختان المقرر فى جميع الشرائع منذ عهد إبراهيم عليه السلام ، وذلك من أجل خطب ود الوثنيين ، ونقرأ فى التوراة عن حكم الختان فى سفر التكوين « قال الله لإبراهيم . . . هذا هو عهدى الذى تحفظون ببنى وبينك وبين نسلك من بعدك . تحتن منكم كل ذكر ، فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم ، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فيقطع تلك النفس من شعبها ، إزه نكث عهدى » (١) .

هذا العهد الإلهى الذى قطعه الله مع إبراهيم والذى جعل جزاء مخالفته الموت ، وذلك بختان كل ذكر من نسل إبراهيم ، هذا العهد رعاه كافة الأنبياء بعد إبراهيم عليه السلام الذى اختتن هو نفسه احتراماً لهذا العهد

السماوى ، وقد ذكر ذلك إنجيل لوقا (١) وتقررت صلاة خاصة فى ذكرى ختان المسيح ، كما اختن أيضاً جميع التلاميذ والحواريين .

٦ - ولكن القديس بولس وأصحابه المبشرين حين سمعوا بتضرر الوثنيين من الختان ، ألغوا هذا الحكم الإلهى بكل بساطة ، بل أنكروا كون الختان شريعة إلهية ، فبعثوا يقولون للوثنيين : قد سمعنا أن أناسا خارجين من عندنا أزعجوكم بأقوال مقلدين أنفسكم وقائلين أن تختننوا وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم (٢) . وهذه البساطة والبسر ألغى بولس وأصحابه الختان المقرر فى كافة الشرائع ، وخرجوا على الأحكام الإلهية وعلى تعاليم كافة الأنبياء ، بل وعلى تعاليم السيد المسيح الذى يبشرون باسمه ، كل ذلك من أجل لإرضاء الوثنيين وانضوائهم تحت علم المسيحية .

٧ - ولم يقتصر الأمر على بولس أو على حكم الختان بل تعداه إلى غير بولس وإلى غير الختان ، فحتى القديس بطرس خليفة السيد المسيح اضطر كذلك إلى تغيير الكثير من التعاليم المسيحية من أجل وداد الوثنيين ، فمثلاً بالنسبة لأكل لحم الخنزير الذى كان وما زال محرماً عند اليهود ، وحين جاء السيد المسيح فإنه لم يبلغ هذا الحكم ولم يسمح بأكل لحم الخنزير ، ولكن الخنازير كانت من الحيوانات التى يقتنها الرومان واليونانيون ، ويأكلون لحومها ، مما حمل القديس بطرس على إباحة أكل لحم الخنزير ، بل وكافة الهوام والحشرات ، من أجل استمالة هذه الشعوب الوثنية للدين الجديد (٣) .

٨ - وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال ، أخذت الأحكام الإلهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية ، وأخذت الحقائق تتباعد لتفسح الطريق ، وأخذت المسيحية بذلك تتباعد شيئاً فشيئاً عن الدين السماوى العظيم ، الذى أتى به السيد المسيح عيسى عليه السلام من لدن الرحمن .

(١) إنجيل لوقا إصحاح ٢ عدد ٢١ .

(٢) أعمال الرسل إصحاح ١٥ عدد ٢٤ .

(٣) أعمال الرسل إصحاح ١٠ من عدد ٩ إلى عدد ١٦ .

٩ - يقول القس بولس إلياس اليسوعي في كتابه (يسوع المسيح)
ولقد لقمحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي - فحمل مرسلوها إلى اليونان
حكمة التوراة وآداب الإنجيل ، وأخذوا منهم وضوح التعبير ، ودقة
التفكير ، فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه إلى روما ، ولقد احترمت
الكنيسة تقاليد الشعوب وحافظت على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف
فما فرضت صيغة موحدة للصلاة .

ويستطرد القس بولس إلياس قائلاً ، أنه في مفتح القرن السابع الميلادي
كتب البابا غريغوريوس الأول الكبير إلى القديس أوغسطينيوس أسقف
كنتربرى ببريطانيا يقول : دع البريطانيين وعاداتهم ، وأبق لهم أعيادهم
الوثنية واكتف بتنصير تلك الأعياد والعوائد ، واضعاً إله المسيحيين موضع
إلهة الوثنيين .

هذا ما كتبه بالحرف الواحد أسقف من كبار أساقفة الدين المسيحي كتبه
بكل بساطة دون أن يشعر بوجود أي حرج فيما يقرره ، ودون أن يحس
بوجود غضاضة أو غرابة في هذا المزج الوثني المسيحي ، هذا الخليط بين
الوثنية والمسيحية ، والذي تغلبت فيه طقوس وعادات وأعياد الوثنية باعتبار
هذا القس ، فصار لكل شعب ولكل فرقة ، ولكل طائفة من هؤلاء الوثنيين
الاثنيين عاداتهم وطقوسهم وصلاتهم الخاصة ، بل مثلوا إله المسيحية
بآلهتهم ، وألبسوا إله السماء أثواب آلهة الأرض ، فجعلوا الله الواحد ثلاثة آلهة
دون غرابة أو شذوذ في ذلك عند أصحاب القداسة والتهارة والأخبار
والكهان ، ويتحسس المرء ملامح رسالة السماء بين هذا الخليط من طقوس
البشر فلا يعثر لها على أثر .

١٠ - وحين دخلت المسيحية مصر كان بها معبد قيصرون الوثني الذي
شيدته الملكة كليوباترة ، وكان يوجد بهذا المعبد صنم كبير من النحاس
يسمى عطارد ، وكان يحتفل سنوياً بعيد هذا الصنم ، وتقدم له الذبائح ،
وظلت هذه التقاليد معمولاً بها بعد دخول المسيحية ولمدة تزيد على ثلاثمائة
عام ، فلما نصب الأسقف إسكندر بطريركا ففكر في إزالة هذا الصنم ،

ولكن شعب الإسكندرية ثار في وجهه قائلاً : لقد اعتدنا إحياء عيد هذا الصنم ، ولقد تبرع على هذا الكرسي اثنا عشر بطريكاً قبلك ، ولم يجرؤ أحد منهم أن يصرفنا عن هذه العادة .

١١ - وينتهي الأستاذ مجدى مرجان إلى القول : همكنا تطعمت المسيحية بالوثنية التي كان يدين بها وقتئذ معظم البشر من الرومان واليونانيين والمصريين والفرس والهنود وغيرهم ، ولقد كان الموقف المتهاون الذي وقفته المسيحية ومبشرها إزاء الوثنية وعاداتها هو السبب في تغلب الوثنية على المسيحية وتطويعها لمشيئتها ورغبتها .

وبعد : فهذه شهادة كتاب النصرانية سواء من الغرب أو الشرق في بولس ، وماذا بعد شهادتهم من تعليق : إنه يتبين مما تقدم بوضوح كيف نقلها من ديانة وحدانية إلى ديانة وثنية ، ومن ديانة سماوية إلى ديانة أرضية ، وكيف غير وبدل في المعتقدات الإلهية حتى صارت النصرانية إلى ما صارت إليه ، بعد أن تقبلت المجامع النصرانية آراءه ومعتقداته منذ سنة ٣٢٥ ميلادية حتى الآن ورفضت ما عداها .

الباب السادس

- ١ - دعوة النصرانية
هل هي دعوة إلى شعب اليهودية فقط أم دعوة عالمية .
- ٢ - دعوة الإسلام، وعمومها إلى شعوب الأرض قاطبة
- ٣ - قيام الرسول محمد ﷺ والمسلمين بالدعوة إلى الإسلام .
- ٤ - واجب المسلمين في الوقت الحاضر أمام الدعوة إلى الإسلام .

الفصل الأول

دعوة النصرانية هل هى دعوة إلى شعب اليهودية

أم دعوة عالمية

هل كانت دعوة المسيح إلى العالم أجمع كما تزعم النصرانية ، أم أنها كانت قاصرة على شعب اليهودية ؟

إن المتتبع للأناجيل يجد أن دعوة المسيح عليه السلام قاصرة على شعب اليهودية فقط ، بل إن البشارة بمجيئه قبل مولده تشير إلى أن رعايته ستكون لشعب اليهود فقط ، ولندلل على ذلك بالآتى :

١ - ورد بإنجيل متى ما يحكيه على لسان الله :

« وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست الصغرى بين رؤساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبي إسرائيل » (١) .

٢ - لما جاء الملاك إلى السيدة مريم العذراء وبشرها بولادة يسوع ، أخبرها بأنه يكون على بيت يعقوب .

« فقال لها الملاك : لاتخافى يا مريم لأنك قد وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع ، هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى ويعطيه الرب الإله كرسى داوود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد » (٢) .

(١) إنجيل متى إصحاح ٢ عدد ٦ .

(٢) إنجيل لوقا إصحاح ١ عدد ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

٣ - ولما بدأ يسوع في الدعوة إلى الإيمان برسالاته ، أعلن أنها قاصرة على بني إسرائيل ولا تمتد إلى غيرهم لذلك نراه يقول في إنجيل متى :

« فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١)

كما ورد نفس ذلك المعنى في إنجيل برنابا إذ يقول :

« وقد أفامنى الله نبياً على بيت إسرائيل لأجل صحة الضعفاء » (٢) .

٤ - ولقد نبه السيد المسيح إلى مقدار احترامه لشريعة التوراة ، وأنه ما جاء إلا ليكملها لا لإزالتها ، فتراه يقول كما يحكى عنه إنجيل لوقا :

« ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » (٣) .

٥ - وقد اختار المسيح اثني عشر تلميذاً ليكونوا تلاميذه وأجباءه ومساعديه في نشر دعوته ، وكان اختياره لهم من بين اليهود أنفسهم ، وينقل ذلك إنجيل متى في محاوراة بين السيد المسيح وبين أحد تلاميذه وهو بطرس طبقاً للآتي :

« فأجاب بطرس حينئذ وقال له : ها نحن قد تركنا كل شئ واتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد ، متى جالس ابن الإنسان (ويقصد المسيح نفسه بذلك) على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسيّاً تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر » (٤) .

(١) إنجيل متى إصحاح ١٥ عدد ٢٤ .

(٢) إنجيل برنابا إصحاح ٥٢ عدد ١٣ .

(٣) إنجيل لوقا إصحاح ١٦ عدد ١٧ .

(٤) إنجيل متى إصحاح ١٩ عدد ٢٧ ، ٢٨ .

فهنا قال لهم السيد المسيح : إنهم يدينون أسباط إسرائيل فقط . ولم يقل لهم أنهم يدينون شعوب الدنيا ، وهذا كناية وإشارة إلى أن رسالته وهم من بعده قاصرة على شعب اليهودية المتفرع من أسباط إسرائيل الإثني عشر .

٦ - إن المسيح عليه السلام عندما أرسل تلاميذه المذكورين لينشروا دعوته بين اليهود كرر لهم الوصية بأن يقصروا الدعوة على اليهود ، بل وحذرهم من دخول مدن الأمم والشعوب الأخرى ، ولو كانوا جيراناً لليهود : وقد ذكر ذلك أيضاً إنجيل متى .

« هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أُم لا تمشوا إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » (١)

٧ - إن المسيح أشار عند قيامه بإحدى معجزاته بأنها قاصرة على شعب اليهود دون أن يكون منها شيء للشعوب الأخرى ، ويذكر ذلك إنجيل متى في مناقشة بين امرأة كنعانية وبينه :

« ثم خرج يسوع من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيدا ، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة : ارحمني يا سيد يا ابن داوود ، ابنتى مجنونة جداً ، فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة . فأنت وسجدت له قائلة: ياسيد أعنى . فأجاب وقال: ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ، فقالت : نعم ياسيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها ،

(١) المرجع السابق إصحاح ١٠ عدد ٥ ، ٦ .

حينئذ أجاب يسوع وقال لها: يا امرأة عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدن .
فشفيت ابنتها من تلك الساعة » (١) .

٨ - وقد ذكر إنجيل يوحنا أن المسيح ما جاء إلا إلى خاصته وما خاصته
إلا شعب اليهودية « إلى خاصته جاء وخاصته لم تقباه » (٢) .

٩ - وحتى عندما رفضت أورشليم رسالة المسيح ناجاها بنحو بكلام
يستفاد منه أن رسالته هي لشعب اليهود الذي كان مستعمراً للمدينة القدس
وقتئذ ، وقد ذكر ذلك إنجيل يوحنا .

» يا أورشليم يا أورشليم .. يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها .
كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها
ولم تريدوا » (٣) .

١٠ - وبعد ذهاب المسيح عن العالم يؤكد خليفته بطرس أن يسوع
المسيح ما جاء إلا لخلاص اليهود وغفران خطاياهم ، وذلك في رسالة أعمال
الرسول ، فقال لهم : « أنتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودى أن يلتصق
بأحد أجنبي » أو يأتي إلخ .

« الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح » (٤) :

وقد يحتج البعض عن الزعم بأن دعوة النصرانية دعوة عالمية بما ورد
في إنجيل متى ، لإصحاح ٣٨ . « فتقدم يسوع وكامهم قائلاً : دفع إلى كل
سلطان في السماء وعلى الأرض ، فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم
باسم الآب والابن والروح القدس » .

(١) المرجع السابق لإصحاح ١٥ من عدد ٢١ إلى عدد ٢٨ .

(٢) إنجيل يوحنا لإصحاح ١ عدد ١١ .

(٣) إنجيل متى لإصحاح ٢٣ عدد ٣٧ .

(٤) رسالة أعمال الرسل لإصحاح ١٠ عدد ٢٨ ، عدد ٣٦ .

« وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به » (١) .

والرد على ذلك جد يسير طبقاً للآتي :-

١ - إن هذه الوصية وخصوصاً عبارة « تاملنوا جميع الأمم » لم ترد عنه وقت حياته كلها التي عاشها على الأرض ولم يسمعها منه تلاه منه وحواريوه منه وقتئذ ، لذلك فهي إن زعم صدورها منه بعد القتل والصلب ، فتكون من قبيل الرؤى والأحلام أو الأوهام مما يدعو إلى الشك وعدم الاطمئنان كلية إلى تلك العبارات المنسوبة لصدورها إلى السيد المسيح .

٢ - تتضمن هذه الفقرات عبارات التثليث وهي اسم الآب والابن والروح القدس ، فكيف يستقيم ذلك مع أن التثليث وألوهية المسيح لم تتقرر إلا في القرن الرابع الميلادي في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ، وألوهية روح القدس لم تتقرر إلا في مجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ ميلادية مما يقطع بأن هذه الفقرة مصطنعة أُلحقت وأضيفت بعد ذلك إلى الإنجيل المذكور وخصوصاً أنها تناقض تعاليم المسيح التي ذكرها لتلاميذه حال حياته قبل صلبه على حد قولهم .

ومما يؤكد ذلك أن الأب عبد الأحد داوود الأشوري العراقي يقول في كتابه (الإنجيل والصليب) أن تلك العبارات جمل إلحاقية يجب طيها ، بمعنى أنها لم تكن في النسخ القديمة لهذا الإنجيل .

٣ - إن المسيح لم يقل لتلاميذه من قبل « إني سأموت ثم أقوم في اليوم الثالث » فعلم أن مسألة قيام المسيح بعد موته لم تؤسس على أصل واقع ولكنها بنيت على الوهم والإشاعة المزعومة ، وهذه الواقعة المزعومة هي التي يستند إليها من يدعى أن المسيح ظهر بعد موته وقام حيث قال لتلاميذه: اذهبوا وتعلموا جميع الأمم .

٤ - إن ما ذكره متى في الإصحاح ٣٨ « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع ، جاءت مريم المجدلية وامرأة أخرى لتنظرا القبر . وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن باب القبر ، وجلس عليه ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج »

(أ) فهذه الزلزلة العظيمة لم يقل بها أحد غيره ، فهي إذن لم تحدث إذ لو حدثت لما سكنت عنها الأناجيل الأخرى ، بل لو حدثت لدونها المؤرخون في كتبهم ، لأنها من العجائب الجديرة بالذكر والتي لا يعقل أن يسكت المؤرخون أو باقى كتبة الأناجيل عنها ، ولو صح أن المرأين نقلتا هذه القصة ، فأى دليل على صدقهما فيما زعمتا ، ولو فرض حدوثه فأى دليل على أنه ملاك الرب وليس شيطاناً أو خبيلاً في العقل وخيلاً فيه بسبب ما أصابهما من حادثة الصلب المزعومة .

(ب) إن نزول الملك من السماء ودحرجته للحجر وجلسه عليه مردود إذ يفهم من وصفه إياه « منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج » أن تكون مريم رآته ، مع أن مريم لم تقل شيئاً من ذلك ، بل قالت الأناجيل أنها حين جاءت وجدت الحجر مدحرجاً .

٥ - يقول متى : إن مريم المجدلية ومريم الأخرى لقيتا المسيح في الطريق وهما عائدتان ، أما لوقا فلم يقل بظهور المسيح لمريم وزميلتها ، لا عند القبر ولا في الطريق ، بل قال إنه ظهر للتلاميذ وهم مجتمعون في أورشليم كما يتضح كل ذلك من الإصحاح ٢٤ عدد ٣٦ .

أما يوحنا فإنه يقول في الإصحاح ٢٠ عدد ١٤ : « ولما قالت هذا التفتت إلى الورا فتنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع ، فقال لها يسوع : يا امرأة لماذا تبكين » أى أنها كانت واقفة عند القبر تبكى حينما ظهر يسوع وكلامها .

والنتيجة من كل ذلك أنه يتضح وقوع الاختلاف بينهم جميعاً مما يفيد أن مسألة قيام المصلوب من القبر وكلامه المزعوم مختلفة ، ثم شاعت

بأساليب مختلفة كما هو شأن الحوادث الخيالية التي يكتبها كل راو على قدر ما يناسب قدرته وذوقه في الكتابة .

من الذى ادعى بعالمية الدعوة المسيحية أو النصرانية ؟

أولاً : بولس هو أول من قال بعالمية المسيحية وأفاض في شرحها في رسائله (١) وأكد أن هذه النعمة أعطيت له وهو أصغر القديسين دونهم جميعاً ليُبشر بين الأمم ولينير الجميع فيما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور (٢)

ثانياً : ولقد أقر الكتاب المسيحيون أن الحواريين وتلاميذ المسيح الأول لم يفهموا هذه الحقيقة حتى زعمها بولس طبقاً للآتي :

يقول وليم باتون ما نصه ضمن كتابه أديان العالم الكبرى ترجمة حبيب سعد ص ١١٧ « ولم يفقه التلاميذ الأولون في بادئ الأمر أن الحدود اليهودية الضيقة قد زالت ، ولكن عبقرية الرسول بولس قد فطنت إلى تضاعيف الرسالة من هذه الناحية ، وعرف أنها لليهودى والأممى والبربرى واليونانى والذكر والأنثى على السواء دون تفريق أو تمييز . »

ثالثاً : ويرد على ذلك بأن الذى يطلع على رسائل بولس يتضح له أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية (٣) إنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ومن بنات أفكاره إذ اضطر بولس أن يدخل على ديانتها تعاليم أخرى تزيل الهوة بين ديانات بنى إسرائيل وأفكار الأمم المختلفة الذين فتح لهم باب المسيحية وبخاصة الوثنيين والأوروبيين

-
- (١) رسالة بولس إلى رومية إصحاح ١ عدد ٥ ، عدد ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، إصحاح ٢ من عدد ٢٥ إلى ٢٩ . رسالة بولس الأولى إلى كورنتوس ١٢ - ١٣ ورسالة بولس إلى غلاطية إصحاح ٣ من عدد ٢٦ إلى ٢٩ . رسالة بولس إلى أفسس إصحاح ٢ عدد ١٢ وما بعده ، عدد ٣ إلى عدد ٨ . رسالة بولس إلى كولوسى إصحاح ٣ عدد ١١ .
- (٢) رسالة بولس إلى أفسس إصحاح ٣ عدد ٨ ، ٩ .
- (٣) مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبي .

واليونانيين وأتباع ديانة متراس ، ولهذا قال بولس بالتثليث وبنزول عيسى ليكفر بنفسه عن خطيئة البشر، وبعدم ضرورة الختان، وغير ذلك من العقائد التي لها صلة بديانات هذه الأمم واتجاهاتها لكنها بعيدة عن التعاليم الصافية النقية التي جاء بها السيد المسيح نفسه . مما أدى إلى تدفق الغربيين لذلك على دين بولس ، فنقل المسيحية من دين شرقي إلى دين غربي تقريباً .

ونخلص مما سبق إيراده بالنتيجة الآتية :

أنه لا شأن لرسالة المسيح عيسى ابن العذراء البتول السيدة مريم بأى شعب من شعوب الأرض (خلا اليهود) فلا علاقة بينها وبينهم ، لأن رسالته لم تأت إلا إلى اليهود، ولم تخاطب أحداً سواهم، لهذا فليس من حق أحد غير اليهود اعتناق الرسالة العيسوية أو السير على نهج الشريعة اليسوعية ، ومن يفعل ذلك غير اليهود إنما يخالف تعاليم المسيح نفسها بل ويخالف تعاليم الله الذي قصر الرسالة على اليهود وقتئذ، ومن واجب كافة الأجناس والشعوب غير اليهودية ألا يغتصبوا حقاً ليس لهم وألا يتمسكوا برسالة أنزلت إلى غيرهم بل حرمت عليهم وحرمت مصاهرتهم أو حتى الاختلاط بهم طبقاً لما ذكره إنجيل متى على لسان المسيح على حد قولهم « لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير » (١) .

ويؤيد الكتاب المسيحيون الاتجاه بأن المسيح ما أرسل إلا لبني إسرائيل طبقاً للآتي :

(أ) فقد جاء في دائرة المعارف البريطانية أن أسبق حوارني المسيح ظلوا يوجهون اهتمامهم إلى جعل المسيحية ديناً لليهود ، وجعل المسيح أحد أنبياء بني إسرائيل إلى بني إسرائيل .

(ب) يرى يرى أن اضطهاد الرومان لأتباع المسيح كان سببه أن

أباطرة الرومان لم يعرفوا عن دعوة المسيح إلا أنها امتداد لليهودية التي كانت شديدة التعصب عميقة الحقد والحسد ، فأثارت غضب الرومان مع ما عرف عنهم من التسامح الديني لأتباعهم .

(ج) ويقول دين إنج أن عيسى كان نبياً لمعاصريه من اليهود ، ولم يحاول قط أن ينشئ فرعاً خاصاً به من بين هؤلاء المعاصرين ، أو ينشئ له كنيسة خاصة مغايرة لكنائس اليهود أو تعاليمهم .

(د) وكما قدمنا سابقاً في تاريخ بولس الرسول بالباب الرابع فإن الكاتب المسيحي وليم باتون يقول : إن الذي يقرأ رسائل بولس يرى أنه لم يورد دليلاً واحداً ولا كلمة واحدة تنسب إلى عيسى عن عالمية المسيحية ، وإنما كان تدليله على هذه العالمية من كلامه هو ، ومن بنات أفكاره ، لأن بولس هذا هو أول من قال بعالمية المسيحية .

ولقد قرر القرآن الكريم في محكم آياته أن المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام لم يكن إلا رسولاً لبني إسرائيل فقط .

قال تعالى « ورسولاً إلى بني إسرائيل » (١) .

وقال تعالى أيضاً فيما يحكيه القرآن عن المسيح عليه السلام « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم » (٢) .

معنى البشارة بملكوت الله :

١ - جاء في إنجيل متى الإصحاح ٤ عدد ٢٣ « وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » .

(١) الآية ٤٩ من سورة آل عمران .

(٢) الآية ٦ من سورة الصف .

٢ - جاء في إنجيل مرقس لإصحاح ١ عدد ١٤ « جاء يسوع إلى الجليل
يكرز ببشارة ملكوت الله » .

إن المطلع على الأناجيل المتداولة بين المسيحيين يجد أن السيد المسيح
بشر بملكوت الله ، أى بشر بأن يرث الأرض التى هى جزء من ملكوت
الله ، بشر بأن يرثها الصالحون من عباد الله تعالى فمن هى هذه الأمة الصالحة
التي بشرها السيد المسيح بملكوت الله فى أرضه .

ومن ياترى ، هذه الأمة الصالحة التي بشرها المسيح بملكوت الله ؟

هل هى الأمة الإسرائيلية ؟ . . إن المطلع على الكتاب المقدس يتبين أن
هناك قرائن تشير إلى انقراض النبوة من بنى إسرائيل طبقاً للآتى :

١ - أن النبي زكريا الذى كان معاصراً لأيام الملك هيرودوس لم ينبج
ذرية وقد تقدمت به وبزوجته السن إلا أن الله سبحانه وتعالى من عليهما
بمولود ذكر على خلاف عادة الأزواج سنى يحيى أو يوحنا .

يقول لوقا فى إنجيله لإصحاح ١ عدد ٧ « ولم يكن لهما ولد إذ كانت
أليصابات عاقراً وكان كلاهما متقدمين فى أيامهما » .

وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فى سورة مريم بقوله تعالى :

« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفياً .
قال رب إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب
شقيماً . وإني خفت الموالى من ورأى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من الدناك
ولياً . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضياً . يا زكريا إنا
نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سمياً . قال رب أنى يكون لى
غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً . قال كذلك قال ربك
هو على هين وقد خلقناك من قبل ولم تك شيئاً » (١) .

٢ - أن النبي يحيى بن زكريا وهو المعبر عنه في الأناجيل بيوحنا المعمدان المولود من النبي زكريا كان حضوراً أى ممنوعاً من النساء لا يرجى منه نسل ، ومات دون أن يتزوج .

قال تعالى في سورة آل عمران :

« هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لذك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء . فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحضوراً ونبياً من الصالحين » .

وجاء فى إنجيل مرقس إصحاح ٦ عدد ٢٤ حاكياً عن مقتل يوحنا على حدا اعتقادهم

« فخرجت وقالت لأمها ماذا أطلب ؟ فقالت رأس يوحنا المعمدان » .

وفى عدد ٢٧ ، ٢٨ « فلوقت أرسل الملك سيافاً وأمر أن يؤتى برأسه فمضى وقطع رأسه فى السجن وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبية أعطته لأمها » .

كما ورد ذلك الخبر فى إنجيل متى إصحاح ١٤ عدد ١٠ وما بعده :

« فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن فأحضر رأسه على طبق ودفن الصبية فجاءت به إلى أمها » .

٣ - أن المسيح عليه السلام لم يتزوج أو ينجب حتى وقت ذهابه عن العالم ، وقد كان معاصراً للنبي زكريا والنبي يحيى عليهما السلام .

هؤلاء هم الأنبياء الثلاثة ، تعاصروا على بنى إسرائيل فى وقت واحد ، وقتلوا أو ماتوا دون أن ينجب أحد منهم ذرية ترث النبوة من آل يعقوب ، أى من بنى إسرائيل .

إذن من تكون هذه الأمة التى سيعهد إليها بماكوت الله ويرأسها نبي يوحى إليه من الله ويحكم بشرىعة نزلت من السماء ؟

١ - إن المطلع على سفر حزقيال من العهد القديم يجد فى الإصحاح

١٧ عدد ٢٤ إشارة إلى هذه الأمة الجديدة التي سترث النبوة وتقوم على مملكة السماء في الأرض .

« إنى أنا الرب وضعت الشجرة الرفيعة ، ورفعت الشجرة الوضيعة ، ويبتس الشجرة الخضراء ، وأفرخت الشجرة اليابسة ، أنا الرب تكلمت وفعلت »

والمعنى أنه سبحانه أزال شرف الشجرة التي كانت رفيعة القدر بالرسالة والنبوة وهم بنو إسرائيل بن إسحق بن إبراهيم بعد انقراض النبوة منهم . ومعنى أنه أيبس الشجرة الخضراء أنه قطع النبوة منهم ونسخ شريعتهم ، لأن الشجرة متى يبتس وجفت انقطع إنتاجها من الثمر .

ومعنى رفع الشجرة الوضيعة بعد أن كانت مهملة أنه تعالى رفع شأنها وعظم قدرها وهي شجرة إسماعيل بن إبراهيم أخى إسحق ، وزاد فى تفسير هذه الشجرة أنها كانت يابسة خالية من النبوة فأفرخها لتنتج النبوة المنتظرة والرسالة المرتقبة .

٢ - إن مما يؤيد هذا النظر ، ما ورد بإنجيل متى لإصحاح ٢١ عدد ٣٣ وما بعده حاكياً عن المسيح قوله لجموع اليهود فى الهيكل ومنهم تلاويده : «اسمعوا مثلاً آخر ، كان إنسان رب بيت غرس كرمًا وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبني برجا وسامه إلى كرامين وسافر ، ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ ثماره فأخذ الكرامون عبيده ، وجدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً ، ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك ، وأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً : يهابون ابني ، وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث ، هاموا نقتله ونأخذ ميراثه ، فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فمضى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ، قالوا له : أولئك الأرياء يهاكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الإثمار فى أوقاتها ، قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب ، الحجر الذى رفضه البناءون هو قد صار

رأس الزاوية من قبل الرب ، كان هذا هو عجيب في أعيننا ، لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه .

يشير إلى أن السيد المسيح ذكر لليهود وللتلاميذ أيضاً أن اليهود بعد قتلهم عبيد صاحب الكرم وهم الأنبياء لا يبد لصاحب الكرم أن يتزعه منهم ، والكرم كناية عن شريعة السماء يتزعهها الله منهم ، وقد تم ذلك وسلمها إلى كرامين آخرين ، وقد بين صفة هؤلاء الكرامين ، ومن أى جهة هم ، فأشار إلى أنهم من جهة الحجر الذى رفضه البنائون ، كناية عن السيدة هاجر وأولاد ابنها إسماعيل عليه السلام ، لأن إسماعيل وأمه رفضتهما السيدة سارة زوجة أبيه إبراهيم عليه السلام ، ويدور الزمان دورته في نهاية الأمة الإسرائيلية ويعود بنو إسماعيل والمسلمون من أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم حفيد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، فيصرون هم رأس الزاوية في الأهمية بالنسبة لله ، فستحق عن جدارة أن تتولى مملكة الله ، وهذه المملكة طبقاً لما قدمنا هي التي يرأسها نبي خليفة عن الله يوحى إليه من قبله ويحكم بشريعة نزلت من السماء من لدنه سبحانه ، ويقول السيد المسيح عن هذه الأمة الجديدة « كان هذا عجيباً في أعيننا » لأن أبناء إسماعيل من الجارية وهي السيدة هاجر ، أما أبناء إسرائيل فهم من أبناء السيدة سارة وهي الحرة ، ومع ذلك أصبحت الأهمية لأبناء السيدة هاجر ، مما أثار عجب بنى إسرائيل ، وعلى رأسهم المسيح عليه السلام . ثم يستطرد المسيح فيوجه الكلام إلى تلاميذه وهم يمثلون بنى إسرائيل ، فينذرهم بأن ملكوت الله طبقاً لما قدمنا سينزع من بنى إسرائيل ويعطى لأمة أخرى تعمل أثماره أى تعطى الثمار ، وهي المعبر عنها بالعبادات ، وهم بنو إسماعيل ، لأن أبا الجميع إبراهيم كما في سفر التكوين خطاباً لإبراهيم عليه السلام إصحاح ١٧ عدد ٤ « وتكون أبا لجمهور من الأمم » .

ولا محل للقول بأن هذه الأمة هي المسيحية ، لأن الأمة المسيحية بإنجيلها وكتابتها مكتملة للأمة اليهودية في شرائعها ، طبقاً لما ورد عن المسيح في إنجيل (م ٢٠ - النصرانية والإسلام)

متى إصحاح ٥ عدد ١٧ « ما جئت لأنقض بل لأكمل » فضلاً عن أن الخطاب سالف الذكر موجه من المسيح إلى تلاميذه وهم داخلون ضمن الأمة اليهودية بالتبعية .

ومما يؤكد هذا النظر أن المسيح نفسه لم يقيم أو يتولى إنشاء هذه المملكة بل كان دوره قاصراً على البشارة بها .

٣ - إن مملكة الله بمفهومها السابق تنطبق على الدولة الإسلامية التي أنشأها النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة طبقاً للآتي :

١ - كان واضح أسسها ومنشئها ورئيسها النبي محمد ﷺ بوحى من الله تعالى .

٢ - كان ينزل عليه الوحي بشريعة من السماء .

٣ - أن القوازين والأحكام والسياسة التي كانت تطبق في هذه الدولة هي شريعة السماء .

٤ - بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وسلم استمرت مملكة السماء حيث كان يرأسها خلفاء للنبي الذي كان يوحى إليه بشريعة السماء قبل وفاته .

وها هي ذى الأمة الإسلامية قائمة بأمر الله لا يضرهم من خالفهم ، حتى تقوم الساعة ، بالرغم من تأمر أعدائهم عليهم « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

الفصل الثاني

دعوة الإسلام وعموميتها إلى شعوب الأرض جميعاً

١ - البشرية وتعلقها بالدين :

إن الأديان ضرورية للبشرية وفطرية بها . هذه حقيقة تاريخية وفكرية ودينية أيضاً ، فكل إنسان له دين ، والذين ينكرون الأديان ولا يؤمنون بأى دين منها ويحاربون كل الأديان لهم دين جديد ، هو ألا يكون لهم دين ، ذلك دينهم وتلك عقيدتهم التي يؤمنون بها .

فهم عندما رفضوا الدين اتخذوا ديناً آخر ، ولكنه دين يرفض ويهدم ، ولا يبني نفساً ولا يجمع شعباً على الخير في كل مكان .

٢ - وإذا كان دين بني إسرائيل هو أول الأديان الكتابية يقوم على توحيد الإله وتنزيهه ، فإنه اختص بجانب معين دون سائر شعوب الأرض ، فهو إذن ليس الدين الذي يهتدى به الناس كافة ويجدون فيه شيع حاجتهم الفطرية إلى العقيدة ، لأن بني إسرائيل كانوا من قبل قوم أوثان وتعدد وتجسيم ، فلما انتقلوا إلى عبادة التوحيد ، لم يتجردوا مما كان عالقاً بأذهانهم في وثنيهم القديمة ، مما كان الناس يلتمسونه في أربابهم من النعمة وقوة السلطان ، فالتمسوا في الإله الواحد أن يختص بهم لا يعبده أحد سواهم ، وأن يغلبهم على من عداهم من الخلق ، وأن يمكن لهم في أرض الناس وراقبهم ، وكانت آفاقهم آفاق الدنيا ، فعبدوا في الإله الواحد مصدر المعاش وسند الملك وجبروت الانتقام ومناط المعاملات بين الأفراد ، وانتظروا منه أن يكون لهم عوناً على جبروتهم ، وذهبوا إلى حد الاعتقاد بأن الحق والعدل

مما شرع الله غير مطلوبين من العبراني إلا نحو عبراني مثله ، أما مع غير العبراني فلا حق له عندهم ولا شرع ولا عهد .

ثم جاءت النصرانية دعوة إلى الله والزهد في الدنيا والتسامح ، قام بها المسيح عيسى بن مريم رسولا من الله ، لكنها كما قدمنا كانت دعوة محدودة إلى شعب بنى إسرائيل أيضاً .

٣ - ولما كانت العقيدة حاجة روحية لصالح البشر ، فلا يختص بها فريق من الناس دون باقي البشر ، لذلك كانت الحاجة ماسة إلى دين عالمي يكون دعوة إلى جميع شعوب الأرض قاطبة أبيضها وأسودها وأحمرها وأصفرها عربيها وعجميها ، هكذا لابد أن يكون الدين الجديد عقيدة تصلح للبشر ، العامة منهم والخاصة ، تشعر كلا منهم أن له عقيدة يطمئن إليها، وأن هذه العقيدة رباطه بالدنيا وبالآخرة ، بالله وبالإنسان ، فالناس أمة واحدة في هذا الدين الجديد ، هذا الدين المرموق هو دين البشر ، وكان الإسلام هو الذي انبرى للنهوض برسالة هذا الدين ، الذي جمع إليه العقل والقلب جميعاً وصحح ما ترويه الناس من الأخطاء في تفهم ما سبق من عقائد ورسالات ، فالناس كانوا بحاجة إلى دين يؤكد وجود الله ، وأنه خالق الخلق وأنه الكامل المتفرد بالكمال ، بيده الأمر وهو على كل شيء قدير ، حتى تنهى دعاوى المادة وشبهة تفردها بالوجود ابتداء ، ويؤكد وحدانية الله مؤكداً يقضى على مزاعم التعدد في تصور الإله الواحد ، ويلزم أن يؤكد التنزيه لله حتى لا ينزلق الناس إلى التجسيم الذي طالما وقعوا فيه بعد كل دعوة للتوحيد ، بسبب غلبة الحس عليهم .

٤ - فضلا عن ذلك فإن شريعة الإسلام ، وضعت لمبادئ وسعادة البشر أجمعين في كل زمان وفي كل مكان ، وغنية بمصادرها وأصولها وقوانينها الكلية ، وأن نظرياتها المتطورة بالفعل تتمشى مع أحدث مبادئ التشريع العالمي ، بل سبقت أحدث التشريعات في تقرير أرقى المبادئ الفقهية في الشرق والغرب ، وسجل ذلك في المؤتمرات الدولية التي كان منها مؤتمر

القانون المقارن بمدينة لاهاي، سنة ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م حيث استبان لهذا المؤتمر من الباحثين اللذين قدما إليه من مندوبي الأزهر، وكان أحدهما في بيان المسؤولية الجنائية والمسؤولية المدنية في نظر الإسلام، وثانيهما في علاقة القانون الروماني بالشريعة الإسلامية ونفى ما يزعمه بعض المستشرقين من تأثر الفقه الإسلامي بذلك القانون، وانتهى ذلك المؤتمر إلى تقرير الآتي :-

- ١ - اعتبار الشريعة الإسلامية مصدراً من مصادر التشريع العام .
 - ٢ - اعتبار الشريعة الإسلامية حية صالحة للتطور .
 - ٣ - اعتبارها قائمة بذاتها ، وليست مأخوذة من غيرها .
 - ٤ - تسجيل البحث الأول في سجل المؤتمر باللغة العربية ، واعتباره بين المجموعة العلمية التي تدخر للرجوع إليها .
 - ٥ - استعمال اللغة العربية في المؤتمر ، والتوصية بالاستمرار على ذلك في الدورات المقبلة . .
- ولما كان الإسلام دعوة إلى الكافة وإلى العالم أجمع كان رسوله محمد ﷺ مرسلًا إلى الناس جميعاً .

- ١ - قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ :
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » (١) .
- ٢ - وقال تعالى :
« قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً » (٢) .

(١) الآية ٢٨ سورة سبأ .
(٢) الآية ١٥٨ - سورة الأعراف .

وأنه لا نبي بعد النبي ﷺ فهو خاتم النبيين وهذا خاتم الهدى ورسالته
اختتمت بها رسالات السماء .

قال تعالى :

« ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم
النبيين » (١) .

وقال تعالى :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » (٢) .

وقال تعالى :

« وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ » (٣) .

والنتيجة من كل ذلك أن الإسلام هو دين جميع الشعوب والأجيال .

فهو دين الجليل الذي بعث فيه محمد .

ودين الأجيال من بعده حتى يوم الدين لأنه دين الله سبحانه وتعالى
وأنه لن يقبل من البشر ديناً غيره . قال تعالى كلماته :

« إن الدين عند الله الإسلام » (٤)

وقال سبحانه :

« ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة ن .

الخالسين » (٥) .

(١) الآية ٤٠ سورة الأحزاب .

(٢) الآية ١٠٧ سورة الأنبياء .

(٣) الآية ١٩ سورة الأنعام .

(٤) الآية ١٩ من سورة آل عمران .

(٥) الآية ٨٥ من سورة آل عمران .

والرسالات التي كلف بها المرسلون قبل النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت رسالات قومية . أما رسالته هو فهي رسالة عامة موجهة للبشر جميعا وإلى جميع الناس في أجناسهم ولغاتهم الموجودين وقت حياته والذين يوجدون بعد مماته إلى يوم الدين .

وعن الرسالات السابقة التي كانت رسالات قومية .

قال تعالى عن نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم

السلام : (١)

« لقد أرسلنا نوحا إلى قومه » .

« وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره » .

« وإلى ثمود أخاهم صالحا » .

« ولوطا إذ قال لقومه » .

« وإلى مدين أخاهم شعيبا » .

« ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وهامان » .

وقال تعالى في شأن عيسى عليه السلام (٢) :

« ورسولا إلى بني إسرائيل » .

عناصر العالمية في الإسلام :

أولا : وحدانية الإله وإنكاره تعدد الآلهة وهو ركن الأركان في الإسلام :
وأساس الإيمان في شريعة محمد أن يكون بالله وحده لا شريك له وتنزيهه
عن كل صفة يتصف بها خلقه ، والجزم بأن الله سبحانه وتعالى هو مبدع

(١) سورة الأعراف ٦٠ ، ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران ٤٩ .

هذا العالم وموجده وخالقه من العدم وأنه يمسك العالم في وجوده ونظامه ، وهو القديم فليس قبله شيء ، وهو الآخر فليس بعده شيء ، وأنه يعلم دقائق الأمور في هذا الكون .

ومفهوم التوحيد يعنى استغناء الإنسان بالله عن كل ما سوى الله ، ومن هذا المفهوم أعطى المسلم الكرامة والإباء والشعور بالعزة ، والمسلم حين يستعين في دنياه بغير الله فهو على يقين من أن الله هو الذى سخره له ، وأنه تعالى ربط المسببات بالأسباب .

ويقرر الإسلام في جانب الإله الوجدانية الشاملة :

١ - ووجدانية الربوبية فلا خالق ولا مدبر ولا متصرف سواه .

٢ - ووجدانية الألوهية فلا معبود ولا مسئول ولا مستعان سواه ، وبالوجدانية بشقيها لله تعالى دعا الإسلام .

قال تعالى :

« يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون » (١) .

٣ - ولقد نعى القرآن الكريم كثيرا على من عدد الإله فاتخذ إلهين اثنين أو ثلاثة ، أو عبد شيئا من الخلق كالكوكب مثل الشمس والقمر ، أو عبد الأصنام ، وقد نبه المشركين على اختلاف مذاهبهم ، إلى النظر والتفكير فيما يوجب وحدة المعبود وحدة تامة كاملة .

قال تعالى :

« قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا » (٢)

(١) سورة البقرة ٢١ ، ٢٢ .

(٢) سورة الإسراء ٤٢ .

وقال تعالى :

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (١)

وقال تعالى :

« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون . عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون » (٢) .

وقال تعالى :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله (٣) » .

ونبهم إلى وحدانيته سبحانه بنحو قوله :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (٤) .

وقوله تعالى :

« قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء » (٥) .

ولقد أجمعت المصادر الإسلامية على مفهوم واضح نقي لله سبحانه وتعالى ، لخصه العالم الإسلامي عبد القادر البغدادي فيما يلي :

(١) سورة الأنبياء ٢٢ .

(٢) سورة (المؤمنون) ٩١ ، ٩٢ .

(٣) سورة آل عمران ٦٤ .

(٤) سورة الإخلاص .

(٥) آيات من سورة الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

١ - إن الله سبحانه وتعالى هو صانع العالم ، وإن له سبحانه صفات ثابتة اختصها بذاته ، وأن الحوادث كلها لا بد لها من محدث صانع هو قديم لم يزل ، وليس له صورة ولا أعضاء ولا يحويه . وكان ولا يجري عليه زمان ، ولا تلحقه الآلام واللذات وهو غني عن خلقه ، وإنه واحد لا شريك له .

٢ - إن الله قادر على كل شيء بالاختراع من العدم ، وعلمه واحد يعلم به الموجودات بتفاصيلها من غير استدلال ، وسمعه وبصره محيطان بجميع المسموعات والمرئيات بغير أذن ولا حدقة ، وهو لم يزل رائيا لنفسه سامعا للكلام نفسه .

٣ - والله يراه المؤمنون في الآخرة ولا يحدث شيء في العالم إلا بإرادته . ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، والله حي بلا روح ولا اغتذاء ، وكلام الله صفة أزلية ، وهو كلام غير مخلوق ولا محدث ولا حادث (١) .

وقد أثبت العلم الحديث مفهوم الله سبحانه وتعالى على هذا النحو الذي يورده أحد العلماء المختصين في الكيمياء فيقول واين أولت :

« إن الله كما نعرفه ليس مادة أو طاقة ، كما أنه ليس محدودا حتى نستطيع أن نخضعه لحكم التجربة والعقل المحدود ، بل على النقيض من ذلك نجد التصديق بوجود الله يقوم على أساس الإيمان ، وهو إيمان يستمد تأييدا علميا من الدلائل غير المباشرة التي تشير إلى وجود سبب أول أو إلى دافع مستمر منذ القدم .

إن الإيمان بالله يعد لازما لاكتمال وجود الإنسان وتمام فلسفته في الحياة ، ولا شك أن الاعتقاد بوجود إله خالق لكل الأشياء يعطينا تفسيراً بسيطاً سليماً واضحاً في النشأة والإبداع والغرض والحكمة يساعدنا على تفسير كل ما يحدث من الظواهر .

أما النظريات التي ترمى إلى تفسير الكون تفسيراً خلاف ذلك ، فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجع ماحدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى إلى محض المصادفة ، فالمصادفة فكرة يستعاض بها عن وجود الله ، بقصد إكمال الصورة والبعد عن التشويه ، ولكن فكرة وجود الله أقرب إلى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ، ولا شك في أن ذلك النظام البديع الذي يسود الكون يدل دلالة حتمية على وجود إله خلاق عليم ، وليس على وجود صدفة عمياء تخبط خبط عشواء ، وعلى ذلك فالمشتغل بالعلوم هو أول من يجب عليه التسليم تسليماً منطقياً بوجود إله مبدع لا حدود لعلمه ولالقدرته ، يحيط بمخالفاته برعايته سواء في ذلك الكون المتسع أو كل ذرة أو جزئية من جزئيات هذا الكون في تفاصيلها الدقيقة .

ويقول كرسى موريسون :

« إن وجود الخالق تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها تكون الحياة بدونها مستحيلة ، وأن وجود الإنسان على ظهر الأرض والمظاهر المفاخرة الذكائه إنما هي جزء من برنامج ينفذه باري الكون . »

وتوحيد الله تبارك وتعالى هو منطق الحرية والقوة والعمل ، وهو المصدر الأول لتحرير الإنسان من كل القيود والوثنيات ، وتحرير الإنسان من قيد الإنسان ، ومن العبودية الاجتماعية والعبودية الفكرية معاً ، ومن الرهبانية والزهادة ، ومن الترف والإباحية في نفس الوقت ، وأبرز مفاهيم التوحيد هو تأكيد الإسلام على قيام العلاقة بين الإنسان وربّه مباشرة دون وساطة ، حيث جعل الإسلام كمال النفس في حسن اتصالها بالله . والرقابة على الإنسان وعمله لله وحده وليست من شخص أو هيئة أيا كانت .

١ - يقول باوتلمي سانهار :

إن الإسلام قد أحدث رقياً عظيماً ، فقد أطلق العقل الإنساني من قيوده التي كانت تأسره حول المعابد وبين أيدي الكهنة من ذوى الأديان المختلفة ، فارتفع إلى مستوى الاعتقاد بحياة وراء هذه الحياة ، وأن محمداً بتحريره

الصور في المساجد ، وكل ما يمثل الله قد خاص الفكر الإنساني من وثنية القرون الأولى ، واضطر العالم أن يرجع إلى نفسه ، وأن يبحث عن الله خالقه .

٢ - ويقول ولفر وكابتول سميت :

ما من دين استطاع أن يوحى إلى المتدين به شعوراً بالعزة كالشعور الذى يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع .

٣ - ويقول مسمار :

إن التوحيد الذى هو أساس الدين الإسلامى كان السبب الأول فى نجاح دعوة محمد ، وإن إعلان محمد هذا التوحيد فى عصر ملت فيه الأمم خرافات علم اللاهوت كان أفضل ما جاء به وأفعله بالعقول ، حتى أنه ما كاد يفوه بالدعوة إلى توحيد الله حتى استنار العالم كله بدعوته .

٤ - ويقول روم لاندو :

إن الإيمان بالله جنب المعارف الإسلامية الانقسام إلى دينية أو عقلية ، ولقد كان مفهوم التوحيد فى الإسلام هو الفيصل الواضح الدقيق بينه وبين عشرات من النحل والمذاهب والعقائد ، وعلى أساسه رفض الإسلام التعدد والوثنية والاثينية ، ورفض به المسلمون رأى أرسطو فى الله ، ورأى الفلاسفة الهلينية فى تجاوزها ، والفلاسفة الغنوصية فى قولها بالاتحاد والحلول ، ذلك أن إله الإسلام هو إله البشرية كلها ، وتشمل رعايته التى لا حد لها ورحمته الواسعة جميع الأمم والأقوام ، وليس كإله إسرائيل الذى يفضل شعبه على الشعوب الأخرى . وأجمع الباحثون المنصفون على حقيقة لا ريب فيها هى أن التوحيد هو الأساس الذى كان مصدر نجاح دعوة محمد .

٥ - ويقول رينيه ميليه :

لم يقرر الإسلام وساطة بين الله والناس يرجع إليها الحل والعقد فى كل الأمور ، ولم يستن نظام الصوامع وقضى على عادة العزوبة التى كانت

متبعة ومستفيضة ، وعلى عادة التنسك والخروج من الدنيا ، ثم إن الإسلام أرجع الدين إلى حالته الطبيعية ، ولم يأت بشيء من تلك العقائد الفلسفية بل قال بكل وضوح (لا إله إلا الله) عقيدة سهلة التناول وملائمة للفطرة وأعطت الحياة الدنيا قسطها من الاعتبار .

ومن الحق أن الإسلام صحح أخطاء الوثنية اليونانية التي كانت تقول بالصراع بين البشر والآلهة مع تعدد الآلهة . ومع ترقية الأبطال إلى مقام أنصاف الآلهة أو الآلهة ، ومن الحق أن تلك العداوة الضارية التي صورها اليونان بين البشر والآلهة هي زيف لا حد له قام على أساس مجموعة من الأساطير كأسطورة بروميثوس سارق النار والإله زيوس .

ويتصل بهذا المفهوم المأساة في الأدب الهليني والأدب الغربي كله الذي يصل بالقصة دائماً إلى نهاية سحق الآلهة للبشر ، وقد أورث هذا المفهوم الأدب الغربي كله طابع التشاؤم والخوف والحقد ، وكان مصدراً لظهور الدعوات الهدامة من الفرويدية والوجودية والهيديّة التي تقوم على اليأس القاتل .

أما المسلمون فقد أعطاهم الإسلام مفهوماً رحياً متفائلاً سمحاً يقوم على أساس إيمانهم برحمة الله وبره وعظائه ، حيث يقوم مفهوم الإيمان بقضاء الله مانعاً دون هذه الظاهرة الخطيرة التي عمقها في الفكر الغربي والآداب الغربية ، نظرية الخطيئة المسيحية التي استمدت مصادرها من الفلسفات الهلينية وما عاصرها من فلسفات ، ولقد كان التوحيد هو العامل الأساسي في إلغاء عبادة البطولة وعبادة الفرد ، ووضع الإنسان المبرز في مكانه الحقيقي مع الحيولة والامتناع عن وضع الأنبياء والرسول في مقام الألوهية ، وتقرير مكانتهم الحقيقية في مكان الوحي والتبليغ عن الله سبحانه .

وفي تقدير الباحثين أن قضاء الإسلام على الوثنية واجتثاثها من جذورها منذ أول يوم لدعوته ، هو العامل الأساسي في ترسيخ التوحيد قاعدة لبناء

الحضارة الإسلامية (١) .

ثانياً : الإيمان بكتب الله المنزلة على الأنبياء سواء منها ما أنزل على محمد ﷺ وما أنزل على إخوانه الأنبياء السابقين ، لأن هذا الإيمان عنصر من عناصر الإسلام لا يتحقق إلا به ، فيجب الإيمان بإبراهيم وصحفه وموسى وتوراته ، وداوود وزبورته ، وعيسى وإنجيله ومحمد وقرآنه . فاقضى الأمر على المسلم الإيمان بكل ما أنزل الله من كتب على من اصطفى من رساله .

قال تعالى :

« آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » (٢) .

وهذه الآيات هي جماع عقائد الإسلام الأساسية .

ثالثاً : الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده من لدن آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ ، لأن الله اصطفىهم من عباده وحملهم رسالته عن طريق ملائكته ووصيته إليهم لهداية الأمم التي أرسلوا إليها بالعقيدة والعمل الصالح ، دون تفریق بين أحد منهم أو الإيمان بالبعض دون البعض الآخر ، وبذلك تكتمل وحدة الرسالات الآلهية .

قال تعالى :

« وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون » (٣) .

(١) عالمية الإسلام - التوحيد للأستاذ أنور الجندي - بمجلة منبر الإسلام عدد رجب

سنة ١٣٩٢ - أغسطس ١٩٧٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٣) سورة النحل ٤٣ .

وقال تعالى :

« وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين» (١) .

وقال تعالى :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به لإبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (٢) .

وقال تعالى : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقرتم وأنخذتم على ذلكم إصري ، قالوا : أقررنا قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين» (٣) .

وقال تعالى :

« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٤) .

وقال تعالى : فيمن يفرق في الإيمان فيؤمن ببعض الرسل دون البعض

الآخر :

« إن الذين يكفرون بالله ورساله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورساله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً » (٥) .

(١) سورة الأنبياء ٨ .

(٢) سورة الشورى ١٣ .

(٣) سورة آل عمران ٨١ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٦ .

(٥) سورة النساء : ١٥٠ ، ١٥١ .

وقال تعالى في شأن رسالة النبي محمد ﷺ وأنه تمت أسباب الكمال
الديني للإنسانية .

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام
ديناً » (١) .

رابعاً : الإيمان بالملائكة جميعاً :

الملائكة هم أجسام نورانية خلقهم الله، سفراء الوحي بينه وبين رسله
حتى يبلغوا رسالات الله إلى خلقه .

وقد قرر القرآن الكريم فيهم أنهم عالم غيبي ليس مادياً من طبيعته أن
يبرز في العالم المادى وهم ينفذون أوامر الله ، وأنهم ذوو وظائف وزعها
عليهم ربهم سبحانه وتعالى ومن أمثلة هؤلاء الملائكة ما قصه الله علينا
في القرآن :

١ - قال تعالى عن ينفذ أوامر الله سبحانه وتعالى :

« بل عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » (٢) .

٢ - وقال تعالى :

« لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (٣) .

٣ - وقال تعالى عن كلف منهم بتبليغ الوحي والرسالات إلى أنبيائه
ورسله .

« وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون
من المنذرين » (٤) .

(١) سورة المائدة : ٣ .

(٢) سورة الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧ . (٣) سورة التحريم : ٦ .

(٤) سورة الشعراء : ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ .

- ٤ - وقال تعالى عمن يثبت بهم المؤمنين .
« إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا » (١) .
٥ - وقال تعالى عمن كلفوا بتبشير المؤمنين الذين أحسنوا في الدنيا بحسن العاقبة « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون » (٢) .
٦ - وقال تعالى عمن كلف بقبض الأرواح عند الموت .
« قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم » (٣) .
٧ - وقال تعالى عمن كلف بحفظ الإنسان وتسجيل أعماله في دنياه :
« وإن عليكم لحافظين . كراماً كاتبين . يعلمون ما تفعلون » (٤) .

عداوة اليهود لبعض الملائكة :

ولقد عادى اليهود جبريل عليه السلام لزعمتهم أنه أمر أن يجعل النبوة فيهم فيجعلها في غيرهم ، أو لأنه لا يأتي إلا بالشدة والحرب والقتال ، أو لنزوله بالقرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم مصداقاً لكتابتهم وهم كارهون للقرآن ، ولذلك حرفوا التوراة (٥) .

فأخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أن من كان عدواً لجبريل فلا حق له في عداوته لأنه لم ينزل بالقرآن من تلقاء نفسه ، وإنما جاء بأمره سبحانه مصداقاً لما سبقه من الكتب وهادياً ومبشراً للمؤمنين ، فهو من حيث إنه مأمور ووجب أن يكون معذوراً ، ومن حيث إتيانه بالهداية والبشارة ووجب أن يكون مشكوراً ، وعداوة من هذا سبيله عداوة لله تعالى .

- (١) سورة الأنفال : ١٢ .
(٢) سورة فصلت : ٣٠ .
(٣) سورة السجدة : ١١ .
(٤) سورة الأنفطار : ١٠ ، ١١ ، ١٢ .
(٥) صفوة البيان لمعان القرآن لفضيلة الأستاذ الشيخ حسين مخلوف مفتي الديار المصرية سابقاً .

ولقد نعى عليهم القرآن الكريم تلك العداوة منهم لجبريل عليه السلام ، لأن فيها تفرقة في الإيمان بالملائكة الذين يجب الإيمان بهم جميعاً ، وليس إيماناً بالبعض وعداوة وكفراً بالبعض الآخر .

قال تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين • من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فإن الله عدو للكافرين » (١) .

خامساً : الإيمان بيوم الحساب وهو يوم القيامة حيث يجازى كل على عمله من خير أو شر ، وإقرار الإسلام لمبدأ البعث والعزاء هو دعامة المسؤولية الفردية في الحياة الدنيا .

فلا بد أن تكون الحياة الدنيا تكليفاً ومسئولية ، وأن يكون المسلم فيها في معاناة الشر والخير ، ومن ثم فعله أن يتصرف بإرادته الحرة وأن يواجه مسؤوليته في الآخرة .

قال تعالى :

« وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى » (٢) .

وقال تعالى :

« فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٣)

وقال تعالى عن نعم الآخرة .

« ولمن خاف مقام ربه جنتان » (٤) .

(١) سورة البقرة : ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) سورة النجم ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .

(٤) سورة الرحمن : ٤٦ .

(٣) سورة الزلزلة ٧ ، ٨ .

وقال تعالى عن عذاب الآخرة .
« كلالينذن في الحطمة . وما أدراك ما الحطمة . نار الله الموقدة . التي
تطلع على الأفئدة » (١) .

وقال تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن
بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبين » (٢) .

كيف يطلب الإسلام من الناس جميعاً الإيمان بتلك العقائد :

إن الإسلام حينما يطلب من عامة البشر الإيمان بتلك العقائد .

١ - لا يكرههم عليها لأن طبيعة الإيمان تأتي الإكراه .

قال تعالى :

« لا إكراه في الدين » (٣) .

وقال تعالى :

« ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس
حتى يكونوا مؤمنين » (٤) .

٢ - كذلك لا يحملهم على الإيمان بطريق الخوارق الحسية التي تدهش
العقول وتلقى بها في حظيرة الاعتقاد دون نظر واختيار .

قال تعالى :

« إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » (٥)

(١) سورة الهزمة ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٢) سورة البقرة : ١٧٧ .

(٣) سورة البقرة ٤ : ٢٥٦ .

(٤) سورة يونس : ٩٩ .

(٥) سورة الشعراء ٤ .

٣ - ولكن كانت حجة الإسلام البرهان الذي يملأ القلب من ناحية
وعمس شعوره الباطن وإحساسه الداخلي ، لذلك طلب من الإنسان النظر
والتفكير في هذا الكون بما يحتويه من أرض وما أودع فيه من أسرار ،
وما بنى عليه من نظام محكم ، وأفرغ عليه من وحدة جعلته متماسك الحلقات
لا يلحقه خال ولا انتكاس ، مما يوجب الاعتراف بأن لهذا الكون خالقاً
مهيمناً عليه مدبراً له متصرفاً فيه بالعلم الشامل والقدرة النافذة والحكمة
البالغة حتى يصل إلى الغاية التي حددها له بعلمه وحكمته ، وهذا الطريق هو
أكثر ما أرشد القرآن إليه ، ولا تكاد ترى سورة إلا وتدعو إلى التفكير
والإرشاد إلى أعمال العقل .

قال تعالى :

« إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي
تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين
السماء والأرض آيات لقوم يعقلون » (١) .

وقال تعالى :

« والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون . والأرض فرشناها فنعم الماهدون .
ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » (٢) .

وقال تعالى مشيراً إلى وجدان الإنسان الفطري في الاعتقاد بوجود الله :

« ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز
العليم » (٣) .

(١) سورة البقرة : ١٦٤ .

(٢) سورة الذاريات ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) سورة الزخرف : ٩ .

وقال تعالى :

« وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض » (١) .

وقال تعالى مصوراً إحساس فرعون حينما أدركه الغرق ، إذ اعترف بوجود الله بعد أن كان قبل ذلك منكرراً له ، بل وزاد ذلك بأن ادعى الألوهية :

« وجاوزنا بنى إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا ، حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين . آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك بيدناك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون » (٢)

حجة الإسلام فيما يطالب به البشر من إيمان :

إن حجة الإسلام فيما يطالب به البشر والناس جميعاً فى كل زمان ومكان من الإيمان به هو القرآن الكريم ، فهو المعجزة العقلية الدائمة الباقية على مر الزمان ، التى تعمل عملها فى العقول وتدفعها إلى النظر .

ومعجزة القرآن باقية بقاء الزمان ، أما معجزات الأنبياء ، فلا يستطيع إثباتها إلا بالقرآن العظيم ، وقد أيد الله حجة القرآن بجزائها على رسول أمى .

قال تعالى :

« وما كنت تنلو من قبله من كتاب ولا نخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ، بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يحمد بآياتنا إلا الظالمون . وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى

(١) سورة فصلت : ٥١ .

(٢) سورة يونس : ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ .

ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون « (١) .

وللإسلام عناصر عالمية أخرى نجملها في الآتي :

١ - المساواة في الإسلام

أولاً - المساواة بين بني آدم في نظر الإسلام بالنظر إلى عقيدته وشريعته :

كما يقوم الإسلام على التوحيد الخالص للإله الواحد ، يقيم وحدة الجنس البشري جميعه . فالناس يتساوون جميعاً في نظر الإسلام دون نظر إلى جنس أو لون أو جاه أو أى فارق آخر بينهم .

وإن درجات القرب من الله تتبع درجات القوة في الإيمان والاستقامة على اتباع أحكام الشريعة التي فصلها في كتابه الكريم .

قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » (٢) .

وقال تعالى :

« ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » (٣) .

ولم يحاب القرآن الكريم العرب على حساب غيرهم من الشعوب أو يجعلهم شعب الله المختار . ولم يميزهم على سائر الشعوب أو يعتبرهم

(١) سورة العنكبوت ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

(٣) سورة النساء : ١٢٣ ، ١٢٤ .

أبناء الله وأحباؤه بل ساوى بين الجميع وأعطى كل مخلوق على حساب عمله .

وليس هذا فحسب ، بل إن القرآن كشف ما انطوى عليه بعض الأعراب من مأخذ .

(أ) قال تعالى :

« الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم » (١) .

(ب) وقال تعالى :

« ومن حولكم من الأعراب منافقون ، ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم » (٢) .

(ج) وقال تعالى :

« ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرباً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم » (٣) .

(د) وقال تعالى :

« قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم » (٤) .

٢ - المساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات : إن الإسلام تتساوى أمامه مسئولية المرأة مع مسئولية الرجل من الوجهة الدينية فتكلف بالعقيدة وبالعامل الصالح كما يكلف الرجل بهما تماماً .

(١) سورة التوبة : ٩٧ .

(٢) سورة التوبة : ١٠١ .

(٣) سورة التوبة : ٩٨ .

(٤) سورة الحجرات : ١٤ .

ومسئوليتها في ذلك مسئولية مستقلة لا تتأثر بمسئولية الرجل .

قال تعالى :

« ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقبلا ادخلا النار مع الداخلين . وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين » (١) .

٣ — استقلال الولد متى بلغ سن الرشد عن والده في المسئولية . إن الولد متى بلغ سن الرشد وهو اكتمال عقله تتقرر مسئوليته الدينية كاملة ومستقلة عن مسئولية والده .

قال تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً » (٢) .

ثانياً — منزلة الإنسان في الإسلام وحرية في أداء الخير والشر :

يقرر الإسلام أن الله خلق الإنسان مستعداً لفعل الخير والشر ، فهو بإمكانه إسعاد نفسه بالخير أو يشقيها بالشر وذلك في الدنيا والآخرة .

قال تعالى :

« إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » (٣) .

وقال تعالى :

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة ولنجزيهن أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٤) .

(١) سورة التحريم : ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة لقمان : ٣٣ .

(٤) سورة النحل : ٩٧ .

(٣) سورة الإنسان : ٣ .

من ذلك يتبين أن الإنسان خلقه الله بقدر من الحرية والاختيار بحيث يفعل الخير مختاراً فيثاب ، ويفعل الشر مختاراً فيعاقب ، وبذلك الحرية وهذا الاختيار كلفه الله وأرسل إليه الرسل لهدايته وإرشاده ، ثم تركه وما يختار لنفسه من خير أو شر ، وعلى هذا الأساس يكون جزاؤه يوم القيامة حيث يحاسب الناس ، فمن عمل خيراً نجا بنفسه ، ومن عمل شراً جوزى على ما فعل ، وهذا هو الأساس الذي قامت عليه التكاليف الشرعية في الإسلام قال تعالى :

« هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » (١) .

وقال تعالى :

« ونفس وما سواها . فأطمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها .
وقد خاب من دساها » (٢) .

ويتصل بحرية الإنسان واختياره مسألة القضاء والقدر طبقاً للآتي :

ثالثاً - القضاء والقدر في الإسلام :

إن القرآن وإن ورد به ذكر القضاء والقدر لكنه ينكر على من ينتسب إليه الاحتجاج بهما والاعتماد عليهما كلية في حياته بما يؤدي إلى ضعفه وانحلاله ، وقدما اعتذر المشركون عن شركهم بأنهم مجبورون بمشيئة الله على شركهم ، فأنكر الله عليهم ذلك بما منحهم من عقل وأرسل إليهم من رسل ليختاروا بأنفسهم طريق الهدى أو طريق الضلال .

قال تعالى :

« سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم

(٢) سورة الشمس ٧، ٨، ٩، ١٠ .

(١) سورة الأعراف : ١٤٧ .

من علم فتخرجه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرون . قل فإله الحجة
البالغة فلو شاء لهذاكم أجمعين » (١)

قال تعالى :

« فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى . وأما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى . فسنيسره للعسرى » (٢) .

رابعاً - سماحة الإسلام واتفاقه مع الفطرة السليمة :

إن طبيعة الإسلام التي أعطته طابع العالمية أنه دين الفطرة ، وهذه الصفة
من أبرز حقائق الإسلام ، فلا تجد فيه نصاً أو حكماً أو قاعدة تتعارض مع
فطرة الله التي فطر الناس عليها ، أو تقف منها الطبيعة الإنسانية السليمة موقف
التردد أو المعارضة .

كما أنه دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة بألوانها المختلفة ، ولذلك فهو
يسائر الثقافات الصحيحة والحضارات النافعة التي يتفتق عنها عقل البشر
في صلاح الحياة وتقدمها ، مهما ارتقى العقل ونمت الحياة — بل إنه لفت
الأنظار إلى ما في الكون وأنه سخره لبني الإنسان ، من كواكب ونجوم
وأهار وجبال ووديان ، وليستجلوا ما استطاعوا من خبايا أسرارها التي
لا تنتهي . قال تعالى : « هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً » (٣) .

لذلك ، فإن العقل الإنساني حينما ارتقى واتسعت أمامه آفاق العلم ،
لم يعد يقبل ما يضاد الفطرة ، لأنه حين عرف سنن الله في الكون ، أحس
بأن سنن الفطرة لا تتعارض ، ولذلك فقد وقف وقفة الشك من الأساطير
والخرافات والسحر وكل التفسيرات التي لا تعطي إجابات واضحة صريحة

(١) سورة الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩ .

(٢) سورة الليل : ١٠ ، ٩ ، ٨ ، ٧ ، ٦ ، ٥ .

(٣) سورة البقرة : ٢٩ .

والإسلام ليس كذلك فإن أبرز ما لفت أنظار أصحاب العقول السليمة والفطر النقية إليه ، ذلك الوضوح الذي يكشف كل الحقائق ، ولا يدع أمراً منها خاصاً بأحد من الناس أو فئة من دون الناس .

ولقد اعترف الإسلام بفطرة الإنسان وبطبيعته القائمة على الخير والشر ورغباته وغرائزه في الامتلاك والطعام والمرأة ففتح له الطريق إلى الاستجابة لهذه الرغبات بعد أن وضع لها ضوابط وحدوداً ليحتمي بها الإنسان نفسه من الفساد والانحراف والتمزق والكل ذلك فإن الإسلام أقام من الفطرة حقيقة ثابتة لا تستطيع أى قوى أن تغير مجراها، ومن هنا استقرت أصول الدين والأخلاق والقيم في الإسلام فلم ترتبط بالأزمان أو البيئات ولم تصبح نسبية لأنها ارتبطت بالإنسان نفسه .

والقرآن الكريم هو الذى أعلن ثبوت الفطرة من غير تبديل قبل عصر العلوم بسبعة قرون كاملة، فإذا كان العلم يقرر اليوم اتساق الفطرة واطراد السنن واستحالة التناقض بينها فإن هذا من أصول الإسلام التى سجلها القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان .

قال تعالى :

« فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله » (١) .

وقال تعالى :

« سنة الله التى خلت من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلاً » (٢) .

« ولن نجد لسنة الله تحويلاً » (٣) .

(١) سورة الروم : ٣٠ .

(٢) سورة الفتح : ٢٣ .

(٣) سورة فاطر : ٤٣ .

حتى لقد قام منهاج المعرفة الإسلامى على أساسين هما :

١ - سنن الله فى الكون والطبيعة .

٢ - سنن الله فى الإنسان والمجتمعات .

وهما أساسان متكاملان وليسا منفصلين ؛ أحدهما جزئى وقاصر على مجال العلم ، والآخر كمال ومهد لطرائق العلم وحافظ لاتجاهاته من أن تنصرف إلى الشر أو الظلم أو التدمير .

خامساً - الأخوة فى الجماعة الإسلامية :

رفع الإسلام درجة الجماعة الإنسانية عن أن يكون تجمعها وتعاونها راجعاً إلى غير المبادئ والمثل العليا ، فجعل العقيدة هى الوحدة المشتركة بينهم والروح السارية فيهم ، لأنه بوصفه ديناً عالمياً لم يعتبر الجنسية ولا العنصرية ولا التوطن فى بلد معين هو أساس تكوين الدولة ، لأن فى ذلك تحديداً أو تضييقاً فى عالميته .

(١) فكانت الأخوة الدينية بين المسلمين هى التعبير الصادق عن هذه الوحدة المشتركة .

« إنما المؤمنون إخوة » (١) :

كما قرر النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأخوة فى حديثه إذ يقول :

« المسلم أخو المسلم » .

(ب) غلبت أخوة الإيمان كل صلة سواها حتى النسب ، فنبى المرء قبيلته وخرج على عشيرته ، وأصبحت صلة النسب عارية عن الفائدة والأثر إذا تجردت عن أخوة الإيمان ، فلا توارث بين المسلم وغير المسلم ولو أباه أو أخاه .

قال تعالى :

« لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم » (١) .

(ج) ربطت هذه الأخوة بين المسلمين حتى أصبحوا أسرة واحدة كبيرة يفرح المسلم لفرح أخيه ويحزن لحزنه ويعاونه عند الحاجة ، ويرشده ويهديه إذا ضل ، ويرحمه إذا ضعف ، ويعامله بما يجب أن يعامل به ، ويحفظه في ماله وعرضه حاضراً وغائباً، ويسعى في إصلاح ذات البين إن وقع هناك خلاف .

قال تعالى « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (٢) .

وقال تعالى :

« هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم لأنه عزيز حكيم » (٣)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

سادساً – التكافل الاجتماعى فى الإسلام :

وهو شعور كل مواطن مسلم بأنه مسئول وحامل لتبعات نفسه وأخيه من المواطنين ، فكما يسأل عن نفسه يسأل أيضاً عن غيره . وهذا التكافل له شعبتان :

(٢) سورة آل عمران ١٠٣ .

(١) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٣) سورة الأنفال : ٦٢ ، ٦٣ .

(١) إحداهما مادية :

وسبيلهما مد يد المعونة للمحتاجين ، وإغاثة الملهوفين وتفريج كربة المكروبين وإشباع الجائعين ، وتأمين الحائضين ، والمساهمة في إقامة المصالح العامة .

وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادى ، وأطلق عليه عدداً من العناوين المحببة ، فهو تارة زكاة وجعلها ركناً من أركان الدين ، وتارة إحسان ، ومرة صدقة وأخرى إنفاق فى سبيل الله بوصفه فضيلة إنسانية - ، وينصرف إلى جميع أصناف المال من نقد وزرع وماشية ، ويجب للفقير على الغنى بشروط وأحكام مفصلة فى علوم الفقه الإسلامى المختلفة .

وثانيهما شعبة أدبية : وهى تعاون المسلمين المعنوى بالنصح والإرشاد والتوجيه ، وقد سماه القرآن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال تعالى :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر » (١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

الدين النصيحة . قالوا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . أخرجه الإمام مسلم .

سابعاً - العدل فى الإسلام :

عنى القرآن بمبدأ العدل حفظاً لكيان المجتمع البشرى كما حذر من الظلم ولو للأعداء الذين يحملون الكراهية والبغضاء للمسلمين ، لأن اطمئنان الناس على حقوقهم ومنع الغير من سلبها هى أهم دعائم السعادة التى يسعى

(١) سورة التوبة : ٧١ .

إليها البشر ، فإن العدل من أهم أهداف لإرسال الرسل وإنزال الشرائع والأحكام .

١ - قال تعالى :

« ولا يجر منكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » (١)

وقال تعالى :

« إن الله يأمر بالعدل والإحسان » (٢) .

٣ - وقال تعالى :

« وإذا قلتم فاعدلوا » (٣) .

٤ - وقال تعالى :

« لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » (٤) .

٥ - وقال تعالى منوها عن العدل في شؤون الأسرة عند تعدد الزوجات .

« فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » (٥) .

٦ - وقال تعالى منوها عن العدل في كتابة الوثائق التي تحفظ بها

الديون :

« يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل » (٦) .

٧ - وقال تعالى آمراً بالعدل في الشهادة :

(١) الآية ٨ من سورة المائدة .

(٢) الآية ٩٠ من سورة النحل .

(٣) الآية ٢٥ من سورة الحديد .

(٤) الآية ١٥٢ من سورة الأنعام .

(٥) الآية ٣ من سورة النساء .

(٦) الآية ٢٨٢ من سورة البقرة .

« كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين » (١) .

٨ - وقال تعالى آمراً بالعدل في القضاء :

« إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٢) .

ثامناً - وحدة الإنسانية ووحدة العبادة في الإسلام :

أعلن الإسلام منذ ظهوره وحدة الإنسانية ، وذلك بأن الناس من أب واحد، لذلك كانت وحدتهم في الإنسانية نتيجة لهدف واحد دون أى تفرقة تعوق سعادة المجتمع ، فأحكامه على جميع أفراده دون نظر إلى غنى أو فقير أو أبيض أو أسود أو شريف أو حقير ، وكما وحد الإسلام بين المسلمين في المعاملة ، وحد بينهم في العبادة ، إذ أمرهم أن يعبدوا إلهاً واحداً هو الخالق الذى لا رب سواه ، وجعل تمايزهم وتفاضلهم بالتقوى .

قال تعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير » (٣) .

وقال تعالى :

« يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » (٤)

(١) سورة النساء ١٣٥ .

(٢) سورة النساء : ٥٨ .

(٣) سورة الحجرات ١٣ .

(٤) سورة النساء : ١ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع من خطبة كبيرة له :

« أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب »

إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى
ألاهل بلغت : اللهم فاشهد . فليبلغ الشاهد منكم الغائب . »

وإذا احتفظ غير المسلمين بحالة السلم سالمناهم ، وتعاوننا معهم على الخير ،
ولكل دينه دون إضرار بأحد ولا انتقاص لحق أحد ، أو إكراه لأى مخلوق ،
لأن الإسلام يرى أن حالة السلم هي الأصل في علاقات الأمم والناس .

تاسعاً الإسلام والتمتع بلذائذ الحياة الحلال :

أباح الإسلام لمعتنقيه التمتع بنعم الحياة على وجه لا يخرج عن حد القصد
والاعتدال .

قال تعالى :

« قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق » (١)

وقال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب
المعتدين . وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون » (٢)

عاشرأً — الأخلاق في الإسلام :

إن شريعة الإسلام ، أحكامها عموماً ، تستند إلى الأخلاق ، لأن
الأخلاق هي المعتمص والصمام الذي يتمسك به من أراد أن يكون مسلماً ،
لأنها انفعال النفس وتأثرها بما ينبغي أن تكون عليه من حسن الفضائل

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢) سورة المائدة : ٨٧ ، ٨٨ .

فتتحلى به ، وأن تعلم حقيقة الرذائل فتتخلى عنها ، ومن هنا كانت عناية الإسلام بالأخلاق عناية تفوق كل عناية ، وتوصيات الرسول صلوات الله وسلامه عليه أكبر شاهد ودليل على ذلك ، وإليك نماذج من ذلك :

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ». أخرجه البخارى فى الأدب. والحاكم فى المستدرک والبيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة .

٢ - وقال صلوات الله وسلامه عليه .

« أتقل ما يوضع فى الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق ». أخرجه أبو داود بمعناه .

٣ - وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً أن رجلاً جاءه ذات مرة ووقف بين يديه وسأله : ما الدين يا رسول الله ؟ فقال : حسن الخلق . فجاءه من قبل يمينه وسأله السؤال نفسه وكان الجواب حسن الخلق ، ثم جاءه من الشمال ومن الخلف وسأله وكان جواب الرسول صلوات الله وسلامه عليه هو نفس أجوبته السابقة .

والقرآن أورد ذلك فى آياته المحكمات الكثير أيضاً .

قال تعالى :

« قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»(١)

آثار التحلى بالأخلاق الفاضلة :

إن التحلى بالأخلاق الفاضلة والتمسك بالقيم الحميدة ينضج أثره على النفوس ، فتطهير الباطن أساس كل صلاح ظاهرى ، لذلك كانت آثار الأخلاق الفاضلة على النفوس المتحلية بها هى تطهير النفوس من أمراضها

المستعصية كالحقد والحسد والنفاق والخبث والكذب والخيانة ، وجميع ما تعارف الناس عليه من سوء الأخلاق وفاسدها وآثارها الظاهرية .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك بقوله :

« ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » أخرجه البخارى .

والمقصود من ذلك صلاح الباطن فينعكس أثره على صلاح الظاهر كما تقدم .

وتقوم الأخلاق في مفهوم الإسلام على قاعدة التقوى ، وهي بذلك تختلف عن مفهوم الأخلاق في الفلسفات اليونانية وغيرها التي تقوم فيها الأخلاق على مفهوم السعادة والحب أو غيرها . والتقوى هي الأساس الأول في مفهوم الأخلاق الإسلامية تقوم على الاتقاء والامتناع عن كل ما حرمه الله ، فالتقوى في مقابل استباحة المحرمات .

وهي تحمل معنى الكظم واجتناب كل خطأ يؤدي إلى تجاوز الضوابط والحدود ، وهي في نفس الوقت عمل إيجابي ينبعث عنه الإيمان بالله والصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد وسائر الطاعات .

والإسلام يتفق مع طبيعة البشر وفطرتهم ، فهو يبيح الرغبات والشهوات النفسية ويجعلها مشروعة ما لم يكن فيها عدوان على أحد ، ولا ارتكاب لمحرم ، فالمسلم إذا ما أحس الحاجة إلى المرأة فالطريق إليها هو الزواج ، فإذا عجز عن الاستطاعة أجل تنفيذ الرغبة إلى أن ينيسر له ذلك دون أن يخل ذلك باقتناعه النفسى بإباحة الإسلام لتحقيق رغبته ، فالإسلام يعترف بالرغبات ولا يدعو إلى كبثها ، وإنما يدعو إلى ضبطها ، ويحول في نفس الوقت دون خطر الإسراف فيها على الكيان الإنسانى والمجتمع البشرى . فتحريم الزنا في الإسلام لا ينبعث من كراهية الجنس ، بل من احترام الجنس وتنزيهه عن العبث ، ومن احترام المرأة وتنزيهها عن أن تكون أداة لمتعة ساقطة ، وهكذا ينظم الإسلام قاعدة التوازن بين مختلف القوى في الإنسان ، بين الرغبات

والضوابط ، وبين الروح والجسد وبين العقل والقلب ، فيحول دون الكبت والانطلاق ، وبين الترف والحرمان ، وبين الإباحة والتجمد ، فهو لا يقر المادية المفرطة ، ولا الروحانية المطلقة ، وإنما يوفق بينهما في تناسق وتوازن ومواءمة تجعلهما متصلتين بالإنسان نفسه ، من حيث هو جسم وروح .

وليس هناك نظرة أصدق وأعمق صدقاً وأكثر عمقاً من نظرة الإسلام إلى الإنسان ، حيث ينظر إليه نظرة متكاملة جامعة تقوم على التوازن ، وهو من أجل ذلك يبيح له كل رغباته ومطالبه بعد أن يعترف بها ، ولكنه يحيطها بسياج من الضوابط ، حتى لا يكون عبداً لأهوائه وشهواته ، وبحيث يكون قادراً دائماً أن ينفك عنها ، وأن يحمل راية الجهاد والمقاومة إذا ما تعرض وطنه للخطر ، ذلك أنه ليس أفعل في هدم الأمم من إسرافها في الاتجاه نحو التحلل والإباحيات التي تحطم قوى الإنسان القادرة على المقاومة والفعل .

* * *

كلمة ختامية

راينا مما سبق إيراده بعض عناصر العالمية في الإسلام ، ولنقتصر على ذلك ، لأنه مما لا جدال فيه أن كل ما دعا إليه الإسلام يتسم بالعالمية حتى فريضة الجهاد نفسها تنسم بالعالمية أيضاً ، وبالجملة فإن مبادئ الإسلام قائمة على العدل والتسامح نحو المسلمين ونحو من سالمهم من أهل الأديان ، ولما كان المسلم هو حامل رسالة إلى الناس فإنه يظل حياته كلها في رباط ، ولا يستسلم للدعة والدين حتى لا تستباح أرضه ولا تنتهك حرماته ؛

ويقول الدكتور إسماعيل الفاروقى :

الحق أن علمية علم الأديان لا تستطيع أن تعالج الإسلام دون اعتبار أن هذا الدين هو دين الله ، أى فوق الحقائق الطبيعية والاجتماعية والعلمية ، فهو ليس من صنع البشر ، ولا شك أن الإسلام دين الله ودين الفطرة والنظر السديد .

* * *

الفصل الثالث

قيام الرسول محمد ﷺ

والمسلمين بالدعوة إلى الإسلام

كيف تولى الرسول صلى الله عليه وسلم نشر دعوة الإسلام إلى البشر جميعاً :

١ - تولى النبي صلى الله عليه وسلم دعوة التوحيد بنفسه (١) بين ظهراني المشركين ، وبين أحكام الإسلام للمؤمنين ، وهذا تطبيق لقول الحق سبحانه وتعالى :

« هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوه عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » (٢) .

وكانت دعوته صلوات الله وسلامه عليه لمن يلاقهم سواء كانوا أفراداً أم جماعات .

٢ - أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه جماعات من أصحابه الذين فقهوا أحكام الإسلام إلى الجماعات والقبائل البعيدة التي اعتنقت الإسلام يعلمون من آمن ، ويقومون بواجب الهداية لمن بقي منهم على شركه أو تباطأت به سبل الهداية .

وقد دفع المسلمون الثمن غالياً في ذلك لأن بعضاً من الأعراب كان يغدر بهؤلاء المسلمين الفقهاء ، فقتلوا غدرًا ستة من المؤمنين الذين أرسلهم النبي إليهم . كما قتلوا مرة أخرى سبعين من خيار الصحابة ممن أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة السامية .

(١) كتاب الدعوة إلى الإسلام للأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .

(٢) سورة الجمعة الآية ٢ ، ٣ .

ولكن ذلك لم يفت في عضد النبي صلى الله عليه وسلم أو يضعف من عزيمة المسلمين لأن الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه كانوا يريدون نشر الدعوة مهما صادفها من عقبات .

٣ - عندما دخل الناس أفواجا في دين الله بعد فتح مكة وأصبحت الجزيرة العربية تحت سلطان الإسلام دانت بعض القبائل الكنانية لقوة الإسلام فأعطوا الجزيرة عن يد وهم صاغرون، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرسل إليهم الدعوة يدعوهم إلى الإسلام ويعلمونهم أحكامه .

٤ - تجاوز الرسول صلى الله عليه وسلم حدود الجزيرة العربية بدعوة الإسلام ، لذلك أرسل كتبه الهادية إلى غير العرب في أقاليمهم المختلفة قاصيها ودانيها ، سهلها ونجدها ، فأرسل تلك الكتب إلى الآتي ذكرهم يدعوهم إلى الإسلام :

(أ) إلى هرقل ملك الرومان .

(ب) إلى النجاشي ملك الحبشة .

(ج) إلى كسرى ملك فارس .

(د) إلى المقوقس عظيم مصر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار الرسل الذين يحملون كتبه ممن فيهم حكمة وعقل وحصافة .

وهكذا نجد الرسول صلى الله عليه وسلم قام بالتبليغ الكامل لرسالة ربه ، استجابة لأمره سبحانه وتعالى في قوله :

١ - « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فيما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » (١) .

وقوله جل وعلا :

« وادع إلى ربك ، إنك لعلى هدى مستقيم » (١)

٣ - وقال تعالى :

« يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه
وسراجاً منيراً » (٢) .

خلفاء الرسول في الدعوة إلى الإسلام :

لما كان الإسلام هو الدين الذي تطالب به الأجيال كلها في مشارق
الأرض ومغاربها حتى قيام الساعة ، لهذا أوجب الله تعالى تعليم طائفة من
الدعاة ليقوموا بالخلافة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك في قوله
تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون » (٣) .

وذلك لأن العقول وحدها لا تكفي في الهداية إذا تركت وشأنها فكثيراً
ما تضل كما أن الأفهام قد تنوء تحت لجاجة الأهواء والشهوات .

قال تعالى :

« قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله
وما أنا من المشركين » (٤) .

وهذه الآية الكريمة تدل على عدة أمور خطيرة يجب تفهمها جيداً .

أولاً : أن دعوة المؤمنين إلى الله تعالى هي من الاتباع للنبي صلى الله
عليه وسلم وأن من تحاذل عن الدعوة لا يعد تابعاً للنبي صلى الله عليه وسلم :

(٢) سورة الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦ .

(١) سورة الحج : ٦٧ .

(٤) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٣) سورة آل عمران : ١٠٤ .

ثانياً : أن تكليف النبي صلى الله عليه وسلم تبليغ رسالة ربه هو تكليف لأمة لا يتخلى عنه مسلم صادق الإيمان .

ثالثاً : أن يكون الداعي له بصر بالأمر يأتها من طرقها المسلوكة في رفق ليناً في دعوته ، لا تأخذه في الحق هواة ، وليس للباطل عنده إرادة .

رابعاً : أن الآية الكريمة في جملتها تدل على أن الإيمان وحده لا يكفي في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم بل لابد لكمال الاتباع من الدعوة إلى الله سالكاً سبيله صلوات الله وسلامه عليه .

النصوص التي وردت صريحة مطالبة الأمة بالتبليغ كل على مقدار علمه في التوجيه والإرشاد .

أولاً - من القرآن الكريم :

١ - قال تعالى :

« وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » (١)

ففي هذه الآية توجيه للمؤمنين وحث لهم على أن يجيئوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته يجيئون لمن يخلفه في أمر أمته ممن ينصبون للهداية والدعوة ، وذلك ليتعرفوا منهم على حقائق الدين ولينفهموها ويعودوا إلى أقوامهم يعلمونهم ما تعلموه .

٢ - قال تعالى :

« ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا

(١) سورة التوبة : ١٢٢ .

من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» (١).

وهذه الآية الكريمة تدل على عدة أمور :

أولاً : وجوب الدعوة إلى الخير ، وأى خير أعظم من الدعوة إلى الإسلام الذى هو دين الله ، سبحانه وتعالى ، لأنه الحق الذى فيه إصلاح البشر فى دنياهم وأخراهم .

ثانياً : بعد دعوة الخير يكون العمل على إيجاد جماعة فاضلة بين المسلمين تدعو إلى المعروف الذى تؤمن به وتنبى عن المنكر الذى تأباه وترفضه .

ثالثاً : إن السكوت عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يؤدى إلى سيادة الشر فى الجماعة ، وإذا ساد الشر فى الجماعة هاكت فى الدنيا والآخرة .

رابعاً : إن الدعوة إلى الإسلام هى أخذ بمبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلا يوجد معروف تدركه العقول وتقر به الأفهام أكثر من الدعوة إلى الوحدةانية الكاملة لله فى ذاته وصفاته .

٣ - قال تعالى :

« إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم» (٢) .

فلقد ندد الله تعالى بالذين يكتُمون العلم وخصوصاً علم الكتاب - ولا شك أن الذين لا يدعون بدعاية الله يكتُمون الحق الذى أنزله الله سبحانه وتعالى - ليعم هذا الوجود الإعلام به .

٥ - إن من المقررات الشرعية فى الدلالات القرآنية أن كل أمر للنبي صلى الله عليه وسلم هو أمر لأُمَّته ، إلا أن يقوم الدليل على تخصيص التكليف بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء الأمر بالتبليغ موجهاً للنبي ، وكذلك بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان هذا أمراً للمسلمين

كافة للقيام بذلك الواجب المقدس ، إذ لا دليل على أنه خاص بالنبى ، بل قام الدليل على عموم التكليف ، ولنتأس نحن معاشر المسلمين بالرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنه بمقتضى هذه الأسوة يكون من الحق ، لا بل من الواجب علينا أن نقتدى به فى هديه ودعوة الناس والأمم إلى الإيمان بالله واتباعه فى كل ما اتجه إليه من وسائل الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله .

قال تعالى :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً » (١) .

- قال تعالى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » (٢) .

فلقد وصف الله المؤمنين بأنه استخلفهم فى الأرض ، أى جعلهم خلفاء له ولنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كما استخلف الذين من قبلهم من المؤمنين عن أنبيائهم ، ومقتضى هذه الخلافة أن يقوموا بما كانوا يقومون به من واجب التبليغ والدعوة إلى الله تعالى .

كما أن حقيقة الإيمان والعمل الصالح تستلزم الآتى :

أولاً : أن المؤمنين الصادقين يقومون بالعمل الصالح ويبلغون دعوة الله ، لأنهم خلفاء الله فى الأرض وخلفاء النبى صلى الله عليه وسلم سيد أولى العزم من الرسل فى الدعوة إلى الله تعالى ، فعليهم إبلاغ حكمته وأقواله إلى البشر الذين لم تصلهم رسالته ولا يعرفون حقيقة الإسلام حتى الآن .

(١) سورة الأحزاب : ٢١ .

(٢) سورة النور : ٥٥ .

ثانياً : وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين الصادقين بأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضوه وارتضاه الله تعالى ، وليس ذلك التكين بغير جهد مبذول ، ولا بغير دعوة مستمره دائبة لا تفتقر ولا تسكن ، بل عمل مستمر في سبيل الدعوة إلى الله .

ثالثاً : أن هذه الدعوة إلى الله فوق أنها أداء لواجب هي سبيل لسيادة الأمن لأن الله يبذلهم من بعد خوفهم أمناً ، وبذلك يكون المسلمون بدعوتهم المستمرة إلى الله سادة لا تتداعى عليهم الأمم لتفرض عليهم الذلة والاستعباد ، بل يكونون أعزة أقوياء .

ثانياً من السنة :

وردت أحاديث كثيرة داعية إلى التبليغ والدعوة إلى الله بمعرفة المسلمين ومنها ما يأتي :

١ - جاء في خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو ينادى الناس في عرفات ببيان موجز للأحكام الإسلامية « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » فتلك دعوة عامة لمن شهد من المؤمنين ، أن يعلم من غاب عنه سواء أن كان من أهل جيله أم ممن يجيئون بعده من الأجيال ، لا فرق بين قريب منه ، وبعيد عنه .

والمشاهدة التي توجب الإعلام تشمل من حضر النبي صلى الله عليه وسلم وأشرقت عليه أنواره بلبقائه بالحس .

وكذلك من علم علم القرآن فبعلمه قد صارت أنوار النبوة بين جنبيه فإنه قد شاهد الرسول بقلبه ، وإن لم يشاهده بعينه ، فكان عليه التبليغ والدعوة إلى الله ، لأنه تلقى التكليف عنه وعن الله فيجب أن يبلغ ذلك إلى الناس كافة .

٢ - صرح النبي صلى الله عليه وسلم بأنه يجب أن يعم قوله وتنشر هدايته بالرواية عنه وتبليغ قوله وشرعه ، ولقد روى الإمام الشافعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« نصر الله تعالى عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه »

فهذا الحديث بحث على أن تنقل أقوال النبي صلى الله عليه وسلم من بعده، وأن أقواله صلوات الله وسلامه عليه هي رسالته ، ويدل الحديث أيضاً على وجوب النصيحة وإخلاص العمل لله تعالى ، وأى عمل أجل في الإخلاص لله تعالى من أن يبلغ العالم رسالة الله وأن يحمل ما حمل النبيون ويقوم بما يجب عليه من التبليغ اتباعاً لهم وأخذاً بهديهم وسلوكاً لسبيلهم الذي هو سبيل الله تعالى .

٣ - أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل خيرية الأجيال بمقدار دعوتهم للإسلام والأخذ بتعاليمه ، لذلك كان صحابته خيرة هذه الأمة ، لأنهم شاهدوا وعانوا وحملوا رسالته وبلغوها ونشروا أمرها في الآفاق .

فلقد روى الشافعي أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقف بالجابية بالشام خطيباً، وقال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فينا كمنقامي فيكم فقال :

« أكرموا أصحابي ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر الكذب حتى أن الرجل ليحلف ولا يستحلف ، ويشهد ولا يستشهد ، ألا فمن سرته يحوجه الجنة فليأزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفخذ ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »

فالأفضلية في نظر الفاروق على حسب قوة التبليغ وحمل الأحكام الإسلامية .

٤ - والنبي صلى الله عليه وسلم كان يحث المؤمنين على أن يكونوا هداة مرشدين مبينين ، فإن هداية النفوس لا تقلل عن الجهاد في سبيل الله فضلاً ، لذلك فهو يقول للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : لأن يهدي الله تعالى بك رجلاً واحداً خير مما طلعت عليه الشمس وغربت .

٥ - أن الخلفاء الراشدين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضوان الله عليهم كانوا يرسلون العمال إلى الأقاليم دعاة إلى الإسلام ، ومرشدين إلى وحدانية الله فوق إقامة العدل ومنع الفساد في الأرض .

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى ولاته « إنى ما أرسلتكم لتضربوا أبشار الناس ولكن لتعلموهم أمر دينهم » ، ومن تعليمهم أمور الدين أن يبينوا لغير المؤمنين حقائق الإسلام ، وهم أحرار بعد ذلك في الدخول فيه طبقاً لما يقضى به قوله تعالى . « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » (١) .

٦ - لما خشى والى بيت المال أن يخلو بيت مال الخراج والجزية من المال ، وفكر ألا يسقط الجزية عن من يسلم ، أرسل إليه عمر بن العزيز ، وقد كان خليفة المسلمين وقتئذ ، يلومه على ذلك ، وقال له في كتابه إليه « إن الله أرسل محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يرسله جابياً »

ومن هذا الكتاب الحكيم تبين الأمور الآتية :

أولها : أن الدعوة إلى الإسلام هي الهداية الكاملة ، فهي عمل الرسل وعمل خلفائهم .

ثانيها : أن كل ما ينافيها حرام يمنع .

ثالثها : إجماع الصحابة على وجوب الدعوة إلى الإسلام ، ثم إجماع التابعين من بعدهم على ذلك ، فهما إجماعان يؤكد أحدهما الآخر ولا ينقض هذا الإجماع بتقاصر المهم من بعد ذلك .

الفصل الرابع

واجب المسلمین فی الوقت الحاضر

أمام الدعوة إلى الإسلام

لما كان دين الله هو دين الإسلام وكان واجب المسلمين إبلاغه إلى الناس جميعاً في شمال الدنيا وجنوبها شرقها وغربها قاصيها ودانيها كان على ولاية الأمر من المسلمين أن يقوموا بالدعوة إليه وأن يوصلوها لجميع أصقاع العالم بشتى الطرق والوسائل . ويقع هذا العبء أول ما يقع على الآتى ذكرهم :

أولاً : على علماء المسلمين في هذا القرن ، إذ يجب عليهم أن مجردوا منهم البعوث الصالحين للقيام بالدعوة في الخارج ، في آسيا وأفريقيا وأستراليا وأوروبا والأمريكيتين للتبشير بالإسلام وتوضيحه إلى سكان تلك البقاع ، على أن يكون الاهتمام بالتبشير الإسلامى بشدة في الدول الغربية أولاً ، أى في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأستراليا ثم يأتي بعد ذلك الاهتمام بأفريقيا وآسيا .

ثانياً : على أغنياء المسلمين . إذ الواجب عليهم أن يتبرعوا بسخاء كما يتبرع الأغنياء الآخرون من الممال الأخرى ، فلا بد من إيقاظ المهتم وحث الأغنياء على هذا الواجب .

ثالثاً : على الحكومات الإسلامية وخصوصاً تلك التى أفاض الله عليها ينابيع البترول إذ يجب عليها أن ترصد فى ميزانيتها مبالغ وفيرة للدعوة الدينية ، وأن تقوم بالصرف بسخاء على المبعوثين الإسلاميين إلى الدول غير الإسلامية التى يعملون فيها ، كما يجب عليها أن تمنح أبناء هذه الدول من

المسلمين المنح التعليمية واستقبالهم في المعاهد الإسلامية بها ، ليتلقوا العلوم الدينية من ينابيعها الصافية في البلاد الإسلامية ، وليتفقهوا في أمور دينهم ، حتى إذا ما رجعوا إلى قومهم قاموا بإرشادهم . وبث الدعوة الإسلامية بينهم ، فكانوا مشاعل تضيء لهم بنور الإيمان فيتبدد لهم ظلام الكفر والطغيان .

الدعائم التي يمكن أن تقوم عليها الدعوة إلى الإسلام :

١ - أن يكون التبشير بالإسلام على مستوى عال من الكفاءة وبأرقى وسائل الإعلام ، وبمختلف اللغات الأجنبية حيث تعرض المبادئ الإسلامية عرضاً واضحاً صادقاً مخلصاً لا زيف فيه ولا إسراف ، حتى يستجيب الناس إلى الدعوة في صدق وإخلاص .

٢ - اتباع المنهج القرآني والمسلك النبوي في الدعوة إلى الإسلام كما قال تعالى :

« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن » (١)

وكلمة الحكمة هي وضع الأمور في نصابها ، واتباع الوسائل الحديثة في استجلاب الأنصار ، وقيادة الناس والجماهير والأتباع ، وإفهام الناس وخصوصاً في أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، بأن الإسلام لا يجعل من العرب شعباً مختاراً ، يفضل غيره بسلالة معينة أو دم خاص ، بل إن الله اختار هذا الدين لعباده مشتملاً على تعاليم راشدة وشريعة عادلة ، ثم وكل إلى العرب أن يحملوا هذه التعاليم والشرائع ليعملوا بها وليعلموها من شاء .

٣ - القدوة الحسنة في الدعاة إلى الإسلام ، والقدوة الحسنة هي أهم الدعائم ، فالمسلمون الذين يطوفون الآن في المشارق والمغرب في أمريكا وفي أوروبا وفي اليابان وفي أفريقيا لو كانوا صورة صادقة للإسلام الصافي

استجاب لهم كثيرون ، لكنهم يحملون أسماء إسلامية فقط ويتصرفون تصرفات تحتسب على الإسلام والمسلمين .

٤ - تأليف القلوب : فإن تأليفها بالأموال أساس من الأسس الإسلامية التي جاء بها القرآن ، فقد جعل المؤلف قلوبهم مصرفاً من مصارف الزكاة والصدقات ، وهو ليس شراء للدم وإنما هو إظهار لمروءة الإسلام ولتعايمه في معونة المحتاجين ، وعلاج لضعف النفوس . وعلى أغنياء المسلمين ، أن يسهموا في ذلك بأموالهم .

والتبشير المسيحي في البلاد التي يدخلها يقوم بتقديم الخدمات قبل أي شيء ، استهدافاً لتأليف القلوب في تلك البلاد ، فتراهم يقدمون الخدمات كتطبيب المرضى ثم الغذاء والكساء ثم يبنون المدارس والعيادات الطبية ويجوارها الكنائس (١) .

ومن طرق الدعوة ومن وسائل التبشير بالإسلام الآتي :

١ - استئجار بعض الصحف والمجلات الغربية في هذه الدول ، بل وإنشاء مجلات إسلامية، وخاصة للأطفال تشرح الإسلام على بساطته وجماله .

٢ - الاتصال بالعلماء والأدباء الغربيين وإطلاعهم على الإسلام من مصادره ومن منبعه الفياضين وهما الكتاب والسنة .

٣ - تأليف الكتب والنشرات المبسطة أو الرسائل الصغيرة المبسطة التي تشتمل على حقائق الإسلام ، وترجم إلى لغة الأقوام المراد تبشيرها ودعوتهم إلى الإسلام ، بحيث تكون هذه الكتب والنشرات والرسائل موضحة لحقائق الإسلام من ناحية العقيدة ومن ناحية العبادة ، ومن ناحية التكليفات الخاصة بالمجتمع ، فتكتب باللغات الأوربية واليابانية والإفريقية كلها .

(١) كتاب التبشير والاستشراق للمؤلف طبعة مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ١٩٧٧ .

٤ - التعاون مع الغربيين الذين أسلموا لوضع المخططات لنشر الإسلام ، والاستعانة بهم في نشر الدعوة إلى الإسلام بين قومهم .

٥ - إنشاء المعاهد الإسلامية في البلاد التي يتوجه إليها الدعاة الإسلاميون ، وأن تكون مزودة بتفسيرات من القرآن الكريم بلغة تلك البلاد ، وكذلك بتفسيرات من الأحاديث النبوية بتلك اللغات أيضاً .

٦ - تقوية الإذاعات العربية لإيصال الإسلام إلى أسماع جميع الغربيين بأساليب حديثة ومشرفة .

٧ - إعلام الغربيين بما جاء في كتبهم من تحريف وتناقض ومعوقات عن التقدم ، والرقى ، وما جاء في كتبهم من توحيد الإله ونبوة المسيح وبعثة الرسول محمد عليهما الصلاة والسلام .

٨ - إفهام الدول الشيوعية بأن الإسلام ليس أفيونا للجماهير كما زعم لهم الزاعمون بدليل أن مسيو جارودي وهو شيوعي فرنسي عاش ردهاً من الزمن في جبهة التحرير الجزائرية اعترف بأن الدين الإسلامي هو الذي أوقد شرارة هذا الكناح العزيز الغالي وغناها على مدى الأيام والسنين وأن الإسلام يستحيل أن يوصف بأنه مخدر للشعوب (١) .

٩ - الاستعانة بالسينما والمسرح لعرض التمثيلات الإسلامية بعيداً عن شخصيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة رضوان الله عليهم بعد مراجعتها من الجهات الدينية المختصة .

١٠ - لا بد أن ينتظم طرق الدعوة إلى الإسلام الدافع الديني للدعوة ، لأنه لا شك هو الأساس قبل التنظيم وقبل الهيئات التي تنظم هذه الدعاية إلى الإسلام ، فلا بد من الإيمان الصادق وإذا لم يوجد هذا الانبعاث فلا يمكن أن ينجح أي تنظيم .

(١) هذا الفيلسوف والمفكر الفرنسي هداه الله إلى الإسلام أخيراً بعد رحلة طويلة في البحث والتقصي استمرت ستين سنة كثيرة .

تم الكتاب

بِعون الله تعالى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - صحيح البخارى
- ٣ - صحيح الإمام مسلم .
- ٤ - صفوة البيان لمعاني القرآن لفضيلة الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف
مفتى الديار المصرية سابقاً .
- ٥ - تفسير القرآن الكريم لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ
الأزهر السابق .
- ٦ - كتاب الفتاوى لفضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر
السابق .
- ٧ - كتاب الإسلام عقيدة وشريعة للأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ
الأزهر السابق .
- ٨ - العهد القديم والعهد الجديد .
- ٩ - محاضرات فى النصرانية لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبو زهرة .
- ١٠ - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية بقلم حكيم الإسلام الأستاذ
الإمام الشيخ محمد عبده .
- ١١ - كتاب إظهار الحق للإمام زحمة الله بن خليل الرحمن الهندى .
- ١٢ - كتاب الفارق بين المخلوق والخالق للأستاذ الحاج عبد الرحمن
أفندى باجة جى زاده .
- ١٣ - مصادر المسيحية وأصول النصرانية رسالة لاهوتية للأستاذ محمد
أفندى حبيب .
- ١٤ - كتاب مقارنة الأديان - المسيحية - للدكتور أحمد شلبي .
- ١٥ - كتاب حديث الأيام فى قصة الموت والقيام للأستاذ محيى الدين
سعيد البغدادى .

- ١٦ - كتاب سر الأزل للقس توفيق جيد .
- ١٧ - كتاب الحق للقمص باسيلوس إسحق .
- ١٨ - كتاب التثليث والتوحيد للأستاذ يني منصور .
- ١٩ - كتاب (الله ذاته ونوع وحدانيته) للأستاذ عوض سمعان .
- ٢٠ - كتاب أوربا والإسلام للدكتور عبد الحليم محمود .
- ٢١ - كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار لبطرس قرماج .
- ٢٢ - كتاب محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن للمؤلف
- ٢٣ - كتاب الإنجيل والصليب للأب عبد الأحد داوود الأشوري .
وكان قسيساً نصرانياً قبل إسلامه .
- ٢٤ - كتاب الأديان في كفة الميزان للأستاذ محمد فؤاد الهاشمي - وكان
قسيساً نصرانياً قبل إسلامه .
- ٢٥ - كتاب الله واحد أم ثلاث للأستاذ محمد مجدى مرجان - وكان
شماساً نصرانياً قبل إسلامه .
- ٢٦ - كتاب الدعوة إلى الإسلام لفضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة .
- ٢٧ - كتاب المسيح إله أم إنسان للأستاذ محمد مجدى مرجان .
- ٢٨ - كتاب الإسلام نور الأكوان - المنارات الساطعة في ظلمات الدنيا
الحالكة للأستاذ محمد زكى الدين النجار بطهطا - وكان مسيحياً قبل
إسلامه .
- ٢٩ - كتاب إقامة البرهان على نزول عيسى في آخر الزمان للمحدث
الشيخ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني الإدريسي خريج جامعة
القرويين بفاس .
- ٣٠ - حياة المسيح للأستاذ عباس محمود العقاد .
- ٣١ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام تأليف الدكتور على
عبد الواحد وافي رئيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية بجامعة
القاهرة سابقاً .
- ٣٢ - إنجيل القديس برنابا .
- ٣٣ - كتاب القرآن - وصفة هدايته ، أثر إعجازه للمرحوم الأستاذ

محمد عبد العزيز الحولى مطبوعات جامعة الوعظ والدعوة الإسلامية
ومجلة التقوى .

- ٣٤ - كتاب ظهور المسيحية للأسقف بارنز .
- ٣٥ - هذا هو الحق تأليف المرحوم الأستاذ محمد عبد اللطيف بن الخطيب .
- ٣٦ - أبحاث الأستاذ محي الدين سعيد البغدادي في مجلة الإسلام سنة
١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٧ .
- ٣٧ - أبحاث الأستاذ أحمد حسين المحامى المنشورة بمجلة الوعي الإسلامى
سنة ١٩٦٧ وبنابر سنة ١٩٦٨ .
- ٣٨ - بحث الدعوة الإسلامية في ندوة لواء الإسلام المنشورة بالعدد الرابع
من مجلة لواء الإسلام السنة الخامسة عشرة ذو الحجة سنة ١٣٨٠
مايو سنة ١٩٦٠ .
- ٣٩ - بحث هل رفع المسيح حياً إلى السماء في ندوة لواء الإسلام العدد
الرابع من السنة السابعة عشرة غرة ذى الحجة سنة ١٣٨١ - ٢٥
أبريل سنة ١٩٦٣ .
- ٤٠ - مجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة العاشرة رمضان سنة ١٣٧٥
إبريل سنة ١٩٥٦ في تفسير بعض آيات القرآن الكريم لفضية
الشيخ محمد أبو زهرة ، وكذلك العدد الأول من السنة السادسة عشرة
رمضان سنة ١٣٨١ - فبراير سنة ١٩٦٢ .
- ٤١ - عالمية الإسلام - أبحاث الأستاذ أنور الجندي - مجلة منبر الإسلام
رجب سنة ١٣٩٢ أغسطس سنة ١٩٧٢ وما بعدها .
- ٤٢ - كتاب سلاسل المناظرة الإسلامية - النصرانية بين شيخ وقسيس بقلم
الشيخ عبد الله العلمي الغزى الدمشقي أستاذ دروس تفسير القرآن
والتهذيب الإسلامى في الجامع الأموى بدمشق سابقاً .
- ٤٣ - كتاب التبشير والاستشراق للمؤلف طبعة مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر سنة ١٩٧٧ .

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
إدارة البحوث والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ المستشار محمد عزت الطهطاوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعيد :

فبالإشارة إلى طلبكم الخاص بفحص أصول كتابكم (النصرانية والإسلام)
نفيد بأن نتيجة الفحص أثبتت صلاحيته للطباعة والنشر لموضوعيته وإفادته .

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحرير آنى ١٩٧٧/٦/٤

مدير

إدارة البحوث والنشر

محمد أمين البدوى

عبد المهيمن محمد الفقى

(صورة طبق الأصل)

القرى

٣	إهداء
٧	١ - مقدمة الطبعة الثانية
٩	مقدمة الطبعة الأولى
١١	٢ - الباب الأول : عقائد النصرانية وشعائرها وعباداتها...
١٣	تمهيد
٢٩	الفصل الأول : العقيدة عند المسيحيين
٦١	الفصل الثاني : شعائر النصرانية...
٨٣	الفصل الثالث : العبادات في النصرانية
٨٧	٣ - الباب الثاني : مصادر النصرانية وطوائفها
٨٩	الفصل الأول : المصادر الحقيقية لعقيدة النصرانية
٩٩	الفصل الثاني : مقارنات بين عقائد الوثنية والنصرانية
	الفصل الثالث : الديانات التي انسلخت من التوحيد وصارت إلى تعدد الآلهة
١١١	١١١
١٣٦	الفصل الرابع : طوائف النصرانية وفرقها الحالية
١٤٧	٤ - الباب الثالث : حقائق عن النصرانية والإسلام
١٤٩	الفصل الأول : حقائق عن أصول النصرانية
١٦٦	الفصل الثاني : حقائق عن أصول الإسلام
	الفصل الثالث : تحاريف الرهبان وبعض المعجزات التي تزعمها الكنائس لصحة العقيدة النصرانية
١٨١	١٨١
	٥ - الباب الرابع : عقيدة المسلمين واليهود في المسيح والنصرانية
١٨٩	ونسب المسيح وولادته
١٩١	الفصل الأول : عقيدة المسلمين في المسيح والنصرانية
٢٢٠	الفصل الثاني : عقيدة اليهود في المسيح والنصرانية

- الفصل الثالث : اختلاف الأناجيل في نسب المسيح حتى
٢٣٣ إبراهيم
الفصل الرابع : هل ولد المسيح حقاً في فصل الشتاء كما
٢٤١ يقول النصارى الغربيون والشرقيون
٦ - الباب الخامس : بولس الرسول
٢٤٧ الفصل الأول : تاريخ بولس وأثره في النصرانية
٢٦٥ الفصل الثاني : أقوال كتاب النصرانية في بولس الرسول
٧ - الباب السادس : دعوة النصرانية ودعوة الإسلام وعالميتها
٢٩١ الفصل الأول : دعوة النصرانية هل هي دعوة إلى شعب اليهود
٢٩٣ أم دعوة عالمية
الفصل الثاني : دعوة الإسلام وعموميتها إلى شعوب الأرض
٣٠٧ جميعاً
الفصل الثالث : قيام الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بالدعوة
٣٤٢ إلى الإسلام
الفصل الرابع : واجب المسلمين في الوقت الحاضر أمام
٣٥١ الدعوة إلى الإسلام
٣٥٥ المراجع :

* * *

صورة خطاب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر مؤرخ في ١٩٧٧/٦/٤
بصلاحية الكتاب للطباعة والنشر .